

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البليدة 02
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

"في تحليل خطاب القصص القرآني"
مقاربة أسلوبية (نحوية-بلاغية) بين سورتي الأعراف و هود

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
تخصص: لغوي

إشراف الدكتور:
ساسي عمار

إعداد الطالبة:
بن عياد خليدة

السنة الجامعية : 2013 - 2014 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البليدة 02
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

"في تحليل خطاب القصص القرآني"
مقاربة أسلوبية (نحوية-بلاغية) بين سورتي الأعراف و هود

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
تخصص: لغوي

إعداد الطالبة:

بن عياد خليفة

أمام اللجنة المشكلة من :

رئيساً	جامعة البليدة 02	أستاذ محاضر أ	- ملواني حفيظ
مشرفاً ومقرراً	جامعة البليدة 02	أستاذ التعليم العالي	- ساسي عمار
عضواً مناقشاً	جامعة الجزائر 02	أستاذ التعليم العالي	- بن عروس مفتاح
عضواً مناقشاً	جامعة البليدة 02	أستاذ محاضر أ	- فضالة إبراهيم
عضواً مناقشاً	جامعة المدية	أستاذ محاضر أ	- زوقاي محمد
عضواً مناقشاً	جامعة البويرة	أستاذ محاضر أ	- ملوك رابح

السنة الجامعية: 2013 - 2014م

1434 - 1435 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى مثال التضحية، والصبر، والوفاء .. إلى أحق الناس بصحبتى .. أمي .. أمي .. أمي

إلى من خلق في نفسي روح التحدي وغرس في قلبي حب العلم منذ نعومة أظفاري . . . أبي

إلى من ساندني حتى أوصل مسيرتي العلمية زوجي

إلى زهرات عمرنا ، وموضع آمالنا و طموحنا آية ، ملاك ، هبة

إلى من جعلهم الله ذخرا وفخرا لي في هذه الحياة إخوتي : إبراهيم ، صالح ، نوال ، رفيق

، محمد الأمين

بكل تواضع أهديكم هذا العمل

خليدة

شكر وامتنان

الحمد والشكر لله عز وجل أن يسّر لي هذا الطريق والعمل ، وبارك لي فيه
وأسأله العفو والمغفرة على ما أخطأت أو نسيت ،إنّه هو العفو الغفور .
ثم للوالدين الكريمين اللّذين تابعايني بدعواتهما الطيبة وبما استطاعا....
بارك الله في عمرهما

ثم لأستاذي الفاضل :الدكتور عمار الساسي الذي علّمني كيف أقرأ
كتاب الله -عز وجل- وتتبع خطوات هذا البحث منذ أن كان فكرة
بسيطة ،إلى أن استوى عملاً ناضجاً بكل دقّة وصرامة ،فشكراً على شدّتك
وصراحتك معي ، وعلى توجيهاتك السديدة .

والشكر الجزيل أيضاً موصول للجنة المناقشة، التي تفضّلت بقراءة هذا
البحث وعلى ملاحظاتها وتوجيهاتها القيّمة التي تزيد من استقامة البحث
واستوائه.

ملخص الرسالة

موضوع البحث "في تحليل خطاب القصص القرآني - مقارنة أسلوبية (نحوية بلاغية) بين سورتي الأعراف وهود" ، دراسة تقارن بين سورتين كريميتين إذ يدخل البحث في باب توجيه المتشابه من القرآن الكريم ،فيتعرض بالتحليل الأسلوبي للظواهر اللغوية المستخدمة بين السورتين حيث تبدو المعاني متشابهة.

وقد تعددت مناهج البحث (التحليلي -الوصفي -الإحصائي -المقارن) معتمدين على آليات المنهج الأسلوبي في شرح الظاهرة ،من خلال تتبع آراء المفسرين وشروحات اللغويين.

وقد خلص البحث إلى إشارات لغوية ودلالية هامة ،نستنتج من خلالها أن الدراسة الأسلوبية المقارنة يمكنها أن تكشف عن دلالات جديدة في النص ،وأن أكثر آيات المتشابه لم تعالج بصورة عميقة بعد ،وأنها تحتاج لانصراف العلماء إليها بصورة أوسع .

Abstract

"In the analysis of speech Quranic stories – stylistic approach (grammatical rhetorical) between sourat el aaraf and Hood",

This study compares the two sourats, it takes in account things which are similar in Qur'an. It treats the stylistic analysis of linguistic phenomena used between two sourats where meanings seem similar.

Many research methods (analytical –Descriptive– statistical– comparative) dependent on the stylistic approach mechanisms to explain the phenomena, by tracking the views of the commentators and explanations of linguists.

The research concluded to important linguistic signals, from which we conclude that the stylistic comparative study could reveal new meanings in the text, and more signs of Like never been addressed in a deep yet, so they need for the departure of scientists and researchers to more broadly.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....02

الفصل الأول: مدخل إلى الدرس الأسلوبي

المبحث الأول: 1. مفهوم الأسلوبية و نشأتها

1.1. - التعريف اللغوي.....12

2. - نشأة الأسلوبية

2.2- عند الغرب..... 14

3.2. عند العرب.....17

المبحث الثاني: 2. الأسلوبية و العلوم الأخرى

2.2- الأسلوبية و علم البلاغة.....20

3.2- الأسلوبية و علم النحو.....25

الفصل الثاني : بطاقة تعريفية عن السورتين

المبحث الأول: 1. سورة الأعراف

1.1. التسمية.....31

2.1. مميزات السورة.....32

3.1. أسباب النزول.....35

المبحث الثاني: 2. سورة هود

1.2. التسمية.....37

2.2. مميزات السورة.....39

3.2. أسباب النزول.....40

44.....	المبحث الثالث: 1.3 الهيكل البنيوي لكلتا السورتين
46.....	2.3 المقارنة البنيوية بين السورتين
47.....	3.3 ترتيب القصص في السورتين

الفصل الثالث: الدراسة الصوتية

المبحث الأول: 1. في درس الصوتي

52.....	1.1 الدرس الصوتي و إعجاز القرآن
54.....	2.1 ما معنى الإعجاز ؟
56.....	3.1 دلالة الأصوات

المبحث الثاني : 2. التكرار الصوتي

61.....	1.2 المفهوم
63.....	2.2 التحليل

3. الفواصل:

78.....	1.3 التعريف (لغة - اصطلاحاً)
82	2.3 الدراسة التطبيقية لفواصل القصص
90.....	3.3 التحليل

المبحث الثالث: 4. ظواهر صوتية

98.....	1.4 رواية ورش
99.....	2.4 رواية حفص
100.....	3.4 بين ورش وحفص
103.....	5.4 المد
106.....	6.4 الإدغام

110.....الإمالة 7.4

115.....القلقلة 8.4

الفصل الرابع: الدراسة الإفرادية

122.....تمهيد

125.....المبحث الأول: 1. اختيار الألفاظ

126.....1.1 اختيار صيغة عوض أخرى

138.....2.1 اختيار الجمع أو الأفراد

146.....3.1 اختيار لفظة عوض أخرى

157.....المبحث الثاني: 2. التعريف و التذكير

1.2. التعريف

158.....1.1.2 (لغة واصطلاحاً)

159.....2.1.2 أسباب التعريف

160.....3.1.2. التعريف ب"أل"

163.....4.1.2 اسم الإشارة

166.....5.1.2 اسم العلم

169.....2.2. التذكير (لغة)

169.....1.2.2. اصطلاحاً

170.....2.2.2. أسبابه

172.....3.2.2. التحليل

الفصل الخامس: الدراسة التركيبية

تمهيد: مفاهيم عامة (الإعجاز -البيان- النظم - علم المعاني).....177

المبحث الأول :الفصل والوصل

تمهيد186

1.1.- التعريف اللغوي و الاصطلاحي.....187

التحليل:

2.1 - أسلوب الوصل.....191

3.1- أسلوب الفصل.....211

المبحث الثاني:2. من الأساليب المستخدمة

1.2 أسلوب النداء :.....215

1.1.2 التعريف215

2.1.2. - حروف النداء216

3.1.2- التحليل.....218

2.2.أسلوب الاستفهام:

1.2.2.- أدواته.....225

- التحليل226

الفصل السادس: الدراسة البلاغية

تمهيد (مدخل الى البلاغة).....235

المبحث الأول:1. التقديم و التأخير

• 1.1.المفهوم.....238

241.....	2.1. تقديم المعمول على العامل	•
242.....	1.2.1. تقديم الجار والمجرور	
244.....	2.2.1. تقديم الخبر على المبتدأ	
251.....	3.2.1. تقديم خبر النواسخ على اسمها	
254.....	4.2.1. تقديم المفعول به	
256.....	3.1. تقديم لفظ على آخر	•
257.....	1.3.1. التحليل	

المبحث الثاني: 2. التصوير البياني

265.....	1.2. المفهوم	•
269.....	2.2. التحليل	•
270.....	1.2.2. قصة نوح-عليه السلام-	•
273.....	2.2.2. قصة هود. -عليه السلام-	•
275.....	3.2.2. قصة صالح-عليه السلام-	•
277.....	4.2.2. قصة لوط. -عليه السلام-	•
280.....	5.2.2. قصة شعيب-عليه السلام-	•
283.....	6.2.2. قصة موسى-عليه السلام-	•
292.....	خلاصة	•

297..... خاتمة

303.....	قائمة المصادر و المراجع
----------	-------------------------

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، و الصلاة والسلام على من شرفه رب العالمين بما تنزل به الروح الأمين على قلبه بلسان عربي مبين ليكون نذيراً ورحمة للعالمين...وبعد فالخطاب القرآني أسلوب منقطع النظير أعجز البشر قديماً وحديثاً ولا يزال ، و إذ نقصد بالأسلوب الطريق والمنهج فلكل أمر طريقة يأتي عليها ، وهذا هو طريق القرآن في خطابه يوجهه إلى البشر بطريقة معجزة قابلة للفهم والتأويل إذ كيف يسحر سامعيه إذا لم يتوفر فيه شرط الفهم؟ ومن أجل الفهم اللغوي والدلالي للقرآن الكريم اخترنا هذه الدراسة بمنهجها الأسلوبى لتتبر لنا درب الأسئلة الكثيرة التي كانت تجول بخاطرنا وآثرنا أن تكون بهذا العنوان.

" في تحليل خطاب القصص القرآني "

مقاربة أسلوبية (نحوية – بلاغية) بين سورتي الأعراف وهود.

- هي دراسة في الأسلوب القصصي الذي ورد بصورة منظمة مرتبة في القرآن الكريم شدنا الانتباه إليها أثناء قراءتنا لكتاب الله - عز وجل - عدة مرات وكنا نجد ذلك التشابه بين السورتين ، وفي كل مرة نكرر القراءة عسانا نجد سر ذلك التشابه، فتبلورت هذه الفكرة بعد قراءات متعددة لكتب التفسير والتحليل اللغوي ومن أهمها " في ظلال القرآن لسيد قطب " الذي أشار فيه إلى الشبه الموجود بين سورة الأعراف وسورة هود "فأما هود فهي شديدة الشبه بالأعراف موضوعا وعرضا وإيقاعا ونبضا...ثم تبقى لكل سورة شخصيتها الخاصة، ولامحها المميزة بعد كل هذا التشابه والاختلاف"¹ وهي نفس الفكرة التي كانت تجول بذهني وحينها بدأت أجد ضالتي، وما زاد تبلورا

¹ (سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة الشرعية 32، القاهرة 2003، المجلد 02 الجزء 12 الصفحة 1844.

للفكرة قراءة كتب المحكم والمتشابه وهي من أمهات التفسيرات اللغوية حيث أشارت إلى ظاهرة التكرير وأسبابها اللغوية والبلاغية.

- فإشكالية البحث تتمثل في:

- ظاهرة التكرير في جميع القصص هل كانت لغرض واحد هو التأكيد على نفس المعنى أم لإعطاء دلالات جديدة أفضت إليها بعض التنوعات الأسلوبية الدقيقة (الصوت، الكلمة، الجملة والصورة) ؟

- هل الترادف ظاهرة شكلية فقط، أم أن حقيقته دلالات متباينة ؟

- ما مدى حصول الاتساق والانسجام بين النصين حتى وإن تنوعت الظاهرة الأسلوبية؟

- ما هو الدور الذي تلعبه الظاهرة اللغوية في التأويل الدلالي للنص القرآني؟.

- كيف يعمل (النحو والبلاغة) معاً لفهم النص تأكيداً لنظرية النظم إذ لا يجوز الفصل

بينهما؟.

المنهج:

أما عن المنهج الأسلوبي فقد اخترناه بعد قراءتنا لأهم الكتب الأسلوبية و النظريات اللسانية الحديثة والاطلاع على أهم ما جاء به العلماء في هذا الباب ، لكن الصورة بقيت غامضة حتى اطلعنا على أهم ما جاءت به نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني والأمور البلاغية عند السكاكي والجاحظ إذ وجدنا اهتماماً شديداً بالجانب الدلالي في النص القرآني انطلاقاً مما هو نحوي بلاغي، فالمنهج الأسلوبي الحديث اهتم بعدة جوانب أهمها المستويات اللغوية بعدما توطدت العلاقة بين دراسة اللغة ودراسة الأدب على يد جاكوبسون حينها بدأ اللغويون يقبلون على الدراسة الأدبية بأساليب لغوية وفق منهج سميّ بالأسلوبية وقد أكد ستيفن أولمان على أن الأسلوبية موازية للسانيات وليست فرعاً منها مادامت الأسلوبية تتخذ منظوراً متميزاً عن منظور اللسانيات فإذا كانت هذه الأخيرة تعنى

بالعناصر اللسانية فإن الأسلوبية تعنى بالقوة التعبيرية لتلك لعناصر ، بإمكان ومنه انقسمت الأسلوبية إلى المستويات نفسها التي تنقسم إليها اللسانيات، أي المستوى الصوتي والمستوى المعجمي والمستوى النحوي... صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته) ص 138.

لذلك فالعامل على مثل هذه الدراسات يتطلب منه الإلمام والإحاطة بشتى صنوف العلوم أهمها :

- التبحر في الأصوات .

- التبحر في علم التصريف.

- التبحر في علم النحو.

- التبحر في علم البلاغة.

وقد جاء في البرهان " وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها ،فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين " ¹

" فالمعرفة الواسعة والتبحر في علوم اللغة من ألزم الأمور للتفسير، وهي للمفسر البياني ألزم " ²

إذن فالمنهج الأسلوبي الحديث في صورته اللغوية هو الجمع بين علوم اللغة المختلفة والتي تتضمنها تحت لواء النحو والبلاغة.

¹ (الزركشي ،البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،مصر 1957 ج2، ص13.

² (فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، النشر العلمي جامعة الشارقة ،د ط ،الإمارات العربية المتحدة 2002، ج 01، ص08 .

أما عن موضوع التكرار في القصص والقرآن ككل فهي قضية تطرق إليها الأولون، كل بطريقته وتحليله الخاص، فمثلا من كتبوا في متشابهات القرآن قديما تنبهوا إلى قضية منهجية مفادها الوصول بعد التحليل إلى تحديد مبدأ اللا ترادف بسرد الآية وما يشابهها من الآيات في باقي القرآن.

وقد اخترنا طريقة أخرى في التحليل وهي تحديد العنصر والعنوان ثم نستقي ما وجد في المدونة ما بين السورتين ونبين حالات التشابه والاختلاف، كأن نقول مثلا في الفصل الإفرادي (التعريف والتكثير) فحالات التعريف كثيرة في اللغة، نحدد أولا نوع الحالة منذ البداية (اسم إشارة، العلم، التثنية...) ونبحث عن الظاهرة في كلتا المدونتين لنصل إلى الخلاصة والاستنتاج، مع العلم أننا كنا نضطر في أكثر من موضع إلى أن نشير لآيات من سور أخرى في القرآن من أجل استيضاح الظاهرة بشكل مفصل ما يزيد الفكرة تحليلا ووضوحا.

ومسألة اختيار العنوان والمادة طريقة آثرناها بعدما قضينا مدة في جمع المادة وتحديد العينات إذ تشعبت الأمور ولم نجد طريقا واضحا في كيفية انطلاق الدراسة والتحليل اخترنا هذه الطريقة ونحسبها الأنسب -والله أعلم-.

خطوات البحث:

عالجنا إشكالية البحث وفق محاور أدرجناها في ستة فصول وهي :

الفصل الأول: (مدخل إلى الدرس الأسلوبي) يتعرض للمنهج الأسلوبي من حيث النشأة

و التطور و أبعاده في الدرس الغربي والعربي وأهم أعلامه.

الفصل الثاني: (بطاقة تعريفية عن مدونة الدراسة) أي في "سورتي الأعراف و هود"

نكشف عن سرّ التسمية وأسباب النزول والهيكل العام لكل سورة ومنه تظهر أوجه الشبه أو الاختلاف في المواضيع.

الفصل الثالث: (الدراسة الصوتية) ويسلط الضوء على الخصائص الصوتية للآليات

وفواصلها مع استخراج أبرز الظواهر الصوتية وتحليلها في ضوء علم القراءات والتجويد.

الفصل الرابع : بعنوان الدراسة الإفرادية ويتعرض لعدة مسائل صرفية مفرداتية بصورة

انتقائية أهمها: المبحث الأول: اختيار الألفاظ والصيغ.

والمبحث الثاني: يتعرض لظاهرتي التعريف والتذكير.

أما التعريف فبصورة محددة لأهم العلامات لأنه موضوع موسّع ويطول الحديث فيه وكان

اختيارنا لحالات التعريف التالية (ال - اسم الإشارة- اسم العلم) لأنها الأكثر شيوعاً ، ثم التذكير

وهو خلو المفردة من كل علامات التعريف لنصل إلى استخراج الأغراض الدلالية لكل منهما

(التعريف والتذكير).

الفصل الخامس: الدراسة التركيبية

يتعرض المبحث الأول لظاهرتي الفصل والوصل وما لهما من بالغ الأثر في تحقيق التماسك

النصي في القصة الواحدة أو السورة عامة.

والمبحث الثاني يختار بعض الأساليب اللغوية والموظفة في القصص بصورة مكثفة إذ

تكشف الدراسة التحليلية عن القوة التعبيرية لأسلوبي النداء والاستفهام ودورهما الهام في تفجير

الدلالة من أبسط تركيب.

الفصل السادس : الدراسة البلاغية.

يعالج المبحث الأول منه أسلوب التقديم والتأخير وهو من المواضيع العريقة والأصيلة في

التراث العربي، إذ ما فتئ هذا الأسلوب يفضي بعجائب تعبيرية جمّة تصنع التنويع الدلالي

بطريقة شطرنجية (تغيير القطع عن موضعها) لا يصنعها غيره من الأساليب.

أما المبحث الثاني فقد خصصناه **لِلدراسة البيانية**، والبيان علم يبحث في اختلاف الأساليب لأداء المعنى الواحد بصورة جمالية.

وفي هذين الفصلين الأخيرين يبدو المزج واضحاً بين أبواب البلاغة والتركيب ، إذ من القضايا التركيبية ما تعالجها البلاغة والعكس ، وهذا إجراء منهجي يوحى بمدى الصلة والقربة بين العمليتين وهو مبدأ أصيل في التراث العربي إذ ما فرّق بين العلمين إلا التقسيمات الحديثة بين العلوم ولكنا نقرّ أن النحو ينظر إلى الظاهرة اللغوية وفق مطابقتها لمعيار النظام اللغوي ، أما البلاغة فتراعي المطابقة لمقتضى الحال والجوانب الجمالية والإعجازية في الظاهرة اللغوية.

المراجع المعتمدة:

أما عن مراجع البحث فهي متنوعة حسب تنوع فصول الدراسة إذ يمكن تقسيمها حسب ما يلي:

مصادر - معاجم - مراجع نظرية منهجية - دراسات قرآنية.

أما المصادر ، فالمصدر الأول للبحث هو القرآن الكريم مصدر إلهامنا لهذا الموضوع ومحور دراستنا لسوره وآياته.

والمصادر الأخرى هي كتب التفسير المتنوعة بدءاً بتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والتفاسير اللغوية كتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور الذي أفادنا كثيراً في تحليل الظواهر التركيبية والنحوية، وتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري الذي أفادنا أيضاً في المسائل البلاغية، و ضف إلى ذلك عدة تفاسير أخرى من مسائل متنوعة كـ " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي " ، و "في ضلال القرآن " لسيد قطب الذي وضّح لنا عدة مسائل تصويرية بيانية بصورة حديثة.

إضافة إلى ذلك فقد اعتمدنا كثيرا على كتب المتشابه في القرآن الكريم ، نظرا لما تحمله من تشابه في طرح اشكالياتها وإشكالية بحثنا في عقد الموازنة بين سورتين مختلفتين من القرآن الكريم ومن أهم تلك الكتب نذكر:

- ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، الذي كان سندي في تحديد الدراسة ومنهجها لما كثرت أمامي السبل والمناهج فعثوري عليه كان فتحا عظيما فرحت به أيما فرح ،وبعدها توالى عناوين الكتب في هذا الباب أعاننتي بدورها كثيرا أهمها:
- الجمان في تشبيهات القرآن (ابن نايقا البغدادي).
- درة التأويل (الخطيب الإسكافي).
- ودراسات أخرى في لغة القرآن تعد أيضا من الأوائل في معالجة الظواهر النحوية والبلاغية في وقت مبكر جدا أهمها:

- البرهان في علوم القرآن (للزركشي)

- دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة (للجرجاني).

- الإتقان في علوم القرآن.(للسيوطي)

ثم المعاجم الأصيلة في شرح المفردة ك :

- مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس.

- لسان العرب لابن منظور.

- الصحاح للجوهري.

أما الكتب النظرية المنهجية فنعني بها تلك التي استعنا بها في فهم الأسلوبية كمنهج حديث

سواء عند الغرب أو عند العرب قديما وحديثا نذكر بعضها.

- الأسلوبية و الأسلوب لعبد السلام المسدي.
 - الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي لعبدان حسين قاسم.
 - البنى الأسلوبية لحسن ناظم.
- وإن كنّا أشرنا إلى دراسات هامة في النص القرآني من التراث اللغوي أفادتنا في دراستنا، لا ننفي أيضا إفادتنا من الدراسات الحديثة وهي ثرية ووفيرة في مجال دراسة النص القرآني نذكر منها:
- التناسب البياني في القرآن (دراسة في النظم المعنوي والصوتي) لأحمد أبو زيد .
 - لسانيات النص (لمحمد خطابي).
 - قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج التأويل الإعجاز) للهادي الجطلوي.
- الصعوبات:** إن طريق البحث والمعرفة ليست طريقا محفوفة بالورود والأزهار، وإنما هي عملية شاقة مرهقة كلها عقبات وعراقيل، وأطيب ما فيها تلك العراقيل التي تنتذل أمام الإصرار على البحث والحرص على الوصول.
- أول الصعوبات هو شساعة الموضوع الذي يحتاج إلى حصر وتحديد فالخوض في جميع القضايا الأسلوبية هو مؤلفات مطوّلة .
 - تنوع المراجع الذي تفرضه طبيعة الموضوع حيث وجدنا صعوبة في الحصول على بعض أمهات الكتب ما جعلنا نستجد بالنسخة الإلكترونية كـ " درة التنزيل وغرّة التأويل للإسكافي.

- المنهج الأسلوبى المقارن ، يعتبر فى حد ذاته جمع لعدة مناهج حيث يأخذ من المنهج التحليلى والمنهج الإحصائى والوصفى، وهذا يتطلب إحاطة وإلمام بآليات كل منهج على حدة بطريقة علمية موضوعية.
 - ولا نحسب هذه الأمور حواجز تعيقنا عن إتمام البحث بل هى لذة البحث وحلاوته إذ كانت تدفعنا إلى المزيد من الكد والاجتهاد.
- وفى الأخير أوجه جزيل شكرى إلى أستاذى الفاضل د. عمار الساسى الذى تتبع هذا البحث منذ أن كان مجرد فكرة ، ولم يبخل علىّ بملاحظاته الدقيقة التى كانت تقوئما له حتى أصبح عملاً مستوياً، والحقيقة أقول أن أستاذى الفاضل زرع فىّ حب البحث والعلم ودراسة كتاب الله- عز وجلّ- منذ أن كنت طالبة عنده فى السنة الأولى ليسانس ثم الماجستير إلى أن تبوأ بعون الله وحمده منزلة الدكتوراه فله منّا جزيل الشكر ومن الله جزيل العطاء.

الفصل الأول

مدخل إلى الدرس الأسلوبي

1. مفهوم الأسلوبية.

1.1 التعريف اللغوي:

جاء في جمهرة اللغة لابن دريد (321هـ) " سلبت الرجل وغيره و أسلبه سلبا، وقالوا سلبا فهو سليب ومسلوب. وقال قوم من أهل اللغة. السلب مصدر والسلب ما يؤخذ من المسلوب ومنه السلاب أي الثياب السود تلبسها النساء في المآتم وعليه قول لبيد بن ربيعة، في السلب السود وفي الأمساح (1)

"ويقال أنف فلان أسلوب إذا كان متكبرا وعلى معنى الأخذ يأتي قولهم ، الأسلوب ، الطريق ، والجمع أساليب من القول أي في فنون منه (2)

وعن الزمخشري ورد قوله " سلكت أسلوب فلان : طريقتهإن قولهم أنف فلان في أسلوب، عناية عن التكبر فهو لم يلتفت يمينة ولا يسرة" (3)

وجاء في لسان العرب عن مادة أسلوب "ويقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب . قال : والأسلوب الطريق والوجه، والمذهب. يقال أنتم في أسلوب سوء . ويجمع أساليب والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن.

يقال: أخذ فلان في أساليب القول أي أفانين. (4)

¹ (ابن دريد، جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د.ت، ج¹ ص 289.

² (ابن دريد، جمهرة اللغة ، ج 1 ص 289.

³ (الزمخشري، أساس البلاغة ،تح باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ط 1 ، بيروت 1998 ج 1 ص 468.

⁴ (ابن منظور ، لسان العرب المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة 1300هـ، ج 17، ص 456.

كما أن الزبيدي في قاموسه (تاج العروس) لا يزيد شيئاً على ما ذكره ابن منظور في لسان العرب حول كلمة أسلوب وباعتبار ما سبق من تعريفات في معاجم تعتبر من أهم المعجمات العربية يمكن أن نقول أن "كلمة أسلوب مهيأة لأن تشحن بمعنى اصطلاحى معين في اللغة العربية ما دامت صلتها ضعيفة بأصل مادتها "سلب" (1)

هذا في اللغة العربية أما في اللغات الأجنبية فمصطلح Stylestique يتكون من جزئين Style واللاحقة ique و style كلمة تعود إلى اللغة اللاتينية حيث كان يعني عصا مدببة تستعمل في الكتابة على الشمع (2) . ويرى الباحثون الفرنسيون أن أصل الكلمة يعود إلى الكلمة اللاتينية stilus التي تعني إزميلا معدنيا ، كان يستخدمه القدماء في الرسم على الألواح "أي مثقب يستخدم في الكتابة ، هو طريقة في الكتابة وهو استخدام لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدد معنى الاشكال وصوابها " (3)

والمنتبع لهذا المصطلح في الكتب المتخصصة لا يكاد يهتدي إلى تعريف واحد وموحد بل هي مجموعة من المفاهيم والتعريفات قد تصب في الأخير في مصب واحد، وهذا ما أشار إليه بيار جيرو بقوله " إذا عدنا إلى القواميس فسنرى أنها تقترح علينا ما لا يقل عن عشرين تعريفا لهذه الكلمة ، يذهب أهمها ؛من طريقة التعبير عن الفكر إلى طريقة العيش ، مروراً بالطريقة الخاصة لكاتب من الكتاب أو لفنان فالأسلوب يعرف ضمن حدوده بالسمة الخاصة لفعل من الأفعال " (4).

¹ (شكري عياد، اللغة والابداع (مبادئ علم الأسلوب العربي) أنترناشيونال برس ، القاهرة 1988 ص 15.

(6) Charles Kay Ogden, the general basic english dictionary p 366.

³ بيار جيرو ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الاقتصادي، ط، لبنان، د ت، ص 17.

⁴ بيار جيرو ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي لبنان د ت ص 10.

وقد وجدنا أن المعجم الإنجليزي Oxford يشير في تعريف لمصطلح الأسلوبية قريب إلى التعاريف الاصطلاحية المعروفة عند أصحاب هذا الميدان من العلوم اللغوية والنقدية " هي ذات ارتباط بالأسلوب ، تدرس الظاهرة الأدبية الفنية " (1)

2.نشأة الأسلوبية:

1.2.عند الغرب :

لقد بدأت الأبحاث الأولى في الأسلوبية منذ القديم كشذرات من الدرس البلاغي والأدبي بداية من عهد أرسطو حينما ربطه بالبلاغة ولم يربطه بالشعر إلى غاية العصر الحديث عصر الأسلوبيات مروراً بالعصور الوسطى، وما شهدته من آراء كثيرة في هذا المجال، تعتبر إثراء وتمهيدا للدرس الأسلوبي الحديث، ومن أهم تلك المحطات تلك المقولة الشهيرة لـ"بوفون" # BUFFON (1707-1788) "الأسلوب هو الرجل نفسه" أو الإنسان نفسه بمعنى أنه مرآة صاحبه تبرز مزاجه وطريقته في التفكير ورؤيته إلى العالم، والتي أفرزت مفهوم الأسلوبية على يد فون دير قابلنتر سنة (1875) أي أن الانزياحات اللغوية والبلاغية في الصناعة الأدبية تفصيلات خاصة يؤثرها الكاتب، لأن المبدع في العملية الإنشائية يميل إلى اختيار كلمات واستعمالات دون غيرها يراها تعبّر عن نفسه (2)

ثم تصل إلى المحطة الهامة في حياة كل الدراسات اللغوية والتحليلية ألا وهي "محاضرات في اللسانيات العامة"لفرديناند دي سوسور هذه المحاضرات التي جددت آليات دراسة اللغة وأسهمت بقوة في ظهور علم اللسانيات الحديثة؛ حينما فرّق في دراسته للسان البشري بين اللغة والكلام

(1) – Dictionary of oxford . oxford university press .2000 ,printed in china ,new edition

..p 286

(2) – عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1980، ص 151.

وكان أول من ميّز بينهما تمييزاً علمياً دقيقاً، فاللغة هي ذلك الجانب الاجتماعي المتعارف عليه بشكل رموز بين أفراد المجتمع، وذلك الجانب الفردي والمتمثل في تلك الاستعمالات الفردية على الواقع.

و تأتي بعد سوسور تلك القراءة الجيدة التي قام بها تلميذه شارل بالي*¹ CHARLES BALLY (1865-1947) للكتاب والتي تمخّض عنها مؤلفه الأول "محاولات في الأسلوبيات الفرنسية الذي أصدره سنة 1902 والثاني "المجمل في الأسلوبيات" سنة 1905

وقد ذهب إلى أن اللغة هي مجموعة من وسائل التعبير عن الأفكار الموجودة في النص، وأن علم الأسلوب يهتم بدراسة تلك الوسائل التعبيرية التي تستخدم في اللغة للتعبير عن أفكار معينة.

ويُعد علم الأسلوب فرعاً من فروع علم اللغة ، ولكن الأسلوب يختلف عن علم اللغة في أنه لا يُعنى باللغة في ذاتها أو من أجل ذاتها، بل يُعنى بالطاقات التعبيرية للغة ولكنه في نفس الوقت يعتمد في دراسته على مستويات اللغة المختلفة الصوتية والتركيبية والمعجمية⁽²⁾

"إن علم اللغة يدرس ما يقال في اللغة أما علم الأسلوب فيدرس كيف يقال ما في اللغة، أو أن الأسلوب هو ما يتركه علم اللغة ، وإذا كان علم اللغة وصفيّاً. والنقد الأدبي تقييماً على ما يقول اللغويون فإن علم الأسلوب وصفي تقييمي"⁽³⁾

وقد ظهر بعد شارل بالي بعشر سنوات مذهب آخر سمي بعلم الأسلوب الجديد نسب إلى العالم الألماني "ليوسبتزر" (1887-1960) leo spitzer إذ يمكن القول أن أغلب المناهج الأسلوبية

¹ وهو الذي جمع محاضرات أستاذه دي سوسور ونشرها رفقة زميله ألبير سيشهاي.

⁽²⁾ شكري عياد ، اتجاهات البحث الأسلوبي (دراسات أسلوبية اختيار وترجمة وإضافة) ، دار العلوم (للطباعة والنشر) ط 01، الرياض 1985، ص 96.

⁽³⁾ عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي. مجلة فصول، القاهرة يناير 1981، مج 01 العدد 02، ص 117.

الحديثة تعتمد عليه إذ أنه يرى أن "الأسلوبيات تحلل استخدام العناصر التي تمدّها اللغة في استعمالاتها المنتظمة، وهو استعمال يوصف بالسمة الأسلوبية التي هي انحراف أسلوبى فردي عن الاستعمال العادي"⁽¹⁾

فبالأسلوبية إذن تأخذ منحىً جديداً يفرق بين ما هو استعمال فردي خاص له سمات مميزة عن السمات العامة والمتعارف عليها في الاستعمالات العادية

"ترصد أسلوبية سبترز علاقات التعبير بالمؤلف لتدخل من خلال هذه العلاقة في بحث الأسباب التي يتوجه بموجبها الأسلوب وجهة خاصة في ضوء دراسة العلاقات القائمة بين المؤلف ونصه الأدبي، إن أسلوبية سبترز تبحث عن روح المؤلف في لغته، ومن هنا إتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو نفسي وما هو لسانى"⁽²⁾

فالخصائص النفسية هي التي تؤثر في الأعمال الأدبية لتجعلها مختلفة عن بعضها البعض .

وما فتئت العلاقة تتوطد بين دراسة اللغة والأدب إلا بعد أن أصدر جاكوبسون Jakobson محاضرة بعنوان "اللسانيات والشعريات" عالج فيها إمكانية قيام المصاهرة بين اللسانيات والصناعة الأدبية . فبشر يومها بسلامة بناء الجسر بين إقليمين هما اللغة والأدب، فاكتملت حلقات الأسلوبيات بصنيع جاكوبسون⁽³⁾

وإن عدنا إلى رأي ستيفن أولمان Steven Ullman في هذا المجال فإنه يرى أن " الأسلوبية موازية لللسانيات وليست فرعاً منها ما دامت الأسلوبية تتخذ منظوراً متميزاً عن منظور اللسانيات، فاللسانيات تعنى بالعناصر اللسانية نفسها في حين تعنى الأسلوبية بالقوة التعبيرية للعناصر

⁽¹⁾ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984، ص 121.

⁽²⁾ حسن ناظم، البنى الأسلوبية (في أنشودة المطر للسياب) المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت 2002، ص 34.

⁽³⁾ رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، غنابة 2006، ص 18.

اللسانية ولهذا فإن بإمكان الأسلوبية أن تنقسم على المستويات نفسها التي تنقسم إليها اللسانيات، أي المستوى الصوتي والمستوى المعجمي والمستوى النحوي. فالأسلوبية الصوتية تعني بوظيفة المحاكاة الصوتية وغيرها. وتعني الأسلوبية المعجمية بالبحث في الوسائل التعبيرية للكلمات وحالات الترادف والتضاد... الخ وتعني الأسلوبية على المستوى النحوي باختيار القيم التعبيرية للبنى النحوية على مستوى بنية الجملة ترتيب الكلمات والنفي والإثبات وغيره، ومستوى الوحدات العليا المتألّفة من جمل بسيطة ، إذ يتناول هذا المستوى ما تكون عليه اللغة من المباشرة أو غير المباشرة⁽¹⁾

2.2. عند العرب:

انتقلت فكرة الأسلوبية إلى الدراسة العربية فكتب فيها الكثيرون وكانت المحاولات الأولى تحاكي الدرس الغربي بمجمله في بعض الأحيان أو تأخذ من التراث البلاغي مجملاً دون تحديد الخلاف الموجود.

ونحاول هنا اختصار تلك المحاولات العربية في محطات اعتبرها الدارسون من أهم النقاط الممكن اعتمادها والرجوع إليها في الدرس العربي الحديث.

دراسة أحمد الشايب التي تعود إلى سنة 1939 عندما أصدر كتاباً بعنوان "الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية " حاول فيه أن يعيد صياغة البلاغة العربية انطلاقاً من خصائصها الجوهرية التي جعلتها دائماً متميزة عن غيرها⁽²⁾

وهذه الخصائص - حسب رأيه - هي:

⁽¹⁾ صلاح فضل، علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته) ط 2 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1985، ص

⁽²⁾ رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب ص 20.

1- أن البلاغة أقرب إلى الناحية الفنية الإيجابية لأن لها قواعد ترشد إلى الإنشاء الصحيح لتأليف الكلام وإلى أوفق الكلام لمقتضى الحال.

2- تعتني البلاغة بالأسلوب، فالأفكار التي يود الكاتب التعبير عنها ترسمها له البلاغة، وفق خطة معينة.

3- إن البلاغة مفيدة لكل ضروب العلم الإنسانية (أدب، تاريخ . نقد. تربية - تدريب كتابة) فهي علم نافع للأديب والناقد والمؤرخ ولكل كاتب أو متكلم أو خطيب أو مدرس فإنه ينبير أمام هؤلاء جميعا ويعينهم على أن تكون آثارهم اللغوية مفيدة ،ممتعة ومؤثرة لأنها تعين على تغذية العقل والروح.⁽¹⁾

ومن أجل معرفة مفهوم علم الأسلوب لديه نتبعنا قول . الكواز. بعدما تقصّى هذا الموضوع جيدا في كتاب الشايب فوجد بأنه لا أثر لتعريف الأسلوب عنده إذ عرّفه ثمانى مرات أو أكثر ولما يستقر على واحد منها.

" ونظن أن مرجع تردده في تحديد الأسلوب يعود إلى جملة أمور منها، أنه بنى كتابه على تجديد البحث البلاغي العربي فادخله هذا مدخلا شائكا⁽²⁾ ، وقد وجد له عذرا في ذلك حيث يقول أن السبب" هو أن الشايب أراد التجديد بخلط البلاغة العربية ذات الأصول العريقة الضاربة في التراث العربي بالأسلوبية الغربية التي نشأت في العصر الحديث مواكبة لحركة التجديد في علم اللغة "⁽³⁾

*-محاولة أخرى صدرت سنة 1947 بعنوان "فن القول" أمين الخولي ولا تكاد تتجو من نفس المأزق الذي وقع فيه الشايب، إذ حاول الموازنة بين البلاغة والأسلوبية باعتماد مرجعين أولها

¹ (أحمد الشايب ، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة المصرية ، ط 08 ،القاهرة 1991، ص 15،16،17.

² (محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط 02،طرابلس ليبيا2008، ص 62 .

³ (المرجع نفسه، ص 63 .

عربي تراثي وهو البلاغة في شروح التلخيص (للقزويني) وثانيهما غربي حديث وهو الأسلوب الإيطالي (لباريني)، ويبحث فيه عن معنى الأسلوبية⁽¹⁾

* - محطة أخرى هامة وهو الكتاب المعروف والمتداول بين المهتمين بالأسلوبية في الدرس العربي "الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب ، لعبد السلام المسدي .. و الذي استقبله النقاد والدارسون ببهجة نظرا لتوضيح عدة نقاط هامة في موضوع الأسلوبية الحديثة والتي كانت غامضة من قبل القارئ العربي ولم يتمكن من سبقه في هذا المجال من توضيحها خاصة وأنه زود الكتاب بمعجم خاص. بالمصطلحات الأسلوبية (عربي فرنسي) وبهذا استفاد وأفاد من تحكمه الجيد باللغتين (العربية والفرنسية)

* - ثم يظهر كتاب آخر مهم وهو "البلاغة والأسلوبية" لمحمد عبد المطلب الذي قيل عنه أنه "جهد رائع يحقّ للقارئ العربي أن يفتخر به لأنه أسهم في انضاج البذرة الأولى لتأسيس الأسلوبيات العربية وتعميق جذورها في أرضنا العربية كما أشار إلى ذلك صلاح فضل"⁽²⁾ وتبدو أهمية هذا الكتاب من خلال الأبواب التي طرحت فيه وهي:

1- مفهوم الأسلوب في تراث القدامى.

2- الأسلوب في تراث المدينة.

3- الأسلوبيات.

4- البلاغة والأسلوبية

وطبعا بقيت المؤلفات تتوالى في الدراسة العربية والمكتبات تمتلئ بعناوين أسلوبية وأسماء هامة في

هذا الميدان مثل د:شكري عياد، فايز الداية، سعد مصلوح، صلاح فضل-..الخ

¹ رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص 21.

² (المرجع نفسه، ص 24).

وإن كان الكلام يطول في باب التعريفات والمفاهيم فإننا في نهاية هذا العنصر نخلص إلى ما بدأ به حسن ناظم كتابه البنى الأسلوبية بعد بحث مطول مهّد له بقوله:

" لابد أولاً أن نقرّ بالصعوبة البالغة في تحديد مفهوم الأسلوب، فهذا المفهوم - شأنه شأن أية مقولة من مقولات العلوم الإنسانية يختلف تحديده من حقبة إلى أخرى ومن وجهة نظر إلى أخرى... إن تحديدات الأسلوب لا تختلف فيما بينها فحسب. بل تختلف كذلك تجليات المحلل الأسلوبي بشأن الأسلوب فقد يماهى الأسلوب بمفاهيم أخرى كالمعنى والاختلاف، وقد يستتبط محلل أسلوبي معيّن باعثاً ما على طبيعة أسلوب ما، مما يصح أن يكون استتباطه جواباً عن سؤالٍ معيّن: لم اتخذ نصّ ما أسلوباً معيّنًا " (1)

ثم مقولة رولان بارت Roland Barthes التي تعبر عن أسباب حدوث كل هذه الدراسات والدافع إليها "إن العالم مليء بالبلاغة القديمة بشكل لا يصدق".

3. الأسلوبية والعلوم الأخرى :

1.3. الأسلوبية وعلم البلاغة:

نشأت البلاغة عند العرب أول الأمر على أساس السجّية والفترة، يقول الشاعر شعرا ليستأنس إلى تعابير مجازية يجد فيها راحته ويعتقدها أشدّ تعبيراً وصدقاً عن الحالة النفسية التي هو فيها، هذا من جهة الملقّي ، أما من الجهة الأخرى أي المتلقّي الذي يصدر حكماً على ما يسمعه ويطلع عليه رأيه في كون المجاز أو التعابير البلاغية - كما أصبح يعرف فيما بعد - أدت مرادها أم لم تؤده.

⁽¹⁾ حسن ناظم، البنى الأسلوبية ص 13.

ولا داعي أن نذكر في هذا المقام أمثلة كثيرة من الوجوه البلاغية التي وجدت عند العرب قبل الإسلام وقبل مرحلة التدوين وإلا سنجد عدداً عن الصور التي لا يتسع المقام لذكرها (التشبيه- الاستعارة- الكناية بأنواعها المختلفة وأبواباً من علم المعاني:

"فالأدب صناعة والبلاغة عناصر لهذه الصناعة والنقد كشف هذه العناصر في العمل الأدبي والحكم عليه" (1)

ولما أنزل الله عز وجل- كتابه المحكم إلى الناس كافة بلسان عربي مبين عرف العرب حينها قيمة البلاغة وتذوقوها فأبهرتهم رونقة التعابير وسلاسة الأساليب وتنوع التراكيب في إحكام معانيه

"وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مداراً للدراسات البلاغية ومن آيات ذلك أن يؤلف أبو عبيدة كتابه "مجاز القرآن" بسبب آية استغلق فهمها" طلعتها كأنه رؤوس الشياطين" (2)

والمتتبع لمفهوم البلاغة في المراجع العربية يجدها قديمة أصيلة تعود إلى أسماء لامعة في الدرس اللغوي، ولعل عمرو بن عثمان الجاحظ البصري البغدادي (المتوفى 255هـ/868م) في كتابه "البيان والتبيين" هو أول من عنى بإيراد كثير من هذه الأقوال والتعريفات، بعد دراسة اللفظ المفرد نصل مع الجاحظ إلى اللفظ المركب، ونلج باب البلاغة وقد استعرض صاحبنا مختلف التعريفات التي أعطيت للبلاغة، وقارن بين مفاهيمها عند الفرس والهنود واليونان والعرب. وفي ذلك دليل على شمول ثقافته وبعد نظريته.

وقد استقى مفهوم البلاغة عند الفرس من معاصره الفارسي الأصل سهل بن هارون، واستقى مفهومها عند الهند من صحيفة بهلة الهندي معاصره أيضاً، وأخذ مفهومها عند العرب عن صحار

(1) عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، ط 03، القاهرة، 1978، ص 13. وهو ينقل عن عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي ص 101.

(2) عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن ص 14.

بن عباس العبدى في كلام له مع معاوية الذي سأله عن البلاغة فقال: الإيجاز. والإيجاز يعني الإجابة دون خطأ أو إبطاء. كما استشهد عليها بقول بعض الأعراب الذي سئل عن البلاغة فقال: الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خلل. ويفضل الجاحظ التعريف التالي للبلاغة: «وقال بعضهم- وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه- لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك " (1).

وجاء بعده من أضاف إليها تعريفات أخرى لا تختلف كثيراً عما ذكره. وقد ظلت هذه التعريفات تنتقل من كتاب إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، وكل جيل يضيف إليها أو يحور فيها حتى انتهى المطاف إلى الخطيب القزويني (المتوفى 739هـ/1341م)، فكان تعريفه للبلاغة على أنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته" (2) فهي صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب وهذا التعريف كتب له من الذبوع والانتشار ما جعله يتردد في كل كتب البلاغة التي تلتها ولم يشذ منها كتاب.

وتتشعب البلاغة - بعد أن تبلورت ملامحها وتحددت معالمها - على يد السكاكي (المتوفى 626هـ/228م) والخطيب القزويني (ت 739هـ/1341م) إلى ثلاثة علوم، هي: المعاني والبيان والبدیع. وكل من هذه العلوم يختلف في مفهومه عن كل من مفهوم العلمين الآخرين، ويدخل في دائرته مباحث تغاير كلاً منهما، على الرغم من اتفاقها جميعاً في أهدافها وغاياته وبذلك أصبحت البلاغة واضحة المقاصد عند العرب إذ هي المعنى الذي يريد المتكلم التعبير عنه وإيصاله إلى السامع فبالبلاغة نتعلم كيفية التعبير بكلام فصيح.

¹ عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، الناشر دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ، مقدمة الكتاب بتصرف.

² القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح لجنة من أساتذة الجامع الأزهر مطابع السنة المحمدية القاهرة د.ت. ج 1

إنّ البلاغة هي "مطابقة بين أسلوب المتكلم والمعنى المراد الإفصاح عنه"¹

وكما أشرنا فإنّ للبلاغة أبواب هي : (علم المعاني علم البيان - علم البديع)

أما الأول (علم المعاني): فقد اهتم بدراسة الخصائص الأسلوبية المطابقة لحال السامع مثل

التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التذكير والتعريف..الخ

والثاني: (علم البيان) فبواسطته يمكن للملقى أن يورد معانيه في طرق مختلفة (المجاز ،

الاستعارة ، الكناية..الخ

والثالث: (علم البديع) فمجاله تحسين الكلام مع مراعاة تطابقه ومقتضى الحال(الطباق،

الجناس، التورية..الخ وإذا كانت البلاغة هي المحسنات والصور البيانية فهل الأسلوبيات

الحديثة تتوقف عند هذه الحدود؟

بالطبع لا فالأسلوبية تتجاوز ذلك ، وقد تعددت مشاربها وفق المناهج الغربية والعربية.

يرى بيار جيرو **Pierre Guiraud** أن "الأسلوبيات بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف،

إنها علم التعبير في نقد الأساليب الفردية ومن ثمة فالبلاغة فن للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت

نفسه- وهي أيضا أداة نقدية تستخدم في تقييم فن كبار الكتاب"⁽²⁾

ويرى فتح الله سليمان أن هذه العلاقة تتمثل أساسا في أن محور البحث في كليهما هو الأدب ، إلا

أن النظرة إلى هذا الأدب تختلف في المنظار الأسلوبي عنها في المنظار البلاغي، فالأسلوبيات

تتعامل مع النص بعد أن يولد ،وهي لا تتطرق في بحثها من قوانين سابقة، أو افتراضات جاهزة

كما أنه ليس من شأنها الحكم على قيمة العمل المنقود بالجودة أو الرداءة أما البلاغة فتستند في

حكمها على النص إلى معايير ومقاييس معينة وهي من حيث النشأة موجودة قبل وجود العمل

¹(محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص 68.

²(بيار جيرو ، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، ط 02 ، سوريا 1994 ، ص 5.

الأدبي في صورة مسلمات واشتراطات تهدف إلى تقويم الشكل الادبي حتى يصل إلى غايته المرجوة... (1)

- أما عند اللسانيين فيدعو جورج مونان النقاد والدارسين إلى وجوب اعتماد النظرة المعيارية للوجه البلاغي القديم، لأن قواعد البلاغة القديمة تساعد على فهم الأدب وأسبابه فهي ما تزال تدقق الوصف، وتصيب إلى يومنا هذا... بفضل قوالها الأسلوبية⁽²⁾
- وقد اهتم شكري عياد بالعلاقة الموجودة بين هذين العلمين (البلاغة والأسلوبية) والتداخلات الموجودة بينهما فوضح بدقة في كتابه⁽³⁾ الفروقات الكائنة كي يتمكن القارئ من معرفة حدود كل علم وقد حاولنا اختصار كلامه في هذا الجدول.

البلاغة	الأسلوبية
- علم قديم	- علم حديث
- اللغة ثابتة	- اللغة - متغيرة ومتطورة
- علم معياري	- علم وصفي
- دراسة محدودة	- دراسة واسعة
- تأثرت بالمنطق العقلاني	- تأثرت بالجانب الوجداني
- تطابق مقتضى الحال	- تطابق الموقف
- محتواة في الأسلوبية	- تحتوي البلاغة

⁽¹⁾ فتح الله سليمان ،الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)،مكتبة الآداب د ط، القاهرة د ت، ص 27.

⁽²⁾ رابح بوحوش ،الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص 49.

⁽³⁾ شكري محمد عياد ،مدخل إلى علم الأسلوب ، دار العلوم ،ط1 ،الرياض 1982 ص 43،44،45 بتصرف.

2.3. الأسلوبية وعلم النحو:

يعود الإهتمام بالدرس النحوي وبصورة واضحة إلى الدرس العربي الأول - المرتبط بالدراسات القرآنية - إذ ارتبطت علوم التفسير بمفهوم النظم الذي هو عندهم توحي معاني النحو " وهو تعلق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض (1)

فقد تبين للقدامي بعد تمعن أنه لا يمكن البحث في إعجاز القرآن إلا بتبيان مواطنه، ولا غرابة أنها مبنية على أساس لغوي والنحو جزء منه " بلسان عربي مبين " فالنحو هو الذي يضمن هذا التعليق ، والصحة معقودة بقواعده والفساد بخرقها " فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه (2)

ومن هذا المفهوم، يمكن اعتبار الجرجاني متجاوزاً للمنظور الإفرادي للألفاظ، ولمنظور الرصيد اللغوي باعتبار الاختيار مخزوناً جاهزاً يتم الانتقاء منه، كما أعطى المزية للطاقة الدلالية للإجراء النظمي فكل تصرف تنبثق عنه دلالة جديدة ولكل نوع من المعنى نوع من اللفظ... (3)

وقد اتفق جل المفسرين واللغويين على أن أسلوب القرآن معجز في اختياره للصورة واللفظة والتركيب إذ أن اختيار اللفظ يستند إلى "النظم استناداً عضوياً، بحيث لا يصح الفصل بينهما،

¹ عبد القاهر، الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت 1998، ط2، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 70، 71.

³ جمال حضري ، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 01، لبنان 2010 ، ص 113، 114.

فالنظم بمثابة السدى الذي يتخلل لحمة النسيج العام، وهو يتمثل في اختيار نظم المادة ، اللغوية على نسق تتكامل فيه الخصائص النوعية للألفاظ مع المميزات العامة لبنية الكلام، بحيث يصبح النص مطبوع من وجهتين - وجهة الألفاظ وهي أجزاء في صلب البنية اللسانية العامة للنص⁽¹⁾

وقد تبين للقداى أيضاً أنه لا فصل بين البلاغة والنحو في مزايا دراسة الأسلوب القرآني، ومن أهم الذين أشاروا إلى ذلك الفخر الرازي بعد أن قرأ جيداً أعمال الجرجاني وتفحص آراءه "فجعل صور البلاغة أو المجاز المثبت عند الجرجاني ضمن بلاغة المفردة التي تقع في دلالة اللفظ العقلية من خلال مقولة المعنى ومعنى المعنى، ثم جعل بلاغة النظم تنتظم الإجراءات الأسلوبية التي درسها الجرجاني في الدلائل وربطها بالدلالة على المعاني في النفس، فيكون معيار إفادة المعنى المقصود مقياساً تفاضلياً فيها فتدخل بذلك مظنة للإعجاز والتحدي بها⁽²⁾ "إن اللفظة إذا دخلت التركيب تتغير حمولتها الدلالية وتصبح لها هيئة مخصوصة وهذا لا ينفي اعتبارها فصيحة من منظور أفرادها قبل دخول الائتلاف"⁽³⁾

وفي الأخير نصل إلى خلاصة هذا الموضوع وهو أن الدراسة العربية إذا حق أن نسميها بالدراسة الأسلوبية الأولى للتراث العربي لا يمكن أن تكون بالبلاغة لوحدها أو بالنحو لوحده منفرداً بل بهما معاً وخير ما وجدناه دلالةً على هذا الموضوع خلاصة لمحمد كريم الكواز كانت حصيلة قراءته لجملة من المؤلفات الهامة لأسماء لامعة في الدرس العربي كالسيوطي في "معترك الأقران" وابن سنان الخفاجي في "سر الفصاحة":

⁽¹⁾ عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة التونسية تونس 1984 ط 02 ، ص 133، 134.

⁽²⁾ جمال حضري، المقاييس الأسلوبية ، ص 115.

⁽³⁾ المرجع نفسه ، ص 116.

"إلا أن الإعجاز البلاغي لا يكون إلا بمزج الجنس (جنس كلام العرب) بالبلاغة، أي أن القرآن الكريم معجز بجنسه وأسلوبه وبما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحد الذي يقدر عليه البشر، وهذا ما لا يفسر اعتراض بعض العلماء على تعليق الإعجاز بالأسلوب وحده، وهم يريدون به النوع الأدبي أو الجنس الأدبي لأن ذلك يعني أن الابتداء بأسلوب الشعر معجزة فقالوا دفعا للالتباس بأن يكون الجهة المعجزة في القرآن معروفة بالتفكر في علم البيان، أي أنهم يريدون خصائص فريدة، تقع في نظم القرآن ليكون أسلوبا مخصوصا أو نظاما مخصوصا منطلقين من مبدأ عام هو أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر و أشق إذ أن ألفاظ القرآن، من حيث انفرادها قد استعملتها العرب، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك لفضيلة التركيب"⁽¹⁾

هذا في الدراسة العربية القديمة والتي ما تزال منهلا وموردا للدراسات العربية الحديثة تأخذ منها وتحتكم إليها إذا ما استعصى عليها أمر أو تشعبت الآراء والنظريات.

أما فيما يخص النظريات الحديثة فإن من أبرز الذين اهتموا بالجانب النحوي، المدرسة التوليدية التحويلية حيث أظهرت أن "ما يتطلب في النظرية اللسانية هو شيء أكثر من مجرد كون النحو القائم عليها يولد كل الجمل النحوية في لغة ما، ذلك أن مسألة "الاختيار" التي تقود إلى النظر في الأسلوبيات تكشف دراسات اللسانيين في أمريكا الشمالية عن مقاربتين لمسألة ما يشكل الأسلوب وقد مثل الدارسون لهذا بمقاربتين هما⁽²⁾:

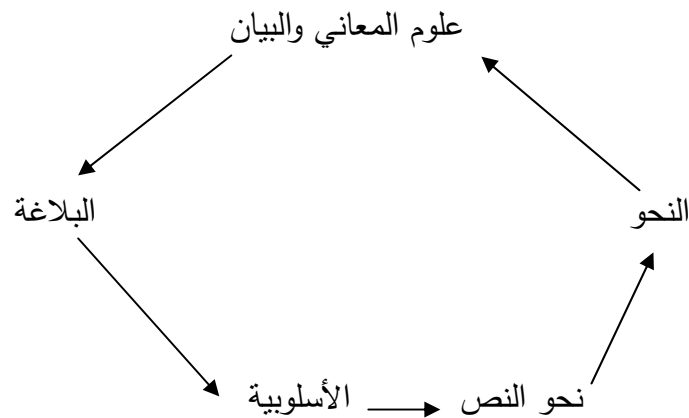
¹ محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، ص 291.

² (رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، ص 53.

1- "برناربلوخ" Bernard Bloch والذي يعرف أسلوب الخطاب بأنه الرسالة المحمولة بوسطها توزيعات التواتر والاحتمالات الانتقائية لسماته اللغوية وبالخصوص من حيث تختلف هذه التوزيعات وهذه الاحتمالات عن تلك التي تختص بها اللغة ككل.

2- "أرشيبالدهيل" Archibald Hill والذي يرى أن الأسلوب هو الرسالة المحمولة بواسطة العلاقات بين العناصر اللغوية الواقعة في نطاق أوسع من الجملة أي في النصوص أو في خطاب ممتد.

وفي الأخير نخلص إلى أن العلوم الحديثة المهمة بدراسة النصوص في لسانيات النص والأسلوبية والسيما تصبو جميعها إلى دراسة الحدث الكلامي وإعطاء تفسيرات واضحة عن واقعه، وأن العلوم وليدة بعضها البعض يقوم الواحد منها على أنقاض الآخر، حيث قال بعضهم: أن لسانيات النص كعلم حديث وريث للبلاغة القديمة بعد أن مرت بمرحلة الأسلوبية وأن تلك البلاغة القديمة كانت في وقت ما شديدة الصلة بعلم النحو، وهي في الأصل حلقة مغلقة يفضي بعضها إلى بعض وفيما يلي مخطط يوضح هذه السلسلة⁽¹⁾



⁽¹⁾ -محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001، ص 97 .

فمنذ وقت غير بعيد كانت بعض الظواهر النصية تابعة للأسلوبية وكانت قبل ذلك تابعة للعلوم البلاغية. وفي النزعة الحالية القائمة على إحلال نحو النص محل الأسلوبية ما يحمل على القول بإمكان إرجاع الظواهر الأسلوبية إلى الظواهر النحوية الدلالية.

وفي هذه الحركة ما يشبه الإنغلاق، والدور والعود إلى ما بدأ عند سيبيويه والنحاة الذين لقوا لفظه حتى عصر عبد القاهر الجرجاني، وقبل أن يقيم السكاكي بمفتاحه الحدود بين العلوم اللغوية فيفصل فيها بين علم الصرف وعلم النحو وعلم المعاني وعلم البيان⁽¹⁾

⁽¹⁾ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، مؤسسة العربية للتوزيع تونس 2001، ص 97 .

الفصل الثاني

بطاقة تعريفية عن مدونة الدراسة

1. بطاقة تعريفية عن سورة الأعراف

1.1. التسمية:

عرفت هذه السورة باسم الأعراف وهو الاسم أو اللفظ الذي لم يعرف ولم يذكر في سورة غيرها، وقد بحثنا عن معناه في كتب اللغة و التفسير فكانت كثيرة إلا أنها تصب في مجملها في معنى واحد ألا وهو المكان المرتفع.

جاء في روح المعاني: "الأعراف أي أعراف الحجاب أي أعاليه وهو السور المضروب بينهما- بين أصحاب النار وأصحاب الجنة. وهو جمع عرف مستعار من عرف الدابة والديك وقيل العرف ما ارتفع من الشيء أي أعلى موضع منه أشرف وأعرف ما فيه مما انخفض منه وقيل ذاك جبل أحد" (1)

ونحسب أن الإشارة إلى جبل أحد كان لسبب علوه وشماخته فقد ضرب المثل في أكثر من حديث وقول في الدلالة على الارتفاع والشموخ.

وقد روي عن الرسول "ص" قوله " أحد يحبنا ونحبه وأنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحبس عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم وهم إن شاء الله تعالى من أهل الجنة".

¹ (الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي(د ط) بيروت (د ت)، ج8 ص 123.

وعن معنى الأعراف جاء في روح المعاني أنه "مكان والرجال طائفة من الموحدين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، جعلوا هناك حتى يقضى بين الناس، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربهم فقال لهم : قوموا ادخلوا الجنة فإني غفرت لكم" أخرجهم أبو الشيخ والبيهقي، وغيرهما⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى أنه يجمع الله تعالى الناس ثم يقول لأصحاب الأعراف ما تنتظرون قالوا ننظر أمرك، فقال: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوها بمغفرتي ورحمتي، وإلى ذا ذهب جمع من الصحابة والتابعين وقيل هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجلسهم الله تعالى على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم على سائر أهل الجنة.

وجاء عند ابن كثير قوله "وقال مجاهد الأعراف، حجاب بين الجنة والنار، سورله باب، قال، ابن جرير والأعراف جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى "عرفاً" وإنما قيل لعرف الديك عرفاً لارتفاعه وقيل هو تل بين الجنة والنار حبس عليه أناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار"⁽²⁾. وما يزال شرح ابن كثير لهذا اللفظ إذ يسرد أقوال العلماء وأهل الدين كعادة المفسرين في الحجة والبرهان إلى أن يصل إلى القول الموالي "عن الشعبي، عن الحديفة، أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال، فقال، هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ففعدت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم"⁽³⁾

2.1.مميزات السورة:

يقع ترتيب سورة الأعراف في المكان التاسع والثلاثين (39) في ترتيب السور وآياتها (206)

⁽¹⁾ (الآلوسي ، روح المعاني ج8 ص 123.

⁽²⁾ (ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم تح سامي بن محمد بن سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 02، الرياض 1999، ج3 ص 418.

⁽³⁾ (ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج3 ص 419.

لكل سورة من سور القرآن العظيم ميزات عرفت بها وتميزت بها عن باقي سور المصحف، ولقد تسابق أولوا العلم في إظهار هذه الميزات بعد الدرس والتحليل من أجل إبراز صورة من صور الإعجاز في المصحف الشريف ليس بالمعنى فقط بل بالتركيب والمكان والإشارات وعدد الآيات والإيجاز والطول وفيما يلي سنعرض لأهم ما ذكر عن هذه السورة في كتب التفسير والدراسات.

1- تبدأ هذه السورة بـ"المص" وتقرأ ألف -لام-ميم- صاد. وسميت بالحروف المقطعة أحيانا وبحروف التهجية أحيانا أخرى وفي القرآن الكريم، سور كثيرة تبدأ بهذه الكيفية"إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.."

ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة⁽¹⁾

قال تعالى " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه" ⁽²⁾

- "ألم، الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه"⁽³⁾.

- " ألمص: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه"⁽⁴⁾

ومن اللطائف التي ذكرت عن هذه الحروف- المقطعة ما ورد في البرهان عن سورة الأعراف قوله"وتأمل سورة الأعراف زاد فيها-ص-لأجل قوله"فلا يكن في صدرك حرج" وشرح فيها قصص آدم ومن بعده من الأنبياء، ولهذا قال بعضهم معنى"المص"ألم نشرح لك صدرك، وقيل معناه

⁽¹⁾المرجع نفسه ج3ص 419.

⁽²⁾البقرة ، الآيتين 2،1.

⁽³⁾ آل عمران ، الآيات 3،2،1.

⁽⁴⁾الأعراف ، الآيتين 2،1 .

الصور، وقيل "أشار بالميم لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبالصاد للصدّيق وفيه إشارة لمصاحبة الصاد للميم وأنها تابعة لها كمصاحبة الصدّيق لمحمد" ص" ومتابعته له" (1)

2- هذه السورة من السبع المثاني في القرآن الكريم، قال تعالى " ولقد أتيناك سبعا من

المثاني" (2)

وجاء عن ابن كثير أن السبع المثاني هي السبع الطول "البقرة وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس" (3)

وفي الحديث عن العدد في القرآن الكريم كلام يطول وقد جرت عادة القراء تقسيم وهي من السور الطوال أو الطول "وسميت طولا لطولها وحكى ابن سعيد بن جبّير أنه عد السبع الطول البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف ويونس" (4)

وقد قيل أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتّاب فقال :

أخبروني عن نصفه فإذا هو الفاء من قوله في الكهف "وليتلطف" وثلثه الأول عند رأس مائة من براءة والثاني على رأس مائه أو إحدى مائة من الشعراء... إلى قولهم وسبعه الأول إلى الدال في قوله "فمنهم من آمن به ومنهم من صدّ عنه" والسبع الثاني التاء من قوله في الأعراف "حبطت أعمالهم" 147 آ (5)

3- وكما أن لكل سورة موضوعاً تميزت به أو مواضيع عدة كان لسورة الأعراف الموضوع الذي جاءت به أو الهدف من السورة أو ما يسمى لدى علماء القرآن بمقاصد السور وعن مقاصد هذه السورة ذكر صاحب البرهان "... وكما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد كالتحليل والتحريم كتحريم

¹ (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 85، 86 .

² (الحجر، الآية 87.

³ (ابن كثير، ج¹ ص 155.

⁴ (الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ص 130.

⁵ (المرجع نفسه ، ص 133 ، 134.

الدماء والأموال وعقوبه المعتدين وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين وتحريم الميتة والدم والمنخقة⁽¹⁾

4- أما عن كونها مكية أو مدنية فهي مكية بإجماع العلماء، إلا أن منهم من استثنى بعض الآيات فيها.

"سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات وأسألهم عن القرية التي كانت ... إلى قوله وإذ نتقنا الجبل"⁽²⁾

3.1. أسباب النزول:

إن مصطلح "أسباب النزول" علم مستقل من العلوم القرآنية فقد أولاه الأولون عناية خاصة حتى ألفت فيها مصنفات مستقلة، كـ"لباب النقول في أسباب النزول" للإمام جلال الدين السيوطي "أسباب النزول" لابن الجوزي "العجائب في بيان الأسباب" لابن حجر العسقلاني وإن افردت له كتب بعينها عند بعضهم فإنه لا يكاد يخلو كتاب في علوم القرآن من الإشارة أو الحديث عن أسباب النزول. نظرا لأهميته في تفسير السور "فهو علم له قيمته التفسيرية إذ يعدّ من العلوم المهمة الواجب على المفسر الوقوف عليها"⁽³⁾

وقد ورد تعريف جامع لهذا العلم في الموسوعة القرآنية "ما نزلت الآية أو الآيات بشأنه أيام وقوع، بياناً لحكمه إذا كان حادثة أو نحوها، أو جواباً عنه إذا كان سؤالاً موجهاً إلى النبي -صلى الله عليه وسلم"⁽⁴⁾

¹ المرجع نفسه ص 142

² المرجع نفسه 104.

³ إيهاب سعيد النجمي، تعدد المعنى في النص القرآني، بلنسية للشر والتوزيع ، ط1، مصر 2008 ، ص 338.

⁴ الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 2003، ص

ولهذا العلم فوائد كثيرة إذ تيسر معرفة أسباب حصول الأحكام ونزول التشريع بما يراعي مصالح العباد قال ابن تيمية "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالسبب..⁽¹⁾

قال ابن دقيق العيد "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"⁽²⁾
 أما بخصوص سورة الأعراف فإنها لم تنزل دفعة واحدة خاصة إذا علمنا أنها من السور الطوال فسور القرآن الكريم في معظمها نزلت منجمة إلا ما كان منها قصيرا والقرآن العظيم نزل جملة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ومنها نزل رسلا رسلا أي رفقا على النبي "ص" لأقوال كثيرة هي: قال تعالى:

"شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن" 185 سورة البقرة

"إن أنزلناه في ليلة القدر" 1 سورة القدر

قال ابن عباس "إنه نزل في رمضان ليلة القدر جملة واحدة ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام قال أبو شامة. قوله رسلا أي رفقا، وعلى مواقع النجوم أي على مثل مساقطها، يريد. أنزل مفرقا يتلو بعضه بعضا"⁽³⁾

وقد ورد من قول السلف أن السور الطوال نزلت منجمة جميعها إلا سورة واحدة هي سورة الأنعام. وأخرج البيهقي عن علي قال "أنزل القرآن خمسا خمسا إلا سورة الأنعام، فإنها نزلت جملة، في ألفٍ يشيعها من كل سماء سبعون ملكا حتى أدوها إلى النبي" -صلى الله عليه وسلم- "⁽⁴⁾

¹ (جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار مصر للطباعة (د.ط)، الفجالة القاهرة (د ت)، ص 40.

² (المرجع نفسه ص 40.

³ (جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 56.

⁴ (المرجع نفسه ص 51.

ونزول هذه السورة قيد الدراسة (الأعراف) منجمة وعلى دفعات يجعل لكل جزء منها أو آية سببا من أسباب النزول حسب الحالة والحادثة والموقع وقد كان الرسول ص حينها يعلم صحابته الكرام كيف يرتبون الآيات والصور فيقول لكاتبه "ضع الآية كذا في المكان كذا من السورة كذا.." وفي هذا المقام نذكر بعض الآيات البارزة من السورة والتي كان لها سببا واضحا في النزول ذكره المفسرون في كتبهم:

- "يابني آدم خذو زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا"⁽¹⁾
- قال ابن عباس أن أهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانوا إذا وصلوا مسجد منى، طرحوا ثيابهم وأتوا المسجد عراة وقالوا لا نطوف في ثيابنا وفيها ذنوب، ومنهم من يقول نفعل ذلك تفاؤلا حتى نتعري عن الذنوب وكانت المرأة تتخذ سترا تعلقه على حقويها لتستتر به عن الحمس وهم قريش فإنهم لا يفعلون ذلك، وكانوا يصلون في ثيابهم ولا يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما، فقال المسلمون : يا رسول الله فنحن أحق أن نفعل ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية: أي "لبسوا ثيابكم وكلوا اللحم والدسم واشربوا ولا تسرفوا"⁽²⁾

2.بطاقة تعريفية عن سورة هود

1.2.التسمية:

كما سبق وأن ذكرنا في سورة الأعراف أن لكل سورة سبب في التسمية وقد جرى تسمية سور القرآن الكريم على العرف الذي وجد عند العرب في تسمية قصائدهم وأشعارهم على خلق أو صفة بارزة، أو من نادر ذكر فيها.

¹ (الأعراف ، الآية 31.

² (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر 1981، ج3 ص 52.

"ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستعرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها"⁽¹⁾

وقد سميت هذه السورة باسم النبي هود -عليه السلام- لكثرة تكرار الاسم فيها مع أنه ذكر أسماء أنبياء آخرين فيها كنوح ولوط وشعيب وإبراهيم عليهم السلام.

ثم لماذا هود -عليه السلام- بالذات وليس الأسماء الأخرى وربما نجد لذلك جوابا عند صاحب البرهان حين يقول: "فإن قيل قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به وقصة نوح فيها أطول وأو عب قيل تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأو عب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا"⁽²⁾

والحقيقة أن ما ذكره صاحب البرهان مهم ومفيد يجيب عن السؤال السابق، ولكن نضيف إضافة أخرى أن اسم هود -عليه السلام- لم يذكر أربع مرات فقط بل بعد القراءة المتأنية نجده في خمس آيات وهي:

50- / 53- / 58- / 60- / 89.

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ص 147.

² المرجع نفسه ص 148.

ثم هناك حجة أخرى في التكرار حيث أن اسم نوح -عليه السلام- ذكر بنسبه أكبر فما وجه التحديد في هود عليه السلام فيجبنا دائما صاحب البرهان وهو يعلم هذا" وإن قيل فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها وذلك أكثر من تكرر اسم هود قبل لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره وأن تكرر اسمه فيها ، وأما هود فكانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام..⁽¹⁾

2.2..مميزاتها:

مكية، ترتيبها الثاني والخمسين وآياتها (123 آ)

هذه السورة مكية كلها عند جمهور العلماء، إلا أنه هناك من استثنى بعض آياتها بأنها مدنية نظرا لأسباب نزولها والتي ترتبط بمواقع حصلت في المدينة. وروي ذلك عن ابن عباس وابن الزبير وقتادة إلا آية واحدة⁽²⁾ وهي: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين"⁽³⁾

وقال ابن عطية :هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى : " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك" وقوله " أفمن كان على بينة من ربه" إلى قوله " أولئك يؤمنون به" قيل نزلت في عبد الله بن سلام ، وقوله " وأقم الصلاة طرفي النهار " ⁽⁴⁾

ورد عن الصحابة رضوان الله عليهم عن الرسول "ص" أن سورة هود من السور التي هزّت كيانه حتى الشيب، قال أبو بكر (رضي الله عنه) سألت الرسول "صلى الله عليه وسلم"، ما شيبك؟

¹ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ص 148.

² محمد طاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس 1997، مج 05، ج 11 ، ص311.

³ هود، الآية 114.

⁴ ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ،مج05، ج11، ص311.

قال: شَيَّبَتِي هود والواقعة وعمّا يتساءلون، وإذا الشمس كورت"

وجاء في فتح الباري أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: "شَيَّبَتِي هود وأخواتها" وفي

رواية مرسلة : " قصفن علي الأمم"⁽¹⁾

والظاهر من هذا الحديث أن العذاب الذي ألحقه الله عز وجل على الأمم الهالكة من قبل شيء

عظيم تقشعر منه الأبدان ، حتى أنه"ص" كان يرى على وجهه الخوف والوجل إذا ما حلت ريح أو

أمطار ورويت عنه أدعية مأثورة للوقاية من العذاب. وفي هذا ورد شرح في فتح الباري" أن شبيهه

منها- صلى الله عليه وسلم - ما ذكر من هلاك الأمم قبل أمته وعذابهم"⁽²⁾

• ورد أن في هذه السورة بعض الآيات المنسوخة مثلاً"

• وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم" والتي تليها ونسخت جميعاً بآية السيف.

"ومن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها" ونسخت بقوله تعالى "من كان يريد العاجلة عجلنا فيها

ما شاء" ولا يخلو عن نظر ويجوز أن يكون المعنى منعت من الشبه بالحجج الباهرة.. لاشتمالها

على أصول العقائد والأعمال الصالحة والنصائح والحكم"⁽³⁾

3.2. أسباب النزول:

القول في هذا العنصر هو نفسه ما جاء ذكره في سورة الأعراف عن التنزيل المنجم إلا ما ورد ذكره

عن بعض الآيات في سبب نزولها على دفعات وقد ذكر صاحب روح المعاني سبباً لهذا التنجيم

في سورة هود "فرقت في التنزيل فلم تنزل جملة بل نزلت نجماً على حسب ما تقتضيه الحكمة

والمصلحة وثم على ظاهرة في التراخي الزماني لما أن المتبادر من التنزيل المنجم فيه التنزيل

⁽¹⁾ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، لبنان (د) ت)، ج⁶ ص 317.

⁽²⁾ المرجع نفسه ج 6 ص 318.

⁽³⁾ (الألوسي. روح المعاني ج 11 ص 204.

المنجم بالفعل وإن أريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجماً حسب الحكمة فهو رتبي لأن ذلك وصف لازم لها حقيقي بأن يرتب على وصف أحكامها وهي على الأوجه الأول للتراخي الرتبي لا غير وقيل للتراخي بين الأخبارين واعتراض بأنه لا تراخي هناك إلا أن يراد بالتراخي... الترتيب مجازاً أو يقال بوجوده باعتبار الخبر الأول وانتهاء الثاني⁽¹⁾ وفيما يلي أمثلة لبعض الآيات ورد ذكر سبب النزول فيها:

1. "أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات"⁽²⁾

عن ابن عباس: أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب قال: أنه أتى معصية في امرأة جاءت لتبائعه فقال ويحك لعلها مغيبة في سبيل الله، قال أجل، قال فانت أبا بكر فاسأله قال فأتاه فسأله فقال لعلها مغيبة في سبيل الله فقال مثل قول عمر، ثم أتى النبي ص " قال له مثل ذلك، فقال "فلعلها مغيبة في سبيل الله ونزل القرآن بهذه الآية "أقم الصلاة ... إلى آخر الآية"⁽³⁾

هذه إشارة موجزة إلى أسباب نزول بعض الآيات في كلتا السورتين، وبما أن السورتين مجموعة من الأحداث القصصية رأينا أنه لا بد أن نشير في هذا العنصر من أسباب النزول إلى الغرض الديني المرجو من القصص القرآني وقد أشارت مؤلفات كثيرة إلى هذه الأسباب والأغراض سواء قديماً أو حديثاً وبعد اطلاع وتمعن على كلتا السورتين، يمكن أن نلخص تلك الأسباب في النقاط التالية مدعمة بآيات محكمات من القرآن الكريم كشاهد على ذلك.

⁽¹⁾ (الآلوسي، روح المعاني، ج 11، ص 204.

⁽²⁾ (هود، الآية 114.

⁽³⁾ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 358.

1- **أخذ العبرة:** فالقصص القرآني ليس مجرد روايات قديمة يتسلى بها السامعون ثم يغفلون عن حكاياتها "إن هذا القصص كان تاريخا لسيرة الدعوة الدينية وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليفة" (1)

قال تعالى: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (2).

2- **تثبيت قلب النبي ودعوته على الصبر:**
"تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت و قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين" (3).

" وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت فيه فؤادك وجاءك في هذا الحق وموعظة للمؤمنين" (4)

3- **النصح والتوجيه:** وذلك بشرح العقائد وتوضيحها وتصوير حسن التصرف فيها:
قال تعالى: "ولقد بعثنا في كل أمه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حَقَّتْ عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين" (5)

4- **الترغيب والترهيب:** كما يحمل القصص القرآني معنى الإنذار الإصلاحي والتهذيبي بأسلوب العرض اللطيف حيث يبين الجزاء للمحسنين والعقاب للمكذابين.

¹ سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الأفاق العربية، القاهرة 2006، ط1، ص 119.

² يوسف، الآية 111.

³ هود، الآية 49.

⁴ هود، الآية 120.

⁵ النحل، الآية 36.

قال تعالى: "أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" (1).

5- وحدة الدعوة بين الأنبياء: ألا وهي عقيدة التوحيد التي جاء ليقرها جميع الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله عليهم، وهذا واضح في كلتا السورتين وكل القصص "لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم... وإلى عاد أخاهم هودا قال يقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون... وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون... وإلى أخاهم صالحا قال يقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية... وإلى مدين أخاهم شعيب قال يقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره وقد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان" (2).

6- جاهلية واحدة: والملاحم المهمة والبارزة في القصص القرآني وهذه القصص قيد الدراسة بالخصوص أن المنكرين والجاحدين حالهم واحدة مهما تغير الزمان والمكان وإن اختلف الأشخاص واللغات وأن ما فعلته الجاهلية الأولى بالأنبياء والمصدقين نفس الذي لاقاه محمد "صلى الله عليه وسلم" وصحابته من جاهلية قريش وحلفائها.

نوح عليه السلام:

"فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين" (3).

هود عليه السلام :

"فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين" (1).

⁽¹⁾ الروم، الآية 90.

⁽²⁾ الأعراف، الآيات من 59 إلى 85.

⁽³⁾ الأعراف ، الآية 64.

صالح عليه السلام:

"فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين..." (2)

لوط عليه السلام:

"فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة

المجرمين" (3)

شعيب عليه السلام :

"فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا

شعيباً كانوا هم الغابرين" (4).

3. الهيكل النبوي لكنتا السورتين:

1.3. سورة الأعراف:

1 حروف التهجية، ألف، لام، ميم، صاد

2 كتاب أنزل للإنذار والذكرى

(3) دعوة الإتياع الحق وترك ما عداه.

(4، آ 9): ميزان العدل الإلهي أن ليس للإنسان إلا ما سعى.

(10، آ 33) قصة آدم عليه السلام مع إبليس . لعنه الله . والعبرة من ذلك.

(آ 34، 43) جزاء المصدقين وعقاب الكافرين.

(آ 44، 53) حوار أصحاب الجنة مع أصحاب النار.

⁽¹⁾ الأعراف ، الآية 72.

⁽²⁾ الأعراف ، الآية 78.

⁽³⁾ الأعراف ، الآية 83، 84.

⁽⁴⁾ الأعراف ، الآية 91، 93.

(54، 58) عظمة الله وقدرته على العطاء بلا حساب.

(59، 64) قصة نوح -عليه السلام-

(65، 64) قصة هود -عليه السلام-

(73، 79) قصة صالح -عليه السلام-

(80، 84) قصة لوط -عليه السلام-

(85، 102) قصة شعيب -عليه السلام-

(103، 171) قصة موسى -عليه السلام-.

(172، 179) مثنوى الكافرين يوم القيامة.

(180، 198) الله أعلم بمن في السموات والأرض وإليه ترجع الأمور.

(199، 206) التمسك بأوامر الله عزّ وجلّ للنجاة من وسوسة الشياطين والإكثار من الذكر كفعل

الملائكة الأبرار المسبحين والساجدين.

2.3. سورة هود:

1 حروف التهجية ألف - لام - راء، كتاب محكم

2 التوحيد

(3، 4) العودة والإنابة إلى الله العظيم.

(5، 11) قدرة الله على العطاء والإبتلاء ثم الجزاء

(12، 24) الرسالة المحمدية هي دعوة الحق.

(25، 49) قصة نوح -عليه السلام-.

(50، 60) قصة هود -عليه السلام-

(61، 68) قصة صالح -عليه السلام-

(77آ، 83) قصة لوط -عليه السلام-

(69آ، 76) قصة إبراهيم -عليه السلام- مع ضيفيه

(84آ، 95) قصة شعيب -عليه السلام-

(96آ، 111) قصة موسى -عليه السلام-

(111، آ 163) دعوة النبي "صلى الله عليه وسلم" إلى الإستقامة على طريق الحق والإتعاظ

بأخبار السابقين فإلى الله وحده عز وجل ترجع الأمور كلها.

4.المقارنة البنيوية بين السورتين:

بعد سرد الموضوعات التي وردت في كل سورة تبين لنا أنهما مجموعتان قصصيتان بالمفهوم الحديث لقصاص الأنبياء والمرسلين الأولين مع مقدمة موضوعاتية في كل سورة تتناسب والمواضيع المسرودة في قصصها، ثم خاتمة نهاية كل منها تحمل فيها حوصلة ونتيجة عادة ما تكون نصحا وتوجيها للمسلمين ،بعد أن تبين هلاك السابقين وسبب ذلك مع وجود بعض التعقيبات من حين لآخر داخل السورة وقد سبق الإشارة إليها في الدراسة الهيكلية لكل واحدة.

- وقد إرتأينا حصر الدراسة في قصص السورتين والمذكورة في كليهما تفصيلاً للخصائص الأسلوبية في كل منها وبحثاً عن الحكمة من تكرارها من الجانب اللغوي والمعنوي والجدول التالي يبين هذه القصص حسب ترتيبها في الظهور وعدد آياتها في كل سورة ويليه مباشرة جدول الموضوعات الواردة في كل قصة.

1.4. ترتيب القصص في السورتين:

السورة / القصص	سورة الأعراف عدد الآيات	سورة هود عدد الآيات
قصة نوح	6 آ	25 آ
قصة هود	8 آ	11 آ
قصة صالح	6 آ	8 آ
قصة لوط	5 آ	8 آ
قصة شعيب	18 آ	12 آ
قصة موسى	69 آ	14 آ

جدول الموضوعات :

الموضوع / القصة	سورة الأعراف	سورة هود
قصة نوح	جحد القوم + نجاة نوح ومن آمن في الفلك وغرق الكافرين	استكبار القوم + إلاح نوح على قومه باتباع الحق + صناعة الفلك + فوران التنور إعراض الابن عن الإيمان + نجاة نوح ومن معه.
قصة هود	إعراض القوم عن ذكر الله +	دعوة هود لقومه + إعراضهم

عن الإجابة + هلاك الكافرين + نجاة المصدقين	زادهم الله بسطة في الخلق + يجادلون في أسماء سموها وآبائهم + هلاك الجاحدين ونجاة المصدقين.	
دعوة إلى عبادة الله + النهي عن إيذاء الناقة + عقر الناقة + نجاة صالح ومن معه + أخذتهم الصيحة وأصبحوا جاثمين.	دعوة إلى عبادة الله + النهي عن إيذاء الناقة + عقر الناقة + أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين	قصة صالح
مجيء الرسول إلى لوط + حاجة القوم المنكرة في الرسل + تصدي لوط لهذا الفعل. هلاكم بمطر من الحجارة وزوجة لوط معهم + نجاة لوط ومن معه	إنكار لوط لفعل قومه + هلاك القوم بالمطر	قصة لوط
دعوة إلى عبادة الله وإيفاء الكيل والميزان + أخذتهم الصيحة فأصبحوا جاثمين.	دعوة نوح إلى إتباع الحق وإيفاء الكيل والميزان + وعيدهم لشعيب بالتخلي عن هذا القول + أخذتهم الرجفة فأصبحوا جاثمين + هلاك كل كافر	قصة شعيب

قصّة موسى	دعوة موسى لقومه + غلبته على سحرة فرعون + وقوع الرجز على فرعون وقومه + الغرق + خلافة المؤمنين في الأرض + موعد موسى مع ربه + عبادة العجل + تأنيب موسى لأخيه هارون + ذكر التوراة للنبي الأمي + شتات اليهود في الأرض.	لعنة الله على فرعون ومن اتبعه وهلاكهم في نار جهنم يوم الحساب.
-----------	---	---

تُبين لنا هذه المقابلة الموضوعاتية بين السورتين أوجه الشبه الكبيرة الموجودة بين السورتين ، ما يجعلنا نطرح مسألة التكرار القصصي في القرآن الكريم وماهي الأسباب الحقيقية والمرجوة من وراء ذلك ، وبعد تتبع الظاهرة في جميع آيات الذكر الحكيم نقول إنها تعود لأسباب كثيرة هي :

- أنها الطريقة التي تعودها العرب في شعرهم ونثرهم فلا يخرج القرآن عن ذلك الأسلوب الذي ألفوه
- كذلك هو (التكرار) يوائم الطبيعة النفسية للبشر لما فيها من ضعف ونسيان طبعت عليهما ،

فالإنسان بحاجة إلى تذكير وتأكيد وتخويف من أي سهوٍ أو إهمال⁽¹⁾.

- أنها طريقة الأنبياء مع أقوامهم في الدعوة إلى دين التوحيد ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم
- قضى حياته يدعو أصحابه بنفس الأسلوب حيناً ، وبأساليب وعبارات متشابهة أو متنوعة بالأمثال

⁽¹⁾ محمد عبد الله عبده دبور ، أسس بناء القصة من القرآن الكريم ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب النقد ، جامعة الأزهر 1997 ص 68.

والحكم حيناً آخر . ونوح -عليه السلام- قضى زمناً طويلاً يكرر دعوته، ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانيةً ويعدهم بالخير الوفير إِنْ آمَنُوا بالله الواحد الأحد، حتى سئموا من كثرة إلحاحه فصرخوا في وجهه "قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ " (1)

- كما أن القرآن الكريم نزل في قوم انطبعت قلوبهم على العادات الفاسدة والعقائد البالية وأمثال هؤلاء لا يجد القول الواحد معهم نفعاً، بل اللائق والواجب أن يخاطبهم مراراً وتكراراً وينوع معهم الأساليب، ترغيباً وترهيباً، تبسيطاً وتدرجاً، وضرباً للمثل وسرداً لأخبار السابقين علّها تؤثر في نفوسهم .

- أن هذا التكرار من ملامح الإعجاز القرآني وعبر عن هذا العلماء الأوائل أمثال ابن فارس: "وأصح ما يقال فيه : أن الله -جلّ ثناؤه - جعل هذا القرآن، وعَجَزَ العرب عن الإتيان بمثله، آية صحة نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم - . ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم أن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء ، وبأي عبارة عبّر عنه " (2) وورد معنى الإعجاز في التكرار القصصي لدى الباقلاني وابن قتيبة فأكدوا أن "إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين فيه البلاغة " (3)

¹ (هود ، الآية 32).

² (ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق السيد أحمد صقر ، طبعة عيسى البابي الحلبي 1977، ص 343).

³ (أنظر إعجاز القرآن لأبكر الباقلاني، تح أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ج 1، ص 116. و تأويل مشكل القرآن عبد الله بن قتيبة تح السيد أحمد صقر ،دار التراث ط 2، القاهرة 1971، ص 234-335).

الفصل الثالث

الدراسة الصوتية

1. في الدرس الصوتي:

1.1. الدرس الصوتي وإعجاز القرآن:

يعتبر الفونيم في الدراسة اللسانية الحديثة محور اهتمام واعتناء، إذ أشارت إلى ذلك حلقة براغ وركزت على الجانب الوظيفي له وأن تلك الاختلافات بين الفونيمات إذا أدت إلى تحول دلالي فهي فروقات وظيفية، أما إذا كانت تلك الاختلافات لا تحدث أي تحول دلالي فهي فروقات غير وظيفية وتعتبر مجرد تلوينات صوتية.

هذا وقد اعتبر ترويتسكوي الفونيم "أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس وكل صوت مكون من مجموعة عناصر بمجموعها غير قابلة للتجزئة أو التحليل فمن الناحية الصوتية كل باء B تتمثل في سلسلة الحركات النطقية"⁽¹⁾

وقبل ذلك كانت دراسة السويسري فرديناند دي سوسور هي المرجع في كل دراسة لسانية بما فيها الصوتية، إذ يعرف الصوت في كتابه الشهير محاضرات في اللسانيات العامة على النحو الذي يلي_ بعد أن فرق بين جانبيين في النشاط الصوتي أما الأول فهو الجانب العضوي

Phisiologique وأما الثاني فهو الجانب السمعي Acoustique

" الوحدات السمعية في سلسلتها الخاصة غير قابلة للتحليل إذ يجب أن نلجأ إلى سلسلة حركات التصويت وسنلاحظ حينئذ أن الصوت الواحد يقابله حدث واحد خاص به، فـصوت الـ « b » عبارة عن زمن سمعي أما " « b » فهو زمن نطقي وهذا ما يمكن تسميته فونيماً"⁽²⁾

¹⁾ -TraubeTskey :principe de phonologie edition-klink Paris 1986p37.

²⁾ -De. Saussure : cours de linguistique générale ENAG/edition 1990p71.

ويلخص مجمل المعنى في قوله "الفونيم هو مجموع التأثيرات السمعية والحركات النطقية للوحدات المسموعة والوحدات المنطوقة كل منها يشترط الآخر"⁽¹⁾

أما الدرس العربي ككل فقد اهتم بالجانب الصوتي في القرآن الكريم لغاية إعجازية فيه ذلك لأن كلام العرب وديوانهم الأول "الشعر" بني على أساس إيقاعي موزون أساسه حسن الصوت وجرس الكلام الموزون والقافية ذات الإيقاع المؤثر وما لكل ذلك من علاقة بالتأثير النفسي، وهذا يدل على نفسية الإنسان العربي التي تميل بطبعها وسجبتها إلى التوائم الصوتي والمعنوي فجاء القرآن الكريم المعجز بما يتلاءم وطبيعة هذه النفس العربية.

"فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال من الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه..⁽²⁾

ورغم كثرة المؤلفات في الإعجاز اللغوي بصفة عامة والإعجاز الصوتي بصفة خاصة إلا أن مردودها بقي يسيراً إذ لم تكشف على كثير من الظواهر الصوتية التي تستوقف القارئ من حين إلى آخر، فإن الدراسات في هذا المجال لا تعد "أن تكون مجرد إشارات سريعة عاجلة أو مجرد خواطر ولمحات عند بعض الكلمات القرآنية..⁽³⁾

"كذلك فإن كثيراً من الدراسات التي تمخّضت لدراسة الأصوات في القرآن قد اقتصررت في دراستها على الدراسة البحثية للأصوات، سواء كان في إطار علم الأصوات أو في إطار علم القراءات القرآنية وتجويد القرآن، ولم تقم باستثمار تلك الدراسات أو تطويرها لبحث الأثر الجمالي

⁽¹⁾ نفس المرجع السابق، الصفحة نفسها.

⁽²⁾ الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط3، دار المعارف مصر 1991، ص 70.

⁽³⁾ عبد الحميد الهنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر ط1، القاهرة 2004، ص 3.

أو الدلالة الفنية لتلك الأصوات أي أنه لم يحدث ربط بين تلك الدراسات وعلم البلاغة أو الأسلوب في الغالب⁽¹⁾

والواضح من القول السابق أن المكتبة القرآنية بحاجة إلى دراسات مستفيضة وتمعنة في مجال التحقيق اللغوي القرآني إذ تتعدى تلك الدراسات مجال الإشارة إلى الظاهرة الصوتية وإلى كيفية حدوثها وحصولها بل ربطها بالإطار العام للسورة بصفة خاصة وبالنص القرآني بشكل عام على مستوى التأثير الدلالي والجمالي.

فالقول بإعجاز القرآن الكريم لا نقاش فيه و لا جدال فهو كلام الخالق عز و جل ، عجز البشر عن الإتيان بمثله فهو حجة على صدق نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- والوجود الإلهي جلّ وعلى.

2.1. ما معنى الإعجاز ؟

الإعجاز مصدر قولك أعجزه الشيء إعجازاً فهو معجز له، يقال أعجزه الشيء أي عجز عنه⁽²⁾

وفي الإتيان "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية"⁽³⁾

ومن ثم وجب على البشرية جمعاء أن تسجد أمام هذه القوة الخارقة لأنه لا مردّ لها أن تناقضها أو تأتي بالبديل عنها وإنما حكمة الله عز وجل، أبقّت باب البحث والتقصي مفتوحاً أمام العلماء من أجل استظهار وجوه هذا الإعجاز، وإنما بآليات علمية و عملية بحث ممنهجة قال

¹ (نفس المرجع السابق، الصفحة نفسها.

² (ابن سيّده، المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت د ت، ج¹ ص 298.

³ (السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج² ص 116.

تعالى: "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان"⁽¹⁾

"إن البحث في قضية الإعجاز ليس في حقيقته إلا بحثاً عن السمات الخاصة للنص والتي تميزه عن النصوص الأخرى في الثقافة وتجعله يعلو عليها ويتفوق ولا شك أن النص في علاقته بالنصوص الأخرى يتضمن داخله دوال تؤكد مشابته لها ولكنه يتضمن أيضاً دوال أخرى تؤكد مخالفته لها"⁽²⁾

وقد تبين لنا بعد بحث متمعن في مؤلفات الإعجاز القرآني أن دراسته تتم من جانبين (الداخل – والخارج)

من الداخل: ما تعلق بالنظم والتأليف وفي هذه النقطة يفرق الباقلاني بين جانبين أيضاً ، هما:

خارجي: وهو الشكل العام والبناء الكلي للنص.

داخلي: ويتعلق ببلاغة النص ولغته المعجزة.

من الخارج: بأن أعجز العرب عن الإتيان بمثله في الأخبار عن الأمور الماضية والآتية ومن

أنصار هذا الرأي، إبراهيم بن سيّار⁽³⁾

فالصوت إعجاز إذن:

ومما سبق تبين لنا أن نظم القرآن ورصفه يعد سبباً من أسباب إعجازه، وما كان الصوت

في المكان الذي ورد فيه إلا إعجاز لا يمكن الإتيان بمثله ولا تعويضه وتغيير مكانه ومن أقوال القدماء في ذلك.

⁽¹⁾ الرحمن، الآية 33.

⁽²⁾ نصر حامد أبوزيد، مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) المركز الثقافي العربي ط 5 ، المغرب 2000، ص 137.

⁽³⁾ معتزلي المذهب عرف باسم النظام وهو أستاذ الجاحظ.

"لو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين في نظامها، ومخرجها عن لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها"⁽¹⁾

" إن إعجاز النظم الموسيقي في القرآن مما لا يتعلق به أحد لترتيب حروفه باعتباره من أصواتها ومخارجها ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة، والتنغيم والترقيق والتفشي والتكرير وغير ذلك مما أوضحنا في صفات الحروف .⁽²⁾

وبالفعل فإننا ننطلق في دراسة قرآنية صوتية جازمين منذ البداية على الإعجاز في البناء والنظم وأن لكل صوت غرض في الآية وبالخصوص في القصة وأنها لأغراض دلالية إنما ذكرت - والله المعين على ذلك - .

وفي هذا الصدد يقول الهنداوي في بداية بحثه الصوتي "فنحن نقصد بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي أو التشكيل الصوتي سواء لكلماته أو جملة أو آياته أو على المستوى الموسيقي أو الإيقاعي في السورة بأسرها ومدى موافقة ذلك واستباقه وتوأمه مع المعاني والمقاصد التي تقصد إليه السورة على نحو من المواءمة والمطابقة العجيبة التي يستبعد وقوعها في مثل كلام البشر بهذه الدرجة من المطابقة والموافقة والمواءمة لمعاني الكلام"⁽³⁾

3.1. دلالة الأصوات

إن مسألة الصوت ودلالته قضية بعيدة الأمد في الدراسة اللغوية، لطالما شغلت فكر الفلاسفة واللغويين حتى أن علماء العربية وقفوا أمامها مطولاً، ومن الأوائل الذين أشاروا إلى هذه

⁽¹⁾ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط5 ، القاهرة 2005 ، ص 250.

⁽²⁾ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، ط 09، بيروت 1971، ص 177 .

⁽³⁾ عبد الحميد الهنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص 13 .

النقطة: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي أولى اهتماما لدراسة القيمة التعبيرية للأصوات ومدى اتفاق المعنى الدقيق مع جرس الحرف المختار فقد شغلته الألفاظ المعبرة عن أصوات المسموعات ورأى فيها أصواتا محاكية" ومن ذلك قوله المشهور "كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صر وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر"⁽¹⁾

أما سيبويه فيقول في كتابه هذا باب "إفعولت" وما هو على مثاله مما لم نذكره: قالوا: "خشن" وقالوا "أخشوشن وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد كما أنه إذا قال "إعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً وقد بالغ"⁽²⁾

ومن الأمثلة الكثيرة المترددة في كتب اللغة المثال الشهير لابن جني- المؤيد لنظرية "محاكاة الطبيعة في اللغة" الخضم لأكل الرطب نحو البطيخ والقثاء والقضم لأكل الياض نحو قضمت الدابة شعيرها، لأن حرف الخاء يشبه صوت أكل الشيء الرطب وحرف القاف يشبه صوت أكل الشيء الياض.

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة من ذلك تطرق إليها المفسرون مثلاً "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا" يرى ابن جني أن تقارب الألفاظ ينتج عن تقارب المعاني فالهز والأز متقاربان في اللفظ ومتقاربان في المعنى، وتؤزهم أزا أي تقلقهم وتزعجهم، فهذا في معنى تهزهم هزا. والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان... وكأنهم قصروا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجدع وساق الشجرة ونحو ذلك⁽³⁾

⁽¹⁾ ابن جني، الخصائص، تح الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط 03، بيروت 1424 هـ، ج 1، ص 505.

⁽²⁾ سيبويه، الكتاب تح عبد السلام هارون، دار الكتاب العملية، ط 2، بيروت 1982 الكتاب ج 4 ص 75.

⁽³⁾ - ابن جني، الخصائص، ج 1 ص 499.

أما في الدراسة اللغوية الحديثة فقد تنوعت الآراء ما بين مؤيد لفكرة المحاكاة وبين رافض لها. نشير مثلا إلى المدرسة البنوية السوسورية القائلة بمبدأ الاعتباطية بين الدال والمدلول أي استحالة وجود علّة سببية بين المدلولات ودوالها بل وقع الأمر اصطلاحا واتفاقا بين أفراد المجموعة البشرية الواحدة.

وقد سار على هذا النهج الأغلبية الساحقة من المدارس اللسانية اللاحقة والمتأثرة بالمبدأ السوسوري إلا أنها بدأت تفقد الإصرار على هذه الفكرة مع اللسانيات المعاصرة. (لسانيات النص والأسلوبية والتداولية) التي وجدت بعد دراسات مستفيضة أن القول بالاعتباطية على طول الخط ليس بمخرج في الدراسة فالخطابات في حد ذاتها تعتمد على التأثير الصوتي وعلى تناسب الأصوات والمكان المناسب فإننا نجد في أنفسنا ارتياحا ونحن ننطق بالكلمات التالية:

مثلا: الفلاح - النجاح - الراحة - السباحة... الخ وبناء هذه الكلمات على ألف المد في وسطها ثم على الحاء الخفيفة بطبيعتها يدل على راحة بعد مشقة ؛ مشقة المد في الألف.

وعن سوسور أيضا فقد أبقى باب الاعتباطية نسبيا لما تنبّه إلى دوال لغوية كثيرة في اللغة الفرنسية نسجها كان على منوال مبدأ المحاكاة : صوت الماء glou glou

أما جيسبرسن فيقول "إن كلمات اللغات تزداد مع الأيام إحياء للدلالات وتكتب الألفاظ بمرور الزمن قدرا من تلك الرمزية ويتنبأ من أجل هذا بتلك النبوءة المتفائلة التي كان يحلم بها بعض الفلاسفة اليونان. من أنه سيأتي اليوم الذي تصبح فيه الصلة بين الألفاظ ودلالاتها أكثر وضوحا وأوثق ربطا مما عرف أجدادنا القدماء"⁽¹⁾

⁽¹⁾ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 05، القاهرة 1984، ص 70.

أما همبلت فيرى أن "هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ ولكنها في وقت ما تبدو غامضة" على أن همبلت حين انتقد تلك الصلة في معظم كلمات اللغة ووجدها غامضة ادّعى أن الصلة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها قد أصابها بعض التطور واختفت مع توالي الأيام⁽¹⁾ وهكذا يبدو الأمر واضحاً بضرورة البحث والتقصي في الموضوع وتتبع كلمات اللغة ودراسة النص من أصغر جزء إلى أكبره، فمتطلبات العصر اليوم والابتعاد عن الإحساس اللغوي جعلت ذلك الجانب الروحي في اللغة يزول تدريجياً، لذلك نقول أن معظم ألفاظ الحضارة والتكنولوجيا جامدة في معانيها ومفرغة كفراغ هذه المدنية من الروحانية فأصبحت اللغة مثل الآلة، وألفاظها قطعاً منها تقوم بدور الإبلاغ والاتصال وكفى ولا تبتعد بها إلى المجال الروحي والفكري.

وكخلاصة هذا الموضوع الطويل في كتب اللغة العربية والغربية قديماً وحديثاً، نورد خلاصة خلص إليها خالد قاسم بن دومي - نراها مناسبة هنا - توصل إليها بعد طول نظر في نقاط هذا الموضوع:

"تتميز اللغة العربية عن سائر اللغات الإنسانية بقضية مهمة تتلخص في انسياق كثير من لغويي العربية المحدثين وراء بعض اللغويين الغربيين، الذين سخروا من فكرة العلاقة بين الأصوات ودلالاتها ولم يشيروا في الغالب إلا إلى مظهر واحد من مظاهرها، وهو دلالة حكاية الأصوات المسموعة ونسي هؤلاء أو تناسوا مسألة الاختلاف الكبير بين طبيعة لغتهم واللغات الأخرى، ورددوا ما قاله الغربيون وخلعوه عن لغتهم بعد أن كسيت به ثوبا قشياً"⁽²⁾

وبعد أن أشار بن دومي إلى خصوصية اللغة العربية وفصاحتها من الواجب والمهم أيضاً أن نشير إلى خصوصية لغة القرآن الكريم وإعجاز لغته وأنه ليس بقول البشر بل قول القدير

⁽¹⁾ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 06، القاهرة 1978، ص 144.

⁽²⁾ خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، ط 1 إربد الأردن 2006، ص 80.

المقتدر، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى "بلسان عربي مبين" كتاب فصّلت آياته " كتاب أحكمت آياته"

ولولا أن للصوت قيمة ودلالة من حيث المخرج والصفة لما كانت الآيات الكثيرة توصي بحسن القراءة، في إجادة التلاوة.

"فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" (1)

"ورتل القرآن ترتيلاً" (2)

"الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته" (3)

وبهذا يتبين لنا أن حسن القراءة وفقاً لما أنزل تظهر لنا الحقيقة الداخلية للنص القرآني وآفاقه المتعددة. "ويمكن التعبير عن التجويد بحسن الأداء، وهذا يتطلب قراءة القرآن بتطبيق الأحكام، وإشباع الحركات وتبيين الحروف بإعطائها حقها من المخارج والصفات، ومستحقها من المد والإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والقلقة والتنغيم والترقيق والسكت والروم والإشمام وغيرها، فإن هذه الظواهر تنهض لتحقيق غاية عظيمة تتمثل في استظهار دلالات النص القرآني، وهذا وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تنقض عجائبه (4)

⁽¹⁾ القيامة الآية 01.

⁽²⁾ المزمل الآية 04.

⁽³⁾ البقرة الآية 121.

⁽⁴⁾ خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، ص 87.

2..التكرار الصوتي

1.2.المفهوم:

ورد في لسان العرب التكرار بفتح التاء، الترداد والترجيع من كر يكر كرا وتكرارا والكر الرجوع على الشيء ومنه التكرار، وكرر الشيء وكرره أعاده مرة بعد أخرى ويقال كررت عليه الحديث وكركرته إذا رددته عليه"¹

فإرجاع الشيء وترديده هو حضور نفس الظاهرة عدة مرات، إما بنفس الصورة وإما بصورة مختلفة في مواضيع متقاربة أو متباعدة، وموضوع دراستنا طبعا هو الظاهرة اللغوية أو الوحدة الصوتية وكيفية حدوثها في القرآن الكريم.

"ونعني بها في الاستعمال تعدد الاستخدام اللغوي لأقسام الكلام في السياق الواحد أو الأسبقية المختلفة، فيكون على مستوى الأصوات أو اللفظ أو الجملة وهو ما يعرف بالترجيع أيضا"².

وقد وقعت في القرآن الكريم صور لبعض التكرار اللفظي والمعنوي وبالتحديد القصص - موضوع دراستنا - فقد أعيد ذكر بعضها في مواضيع مختلفة قد يمر عليها القارئ دون أن يعرف المغزى والحكمة من ذلك..." الحقيقة أنه ليس في القرآن الكريم اختلاف في القصة وإنما يختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة لأن كل سورة تأتي بجزئية من القصة نفسها تتناسب وسياق الآيات في السورة التي تذكر فيها، فالمشاهد كلها وقعت للقصة نفسها ولا تختلف في الفحوى والحقيقة"³

¹(جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي ط1 بيروت د ت . ج1 مادة كرر

² (فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية - قراءة نافع أنموذجا ، دار الحامدة ، ط1 ، الأردن 208 ص 20.

³ (فاضل صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني ، من محاضرة ألقاها الدكتور السامرائي ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002، ص 54.

وإن كان التكرار في الكثير من التعليقات البلاغية واللغوية يرد لغرض التوكيد ولفت الانتباه والوعيد والوعيد مثل إعادة آيات بعينها :

- "الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة".¹

- "كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم"²

فما هو الغرض من تكرار قصص بعينها من موضع لآخر؟

في ظل هذا التساؤل نود تقصي الموضوع أولاً من جانبه الصوتي ثم من جوانبه الأخرى؛ الإفرادية والتركيبية ، فالقرآن الكريم لا تنقض عجائبه إذ كيف يكون فيه تكرار وإيجاز دون اقتضاب في نفس الوقت، وقد أشار إلى ذلك الأولون: "ينص البلاغيون على أن التكرار أحد أنواع الإطناب يأتي في تقديرهم للإنذار والردع كما يأتي لتعدد المتعلق مثل قوله تعالى في سورة الرحمن: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" وقوله في سورة المرسلات: "ويل يومئذ للمكذبين" أما سورة القمر فدلّت على الأسلوب الموجز رغم أن التكرار يتردد كثيراً في قوله تعالى "فكيف كان عذابي ونذر" عقب كل حادث ناجع لمكذبي الأنبياء، ولكن كيف يتردد التكرار على هذه الصورة في سورة القمر التي أشارت إلى موقف الأمم الغابرة من دعوة الأنبياء، ثم تكون مثالا للإيجاز؟"⁽³⁾

¹(الحاقة، الآيات 1،2،3).

²(التكاثر، الآيات 4،5،6).

³ (محمود السيد حسن المصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1981 ص 114).

2.2. التحليل

ونشير هنا إلى أن المدونة المدروسة عبارة عن قصص للأنبياء - سلام الله عليهم - تعرض لعظم البلاء الذي تعرضوا له من أقوامهم بعدما دعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي أنعم وأفاض بالخيرات والنعم عليهم .

فالسورتان إذن عرض لوقائع تاريخية غابرة واحدة، بأكثر من أسلوب وصورة. وما نحاول الكشف عنه من خلال هذه الدراسة هو هذه الأساليب المختلفة والطرق المتعددة في عرض قصة النبي الواحد... -والله المعين على ذلك- .

القصة الأولى: قصة نوح -عليه السلام-.

إن المتتبع لقصة نوح عليه السلام في السورتين (الأعراف-هود) يسترعي اهتمامه ذلك العرض الرائع المستوفي لعناصر القصص، ما بين إيجاز واسترسال دون أن تتعرض القصة لأي خلل أو تفاوت - وحاشى لكلام الله أن يعتريه النقصان - فإنك تجد في سورة الأعراف عرضاً موجزاً وشاملاً اتسمت فيه الآيات بالإيجاز إذا ما قورنت بسورة هود التي فصلت في هذه القصة جيداً وباسترسال في عرض الأحداث بدءاً بـ :

الدعوة إلى عبادة الله ← نكران القوم واستصغار الرسول ← إصراره على

النصح ← إصرارهم على الرفض ← بناء السفينة وهلاك المكذابين.

وفي مقام الإيجاز اختزلت الأصوات أما في مقام الاسترسال فقد حدث التكرار للدلالة على التأكيد والإلحاح.

الأمثلة :

1- نراك ذكرت مرة واحدة في سورة الأعراف.

"إن لنراك في ضلال مبين" (1).

أما في سورة هود فقد تكررت أصوات "الراء - الألف - الياء" مجتمعة في صيغ، الرأي والرؤية ست مرات :

"ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك، تبعدك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي. وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين" (2)

"قال يا قوم أرأيتم... " (3)

"ولكن أراكم قوما تجهلون... " (4)

تكرار صوت اللام على صيغة النفي في سورة هود مع ذكر اللام النافية مرة واحدة في سورة الأعراف، وهذا لأن سورة هود ركزت على أسلوب الحوار المسترسل في الحديث بينما اعتمدت سورة الأعراف على أسلوب القص بصيغ الماضي أكثر من الحوار.

سورة الأعراف "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون" (5)

سورة هود:- "لا تعبدوا إلا الله..." (6).

- "يا قوم لا أسألكم عليه ما لا..." (7).

- "ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك، ولا أقول للذين تزدري أعينكم..." (8).

ولا ينفعكم نصحي... " (9)

(9) هود ، الآية 34.

(5) الأعراف ، الآية 62 .

(1) الأعراف ، الآية 60.

(6) هود ، الآية 26.

(2) هود ، الآية 27.

(7) هود ، الآية 29.

(3) هود ، الآية 28.

(8) هود ، الآية 31.

(4) هود الآية 29 .

2- في القصة تناغم موسيقي معجز صنعه تكرار بعض الأصوات لأغراض نحوية وتركيبية وهذا في السورتين (الأعراف-هود) ولكن ببعض الفروقات الحاصلة بشكل دقيق تجعل من القرآن الكريم "ما هو بقول البشر إن هو إلا وحي يوحى"

إذن: القصة في سورة الأعراف وهي عبارة عن تقديم موجز وشامل في نفس الوقت استخدمت صيغة المخاطب بكثرة فتكرر الضمير المتصل "كم" عدة مرات لتضع سلاسة في الجرس الصوتي للآيات الذي يجعل القارئ والسامع على السواء يشعران بعظم الجهد الذي بذله-نوح-عس في الدعوة والنصح لقومه وبأسلوب لين لطف حيث تكررت الأصوات على النحو التالي في السورتين:

سورة الأعراف "يا قوم.....مالكم...عليكم..يا قوم..أبلغكم..أنصح لكم..أعلم..أو عجبتم..جاءكم..من ريكم...منكم....لينذركم...لعلكم.."

سورة هود، يا قوم..لا أسألكم...أراكم..يا قوم...إن طردتهم...لا أقول لكم...أعينكم لن يؤتيهم.."

3- سورة هود لما طال الحديث فيها عن قصة نوح-عليه السلام - بالشرح والتفصيل جاء أسلوب الدعوة والنصح بالتفصيل للدلالة على صبر سيدنا نوح-عليه السلام - مع قومه بأسلوب الأخذ والرد في الحوار وقد وقعت فيها بعض الظواهر الصوتية تعبر عن ذلك أيضا:

- "أَنْلِزْكُمْوَهَا"⁽¹⁾: هي كلمة واحدة وقع فيها تركيب لمقاطع أحدثت نطقا يستدعي وقتا معينا، توقفا وتركيزا من أجل التدبر في المعنى الدلالي لهذه التشكيلات الصوتية.

⁽¹⁾ هود، الآية 28.

"فتحس أن لفظ "أنلزمكموها " يصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلى بعض، لما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ويشدون إليه وهم منه نافرون" (1)

ونضيف قولاً في هذا المقام من باب إحداث المقارنة بين السورتين ، أن حصول هذا التشاكل الصوتي في سورة هود وعدم حصوله في سورة الأعراف يعود لنفس السبب المذكور آنفاً "الإيجاز" ففي سورة الأعراف أعطيت لنا صورة شاملة خاطفة دون أن يُدقق في تفاصيل الأحداث، مثلما ورد فيما بعد في سورة هود التي فصلت في القصة للدلالة على عظم الصبر والمشقة في التعامل مع قوم أصروا على الاستكبار فثقلت أسماعهم وعميت أبصارهم "جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً" (2)

وطول المقطع في الكلمة له دلالة صوتية على طول المدة التي كان يدعوهم فيها نبي الله نوح.ع.س- مع مشقة الاستجابة فلو استبدلنا هذه الكلمة بقولنا "أنلزمكم بها" أو "أنلزمكم إياها" لما أوحى بما توحى به هذه الكلمة. من الثقل وصعوبة التحمل والإكراه على حمل شيء ينفر هذا المدعو إليه من حمله ويستثقله بل ويأنف منه وتشمئز منه نفسه" (3)

قال تعالى:

"وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة" (4)

¹ (طالب محمد إسماعيل الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني) (دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني، دار النهضة العربية، ط 01، بيروت 1996، ص 367.

² (نوح، الآية 07.

³ (الهنداوي، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص 30.

⁴ (الزمر، الآية 45 .

4- "يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي"⁽¹⁾ أحدثت هذه الآية بأصواتها المتناسقة نغما

موسيقيا جميلا أشار إليه الجرجاني بقوله "فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين

أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي مكانها من الآية"⁽²⁾

"أنعم النظر في لفظتي"أقلعي"و"ابلعي" وتجانسهما في أصوات، اللام- العين- الياء- مما

يستحضر عند تصور جرسها الضخم العميق هيبة تحيط بالنفس، ورهبة تجلجل في الأعماق

ونطق لفظتين يكاد يضيق الفم بها ويحبس النفس للنطق بهما"⁽³⁾

وقد أشار الزمخشري إلى ما أفصح عنه السياق من قوة وعمق التأثير المنبعث من حسن تجانس

لفظتي"ابلعي"و "أقلعي" فضلا عما تضمنه من معان ونكت"⁽⁴⁾

وفي الآية أمر رباني لا حديث بعده ولا نقاش ، بعدما انتهى العذاب وأغرق القوم الكافرين - حيث

أمر الله عز وجل السماء والأرض - وهما آيتان كونيتان- أن "أقلعي"و"ابلعي" ف قضى الأمر

وهذا من سبيل الفعل الإلهي"كن فيكون" " بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له

كن فيكون"⁽⁵⁾

"فهناك ألفاظ كثيرة لها صلة وثيقة بدلالاتها، أي يكون في اللفظ إحياء بالمعنى، فقد يأتي ، اللفظ

مفردا، فيرسم في الذهن صورة المعنى، تارة بجرسه الذي يلقيه في الآذان وتارة بظله الذي يلقيه

في الخيال وتارة ثالثة وبالجرس والظل"⁽⁶⁾

⁽¹⁾ هو، الآية 44 .

⁽²⁾ الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 89.

⁽³⁾ الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ص 384، 385.

⁽⁴⁾ الزمخشري، الكشاف ، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ط 01، بيروت 2005 ج 2 ص

398.

⁽⁵⁾ البقرة، الآية 117.

⁽⁶⁾ الزوبعي، من أساليب التعبير القرآني ص 358.

قصة هود-عليه السلام-

- لقد عمد الأنبياء سلام الله عليهم إلى أسلوب اللين في التعامل مع قومهم وهو سبيل الذي أمرهم به الله عز وجل ففي سورة الأعراف:
- "يا قوم..يا قوم...أنا لكم ناصح أمين وفي سورة هود" يا قوم ...يا قوم...يا قوم، استغفروا ربكم...

فهذا تكرار لنفس الصيغة بغية التقرب والتحبب إلى القوم دون حواجز أو وسائط .

- ومن أساليب اللين والرفق في الدعوة تعداد النعم والخيرات قال تعالى في سورة الأعراف.

- "وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" ¹

أما في سورة هود. فورد التفصيل في النعم بقوله تعالى:

"يرسل السماء عليكم مدرارا، ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين" ²

وهنا نسجل تقابلاً دلالياً بين اللفظة الواحدة والعبارة، إذ دلّت كلمة بسطة" دلالة على معناها انطلاقاً من هذا المكان، وقياساً على ورودها في أماكن أخرى من القرآن الكريم حيث ترد أحيانا بصوت السين وأحيانا أخرى بصوت الصاد وفي هذا يقول العلماء "بصطة - بسطة- الأصل في الكلمة هو السين، والحجة لمن قرأ بالصاد أنه أبدلها من السين لتؤاخي السين في الهمس الجهر وتؤاخي الطاء في الإطباق لأن السين مهموسة والطاء مجهورة ، والحجة لمن أشم الزاي أنها تؤاخي السين في الصفير وتؤاخي الطاء في الجهر" ³

¹(الأعراف، الآية 69 .

²هود، الآية 59 .

³(خالد قاسم بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، ص196.

" فبالسين السعة الجزئية، كذلك علّة التقيد، وبالصاد السعة الكلية بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق"¹

فقد وردت في سورة البقرة بالسين في وصف طالوت.

"قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم"².

ووردت بالصاد في وصف قبيلة عاد قوم هود قال تعالى: "واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون"³ وطالوت إنما هو شخص واحد وأما عاد فهي قبيلة، ومن المعلوم أن الصاد أقوى من السين وأظهر. فكان السين الذي هو أضعف أليق بالشخص الواحد والصاد الذي هو أقوى وأظهر وأليق بالقبيلة"⁴

ثم أن الله عز وجل في قصة هود -عليه السلام- أوضح بالصاد عظم النعيم الذي كانت عليه عاد من رغد في العيش والصحة ثم قابله جفائهم وجحودهم ما استلزم عظم البلاء والعذاب فأبادهم الله لأجل ذلك ولم يترك لهم من أثر.

"وسائر ما في القرآن يبسط" بالسين في أكثر من عشرة مواضع وذلك أن البسط في آية البقرة مطلق عام لا يخص شيئاً دون شيء وفي غيرها مقيد، ولا شك أن البسط أقوى من المقيد، فهو يحمل البسط في الرزق وفي الأنفس وفي الملك وغيرها. فجاء في الأقوى بالصاد وفي المقيد بالسين"⁵

¹ (الزركشي، لبرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر 1957، ج1 ص429.

² (البقرة، الآية 247.

³ (الأعراف، الآية 69.

4) فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد 2000، ص 47.

⁵ (فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص 47.

التنوع الصوتي والدلالي في تصوير العذاب الواقع على أهل عاد فقد ثبت تاريخيا ودينيا أنهم قوم أبادهم الله لشدة كفرهم وجحودهم، وهم من العرب البائدة. ففي سورة الأعراف عبرت الآية بلفظة القطع.

"...وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا.." (1)

وفي سورة هود عبرت الآية بلفظة البعد قال تعالى:

"واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود" (2)

وفي كلتا اللفظتين "القطع" "البعد" شدة وصلابة في الإيحاء الصوتي ابتداء من القاف الشديدة المجهورة إلى الطاء القوية إلى العين ثم الباء والعين والذال في البعد.

أما القطع: فهو للجز والفصل والاجتياز، ومن حروف القطع، القاف للقوة والمقاومة والانفجار الصوتي والطاء للمطاوعة والطراوة والفلطحة والعين للعيانية والوضوح والفعالية" (3)

وأما البعد: فالباء شديد مجهور أو بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعا بعد ضمة شديدة، فهو أوحى ما يكون بمعاني البعج والحفر، والقطع والشق، والتحطيم والتبديد والمفاجأة والشدة" (4)

والذال: مجهور شديد، أصم وأعمى مغلق على نفسه كالهزم لا يوحى إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة ما يدل على الصلابة والقساوة وكأنه من حجر صوان،... وهو أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين" (5)

والعين: "وحرف العين في تعامله مع الحروف إما أن يشدها إلى تحقيق خصائصه الذاتية من الفعالية والقوة والصفاء والفخامة والسمو، وإما أن ينساق معها للتعبير عن مختلف خصائصها

¹الأعراف، الآية 72.

²هود، الآية 60.

³حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998، ص 241.

⁴المرجع نفسه ص 213.

⁵حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب دمشق 1998، ص 67.

الحسية والشعورية وإن تناقضت أصلا مع خصائصه، ولكن ليضفي على معاني الألفاظ التي يشارك في تراكيبها في الأعم الأغلب كثيرا من الفعالية والعيانية والظهور⁽¹⁾

إذن فالكلمة "ليبعد" بهذه الحروف مجتمعة، تحمل معنى الشدة والصلابة في الأمر مع المفاجأة وكذلك تناسب الأمر مع معنى العذاب في الإبادة وقطع الدابر .

سبحان الله:

لاحظ معي هذا التقابل الدلالي بين:

الكلمتين **عبد = بعد**

كيف أن تقديم العين على الباء دل على القرب والوصال وأن تأخير العين وتقديم الباء دل عكس المعنى أي البعد والقطع.

ثم أن هذا التقابل حاصل في القصص إذ بدئت بالدعوة إلى العبادة بالقرب إلى الله عز وجل. وختمت بوقوع العذاب والابتعاد الذي لا يبق ولا يذر بعد تكذيبهم بالرسول.
..قصة صالح - عليه السلام -:

- وتسير الأصوات في هذه القصة على نفس الوقع الذي سارت عليه في القصة الماضية، مصورة مشاهد اللين في الدعوة إلى عبادة الله في بداية الأمر ليتحول المشهد اللين بعد طول جدال إلى مشهد رهيب من العذاب الأليم، لذا تبقى المقابلة بين الأصوات
"ع-ب-د" "ب-ع-د" قائمة بهذا الشكل:

1- بدئت القصة بالدعوة إلى العبادة.

"وإلى ثمود أخاهم صالحا، قال يا قوم اعبدوا الله"⁽²⁾

⁽¹⁾ المرجع نفسه ، ص213.

⁽²⁾ (الأعراف ، الآية 73. هود ، الآية 61.

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا..⁽¹⁾

وتختتم القصة في الأخير بنفس الوقع الصوتي في سورة هود والذي اختتمت به قصة هود أنفا أيضا وهو البعد.

"ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود"⁽²⁾

أما في سورة الأعراف فقد عبرت الآيات عن الهلاك. بأصوات مختلفة ألا وهي "الرجفة" التي تحمل معنى الذكر والارتعاش الشديدين صنعتها تتناسق الأصوات المجتمعة "الراء - الجيم - الفاء" الراء: مجهور متوسط الشدة والرخاوة وبديل على معاني التحرك والتكرار والترجيع وكذلك الاضطراب.³

الجيم:

فيها شدة تدافع النفس أثناء خروج الجسم إذ يحدث ارتجاج في مساحة واسعة من سقف الحنك، كما أنهما توحى بالشدة والقوة.

الفاء: مهموس رخو، يقول ابن جنى "إنه لرقعة صوته، كثيرا ما يضيف معنى الضعف والوهن على الألفاظ التي يدخل في تراكيبها ولا سيما المؤلفة من حروف "د.ت.ط.ر.ل. ن"⁴

" ولكن هذا الحرف بحفيف صوته الرقيق وبعثرة النفس لدى خروجه من بين الأسنان العليا وطرف الشفة السفلى، يوحي بلمس مخملي دافىء كما يوحي بالبعثرة والتشتت لتكون الخصائص الصوتية لهذا الحرف موزعة بين اللمسي والبصري"⁵

¹ هود ، الآية 62.

² هود ، الآية 68.

³ حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 132.

⁴ ينظر: المرجع نفسه ، ص 86 ، 87.

⁵ المرجع نفسه ، ص 132 .

وهكذا تجانست هذه الأصوات مجتمعة لصنع معاني الرجفة بما فيها من زعر وارتعاش فأصبحوا جائثين في ديارهم"، وجاء عند ابن عاشور أن الرجفة: "اضطراب الأرض وارتجاجها، فتكون من حوادث سماوية، كالرياح العاصفة والصواعق وتكون من أسباب أرضية كالزلازل، فالرجفة اسم للحالة الحاصلة وفي سورة هود بالصيحة فعلنا أن الذي أصاب ثمود هو صاعقة أو صواعق متوالية رجفت أرضهم وأهلكتهم صعقين ويحتمل أن يقارنها زلزال أرضي"¹

"فأصبحوا في دارهم جائثين".²

جاثم : أقرب إلى معنى الجثة الهامدة (الجثث): "الجاثم المكب على صدره في الأرض مع قبس ساقيه كما يجثو الأرنب، ولما كان ذلك أشد سكونا وانقطاعا عن اضطراب الأعضاء استعمل في الآية كناية عن همود الجثة بالموت"³

قصة لوط- عليه السلام - :

- كل القصص بدئت بذكر الأخوة بين النبي وقومه

"والى عاد أخاهم هودا" "والى ثمود أخاهم صالحا"

"والى مدين أخاهم شعيبا"

ما عدا قصتا نوح ولوط. وموسى عليهم السلام وفي ذلك تفصيل:

أن نوحا أبو البشرية الثاني لا تربطه بقومه علاقة نسب وأخوة أما من جاء بعده من أنبياء. د هود صالح شعيب فهم من ذريته، وأبناء قريتهم وقومهم لذلك نسبوا إليهم بالأخوة. أما لوط عليه السلام فهو غريب عن هذه الديار وهو ابن اخ سيدنا إبراهيم، هاجر معه و أرسله إبراهيم عليه السلام - إلى قرية سدوم ليدعوها إلى عبادة الله وأن يكوفوا عن فاحشتهم التي لم يسبقهم إليها أحد

¹ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مج 4 ص 227.

² هود، الآية 78

³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مج 4 ص 227.

وقد جاء في التحرير والتتوير أن لوطا-ع س. قدم إلى القرية ومعه ابنتاه ثم تزوج امرأة ثانية من القرية ولم ينجب منها وخرج ولم يؤمن مع سواهما وأن امرأته كانت من الغابرين.

- ونفي الأخوة عن لوط -ع س - فيه إشارة دلالية أيضا إلى استحالة نسبة النبي إلى قوم ظالمين عظمت فاحشتهم، وأصرروا عليها.

- إشارة دلالية أيضا في سورة هود أن مهدت الآيات لقصة لوط-ع س- بقصة إبراهيم عليه السلام- والبشرى بالسلام. وفي ذلك إشارة إلى العلاقة الزوجية السليمة التي يحيى فيها المرء تطبيقا موافقا للفطرة البشرية التي فطرها عليها خالقها- عز وجل. والتي تنتج برزق كريم منه وهم الأولاد.

- هذا في سورة هود أما في سورة الأعراف فلم يفصل في وقائع القصة إلا ذكر الفاحشة العظمى ومن ثم العذاب، الممطر. دون تحديد نوع المطر. أما سورة هود فقد حددت نوعه بأنه حجارة، من سجبل منضود، مسومة، وأنه جعل عاليها سافلها.

وهي كلمات قوية بأصواتها توحى بعظيم العذاب وأقساه .

- أما زوجته فكانت من الغابرين في سورة الأعراف.

غابرين: تدل أصوات هذه اللفظة على البعد والهلاك الذي لا رجعة بعده فالغين: صوت مجهور رخو. وقد أتفق العلابلي والأرسوزي على أنه: لغوور المعنى والغموض والخفاء⁽¹⁾

فهو لا يوحي بالغموض فقط، وإنما بالإمحاء والعدم أيضا... كما أنه لا يوحي إلا بغرغرة الموت والإمحاء، فصوته عندما يخرج من فوهة الحلق، إنما يخرج مخربا محو الألوان مجلبيا بالسواد، وهكذا نسمع صوت هذا الحرف مثلما نرى الليل المظلم البهيم⁽²⁾

⁽¹⁾حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها ص 126.

⁽²⁾ المرجع نفسه ، ص 126.

كل هذه المعاني فما بالك إذا أضيفت إليه ألف المد، فإنه دلالة على الابتعاد في الأمم والتأكيد على حدوثه المديد غير المنقطع "من الغابرين" من الهالكين والغابر يطلق على المنقضي، ويطلق على الآتي فهو من أسماء الأضداد. وأشهر إطلاقيه هو المنقضي ولذلك يقال: غبر بمعنى هلك وهو المراد هنا أي كنت من الهالكين: أي هلكت مع من هلك من أهل سدوم⁽¹⁾

قصة شعيب-عليه السلام -

- حدث تكرار أيضا للعبارة الآتفة الذكر في كل القصص في كلتا السورتين وهي:

"يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"²

وهذا لتأكيد مبدأ العبادة والتوحيد.

وبالمقابل كان الجزاء من جنس العمل إذ كذبوا فأبعدوا. فيعود ذكر البعد في سورة هود:

"كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدن كما بعدت ثمود"³

أما في سورة الأعراف فيوضح أكثر معنى العذاب فيعود مشهد ثمود وهو -

"فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين"⁴

- حدث تكرار في سورة الأعراف للفظه الخسران:

- أصوات مجتمعة: الأولى: توعّد القوم شعيبا وقومه أنهم من الخاسرين.

"لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون"⁵.

وبأسلوب تهكمي يرد على المتوعددين أن الخسران لم يكن من نصيب الذين اتبعوا شعيبا إنما كان

من نصيب الآخرين الذين كذبوه :

⁽¹⁾ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج 04 ص 237 .

⁽²⁾ الأعراف، الآية 85. هود، الآية 48.

⁽³⁾ هود، الآية 95.

⁽⁴⁾ الأعراف، الآية 91.

⁽⁵⁾ الأعراف، الآية 90.

- "الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين" ¹

وفي ومضة ها نحن نرى هؤلاء في دارهم جاثمين، لا حياه ولا حراك كأن لم يعمروا وهذه الديار وكأن لم يكن لهم فيها آثار.

قصة موسى - عليه السلام-

-القصة أكثر تفصيلا في سورة الأعراف وأشد اقتضابا واختصارا في سورة هود لذلك فقد تعددت المشاهد المعروضة في السورة الأولى فوق التفصيل في جميع مراحل الدعوة"دعوة فرعون وملئه- معجزة العصا- إيمان السحرة - نجاة موسى ومن معه...الخ.

- لم يرد ذكر "الأخوة" في قصة موسى -ع س. وهو مبعوث إلى فرعون وقومه دلالة على أن موسى -عليه السلام- لم ينسب إلى فرعون الذي ربّاه في قصره صغيرا وهو في الأصل من بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون ونكّل بهم.

- "آية"="آيات"

جاء في سورة هود أن ما بعث به موسى "آيات" وسلطان مبين"ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين" ².

أما في الأعراف فقد جاءت بصيغ الإفراد"آية"

"قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين" ³.

أما في سورة الأعراف فقد أشار مباشرة إلى الآية التي أوتي بها موسى "العصا واليد البيضاء" وأما الآيات في سورة هود فهي إشارة إلى كل المعجزات التي جاء بها موسى - عليه السلام - و لم تذكر في هذه السورة ولكن ذكرت في مواضع أخرى من القرآن الكريم: العصا- اليد-

(1) الأعراف، الآية 92 .

(² هود، الآية 91

(³ الأعراف، الآية 106.

العيون - الألواح - التكليم..الخ. - ورد تكرار للأصوات التالية"و.ر.د" بصورة مجتمعة في سورة هود حيث صنعت نغمية ونبرا رائعين، إذ صورت الطريقة التي يساق بها المجرمون إلى النار وسوء مقامهم فيها:

" .. فأوردهم النار وبئس الورد المورود" ¹ .ثم "... ويوم القيامة بئس الرفد المرفود" ² .

- كذلك هنالك تكرار بديع ومجلجل في الآيات التي تصور الحرب الكلامية والنفسية التي دارت بين موسى والسحرة في سورة الأعراف إذ تكرر معنى الإلقاء: وصوت القاف الشديد المجهور يضع قوة صوتية توحى بالثقة والثبات في نفس موسى وهو يحاور السحرة.

"قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين" ³ .

"قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس" ⁽⁴⁾ .

"وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا تلقف ما ياكلون" ⁽⁵⁾ .

"فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين" ⁽⁶⁾ .

"وألقى السحرة ساجدين" ⁽⁷⁾ .

وبعدما كانت المعجزة تحصل بحدوث إلقاء ما في اليد ، عبّر السحرة في الأخير عن عجزهم عما في يد موسى، واعترفوا بنبوته هذه المرة بإلقاء أنفسهم كاملة ساجدين لرب العالمين فلاحظ كيف صنع الإلقاء كل هذا؟! .

⁽⁶⁾ الأعراف، الآية 119.
⁽⁷⁾ الأعراف، الآية 120.

¹ هود ، الآية 98.
2 (هود ، الآية 99.
3 الأعراف، الآية 115..
4 الأعراف، الآية 116.
5 الأعراف، الآية 117

3. - فواصل الآيات :

1.3. تعريف الفاصلة

1.1.3. لغة: الفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام.

وقد فصلّ النظم، وعقد مفصلّ أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة والفصل . القضاء بين الحق والباطل.

وقوله عز وجل: هذا يوم فصل" أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء/ وذكر الزجاج:

أن الفاصل صفة من صفات الله عز وجل يفصل القضاء بين الخلق⁽¹⁾

2.1.3. اصطلاحاً: هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينه السجع خلافاً "لأبي عمر الداني

(ت 444هـ) الذي اعتبرها آخر الجملة⁽²⁾

ويرى جلال الدين السيوطي أنه "قد تحتوي الآية الواحدة على جمل عدة، وليس آخر كلمة في الجملة فاصلة لها بل الفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الآية، ليعرف بعدها بدء الآية الجديدة بتمام الآية السابقة لها أما الرماني فيرى أن "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"⁽³⁾

وتقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يمايز بها القرآن أنواع الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها. وأخذت التسمية اقتباساً من قوله تعالى "كتاب فصّلت آياته" سورة فصلت آ3.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب مادة (فصل)

⁽²⁾ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم مج1، مكتبة دار التراث، دط، دت، ص 53.

⁽³⁾ بدر الدين الزركشي- البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 53.

⁽⁴⁾ جلال الدين السيوطي- الاتقان في علوم القرآن ، ج2 ص 210.

كما اصطلح عليها العلماء - رؤوس الآيات - وذلك تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، والرأس هو مستوى من الارتفاع والارتقاء لا تهبط أبداً، والوقف عند الرأس يشعر بأن آيات القرآن قمم يرقى القارئ إليها وكلما مضى في القراءة ازداد رقياً، فهو صاعد أبداً حيث يقال لقارئ القرآن "اقرأ وارق" فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤهما وأطلق عليها "يحي بن زياد القراء" أربع أسماء هي الفواصل رؤوس الآيات وآخر الآية وآخر الحرف⁽¹⁾

وشاع من هذه الأسماء الفواصل ورؤوس الآي.

فرّق أبو عمر الداني "بين الفواصل ورؤوس الآي قال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس أي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمع الضربين ولأجل كون معنى الفاصلة هذا، بما ذكره سيبويه في تمثيل القوافي بقوله تعالى: "يوم يأت" هود 105 "ما كنا نبغ" الكهف آ 4 و هما رأس آية بإجماع "إذ يسر" الفجر آ 3 ، وهي رأس آية باتفاق.⁽²⁾

- والواضح أن العلماء قد اختلفوا في تحديد الفاصلة وتعريفها وتعود هذه الإشكاليات إلى تنوع أشكال الفاصلة القرآنية وتنوع صورها ، فقد تكون كلمة وقد تكون مقطوعاً من كلمة وقد تكون جملة.

وقد تظن سيد قطب إلى شيء من هذا حين قال إن الفواصل في القرآن غيرها في الشعر، فهي ليست حرفاً متحداً، ولكنها إيقاع متشابه "على أن النسق قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة، والتفعيلات التامة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والواصل المتقاربة في

⁽¹⁾ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص53، ص54.

⁽²⁾ جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، مكتبة مصر بالجالة، د ط ، د ت ، ص 437.

الوزن التي تغني عن التفاعيل ،والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي ،...فنشأ النثر والنظم جميعاً¹ ، كما أن فواصل القرآن الكريم ترد سريعة قصيرة في الآيات والسُور القصيرة، بينما ترد طويلة في الآيات والسور الطويلة ، وهي مرتبطة بالمعنى والجو العام في الآية والسورة معاً " وأن تجيء الفاصلة وهو على كل شيء قدير بعد كلام يثبت القدرة ،والفاصلة إن الله عليم بذات الصدور في واد العلم المستور "(2) ،

مع العلم أن سيد قطب صاحب حسّ جمالي وذوق فني ،وهما أسلوبه وطريقته اللذان يصاحبانه في جميع مؤلفاته ،وكذا في تحديده لمعنى الفاصلة: " قد استخدم في ذلك كله ذوقه الفني الرفيع مع احتفال يسير بالمصطلحات والموروثات الثقافية القديمة"³ إذن فهي ليست مجرد تشابه في الحروف الأواخر بل كلمات لها نفس الإيقاع والنغم ثم المعنى والدلالة .

هذا فيما يخص التعريف والمفهوم أما التحديد، أي تحديد المكان الذي تقف عنده الفاصلة فقد تباين فيه العلماء أيضاً.

نذكر كمثال "عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي الذي يرى أن طرق معرفة الفواصل تتحدد في أربع وهي:

- "مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولاً وقصراً.
- مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله.
- الاتفاق على عد نظائرها في القرآن.
- انقطاع الكلام عندها "(4).

¹ سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار الشروق ، ط 16 ، القاهرة 2002، ص 102،103.

² المرجع نفسه ،ص 88 .

³ محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، ط 02 ،الأردن 2000، ص 66.

⁴ حسين نصار، الفواصل، مكتبة الخانجة ، ط01، مصر 1999، ص10.

- وعلى العموم فإن جل العلماء يتفقون على أن الفواصل تبنى على الوقف وأشار إلى ذلك الزركشي قائلاً:

إن مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون⁽¹⁾

وإن ما نعينه بهذه الدراسة هو الطريقة المتبعة في المصاحف الشريفة بتحديد أواخر الآيات بالأرقام والتي تعتبر فواصلها والقراءة المعتمدة هي رواية حفص عن عاصم.

وكخلاصة لهذا العنصر فإن الفاصلة القرآنية مادة هامة للدراسة الصوتية والدلالية لا يمكن لأي دراسة لغوية إغفالها فهي تعطي للنص قوته وسحره في الإبلاغ.

"أعطت الفاصلة القرآنية قوة للتعبير وانسياباً تلقائياً للنغم الموسيقي المصاحب للدفق المعنوي ولعل هذا ما زاد من التأثير النفسي الذي يحدث لدى المتلقي عن طريق السمع وفي ذلك جمال صوتي بين أشار إليه ابن قتيبة بقوله " وجعل متلوا لا يمل على طول التلاوة ومسموعا لا تمجه الأذن وغضا لا يخلق من كثرة الترداد"⁽²⁾

¹ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج1، ص69.

² فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية ص 46.

2.3. الدراسة التطبيقية لفواصل القصص:

قصّة نوح-عليه السلام-	
الأعراف	هود
-عظيم	- مبین
- مبین	- أليم
-العالمین	- كاذبین
-تعلمون	- كارهون
- ترحمون	- تجهلون
-عمین	- تذكرون
	- الظالمین
	- الصادقین
	- معجزین
	- ترجعون
	- تجرمون
	- يفعلون
	- تسخرون
	- مقيم
	- رحيم
	- الكافرين
	- المغرقين

-	الظالمين
-	الحاكمين
-	الجاهليين
-	الخاسرين
-	أليم
-	المتقين

قصّة هود-عليه السلام-	
الأعراف	هود
- تتقون	- مفترون
-الكاذبين	- تعقلون
- العالمين	- مجرمين
- آمين	- بمؤمنين
-تفلحون	- تشركون
- الصادقين	- تنظرون
- المنتظرين	- مستقيم
- مؤمنين	- حفيظ
	- غايظ
	- عنيد
	- هود

قصّة صالح-عليه السلام-	
الأعراف	هود
- أليم	- مجيب
- مفسدين	- مريب
- مؤمنون	- تخسير
- كافرون	- قريب
- المرسلين	- مكذوب
- جاثمين	- العزيز
- الناصحين	- جاثمين
	- ثمود

قصّة لوط-عليه السلام -	
الأعراف	هود
العالمين	- حنيذ
مصرفون	- لوط
يتطهرون	- بعقوب
الغابرين	- عجب
المجرمين	- مجيد
	- لوط

منيب	-
مردود	-
عصيب	-
رشيد	-
يزيد	-
قريب	-
منضود	-
ببعيد	-

هود	قصة شعيب عليه السلام - الأعراف
محيط	مؤمنين
مفسدين	المفسدين
بحفيظ	الحاكمين
الرشد	كارهين
أنيب	الفاتحين
ببعيد	الخاسرون
ودود	جائمين
بعزيز	الخاسرين
محيط	كافر 15ين

يضرعون	رقيب
لا يشعرون	جائمين
يكسبون	ثمود
نائمون	
يلعبون	
الخاسرون	
لا يسمعون	
الكافرين	
الفاسقين	

قصة موسى - ع - س	
الأعراف	هود
المفسدين	مبين
العالمين	برشيد
اسرائيل	المورود
الصادقين	المرفود
مبين	حصيد
ل لناظرين	تتبيب
عليم	شديد
تأمرون	مشهود

حاشرين	معدود
عليم	سعيد
الغالبين	شهيق
المقربين	يريد
الملقين	مجدود
عظيم	منقوص
يأفكون	مريب
يعلمون	خبير
صاغرین	
ساجدين	
العالمين	
هارون	
تعلمون	
أجمعين	
منقلبون	
مسلمين	
قاهرون	
للمتقين	
تعلمون	
يذكرون	

	يعلمون مؤمنين مجرمين اسرائيل
--	---------------------------------------

تابع - قصة موسى - عليه السلام - الأعراف	
يرجعون	ينكثون
تعقلون	غافلين
المصلحين	يعرثون
تتقون	تجهلون
غافلين	يعملون
المبطلون	العالمين
يرجعون	عظيم
	المفسدين
	المؤمنين
	الشاكرين
	الفاسقين
	غافلين
	يعملون
	ظالمين

	الخاصرين
	الظالمين
	الراحمين
	المفتريين
	رحيم
	يرهبون
	الغافرين
	يؤمنون
	المفلحون
	تهتدون
	يعدلون
	يتظلمون
	المحسنين
	يظلمون
	يفسقون
	يتقون
	يفسقون
	خاسئين
	رحيم

3.3. التحليل

وبعد هذا الجرد الكامل للفواصل المتواترة في القصص من خلال السورتين يتبين أننا وضعناها في جداول متقابلة لكي تسهل المقابلة بينها ودراستها .وفي الأخير خلصنا إلى استنتاج النقاط التالية بصفة إجمالية و سيأتي التفصيل فيها:

أ- الآية من حيث الطول والقصر .

ب- الفواصل ملخص الآية والفكرة .

ج- الفواصل ملخص القصة

د- الفواصل المتكررة

هـ - الفواصل ووحدة الإيقاع .

الآية من حيث الطول والقصر :

ونعني بها الجملة التي توشح في الأخير بفاصلة فقد لاحظنا أنها تتراوح ما بين طول وقصر

أو توسط أحيانا وكمثال نأخذ قصة نوح - عليه السلام- .

فقد وردت الآيات في سورة الأعراف بوقع مختصر خفيف - ماعدا- الآية الأولى منها -

والقصر في الآية يعطي انتباها أكثر إلى الفاصلة فيكون لها الدور الكامل في صنع المعنى وقد

تزامن هذا الأمر وانسجم مع طبيعة القصة في هذه السورة مقارنة مع نظيرتها في سورة هود حيث

تميزت آياتها بالطول ما يستلزم طولاً في النفس وتوقفا على مجريات القص فيها الذي ينسجم

أيضاً مع الاسترسال في سرد الحدث العام الذي ورد مفصلاً في هذا المقام . باستثناء الآية الأولى

التي وردت مختصرة في ذلك مقابلة لطيفة مع نظيرتها في السورة الأولى.

مثال1: 'فقال الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا

بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين"¹

" قال الملأ من قومه إن لنراك في ضلال مبين "².

قصة هود + قصة صالح + قصة لوط + قصة شعيب -عليهم السلام -.

ومجموع هذه القصص وردت متشابهة من حيث الطول أو متقاربة في غير تفاوت بعيد بينها ولم

يحدث التفصيل المطول في أي منها مثلما حدث في قصة نوح.ع.س.

وسبحان الله فإن هؤلاء -الأنبياء-عليهم السلام- وردوا في أزمان متقاربة وأقوام متشابهة في غيها

وعذابها (الرجفة-الصيحة- البعد- الجثوم..)

ويعود التفصيل مرة أخيرة في القصة الأخيرة قصة موسى -عليه السلام - ولكن هذه المرة

بقلب الموضوعين ؛أي طويلة في سورة الأعراف وموجزة في سورة هود، وبالتالي فإن مقطع الآية

نجدته مختصرا في بداية القصة من السورة الأولى بما يجعله متناسبا مع نظيرتها في السورة الثانية

ولكن ما بقي كان طويلا في السورة الأولى لما احتاج الأمر إلى الاسترسال الإستزادة في عرض

وقائع القصة.

مثال1: "واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرfid المرفود"³.

مثال2:'قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم

ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعلمون "⁴.

¹ (هود، الآية 27.

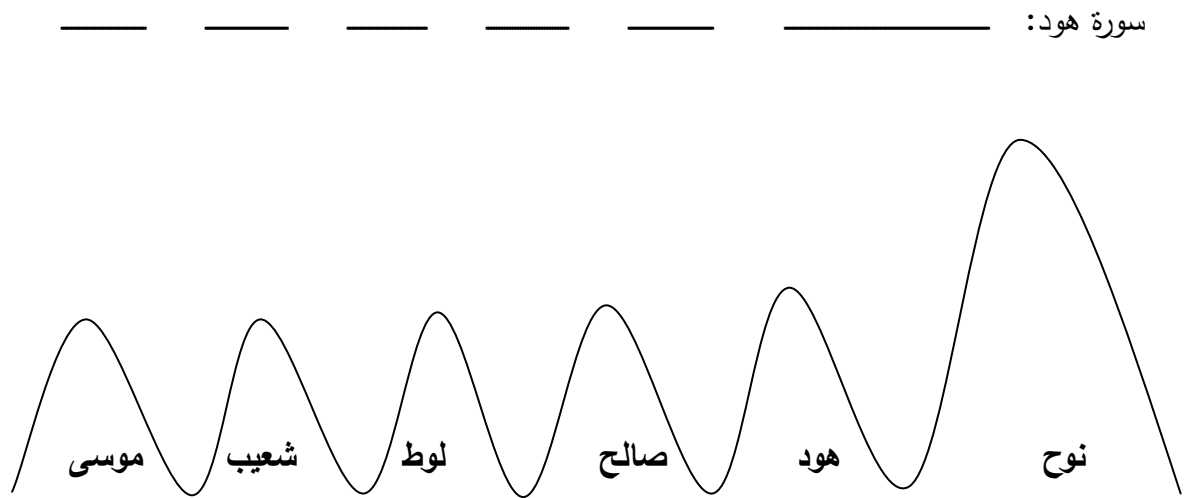
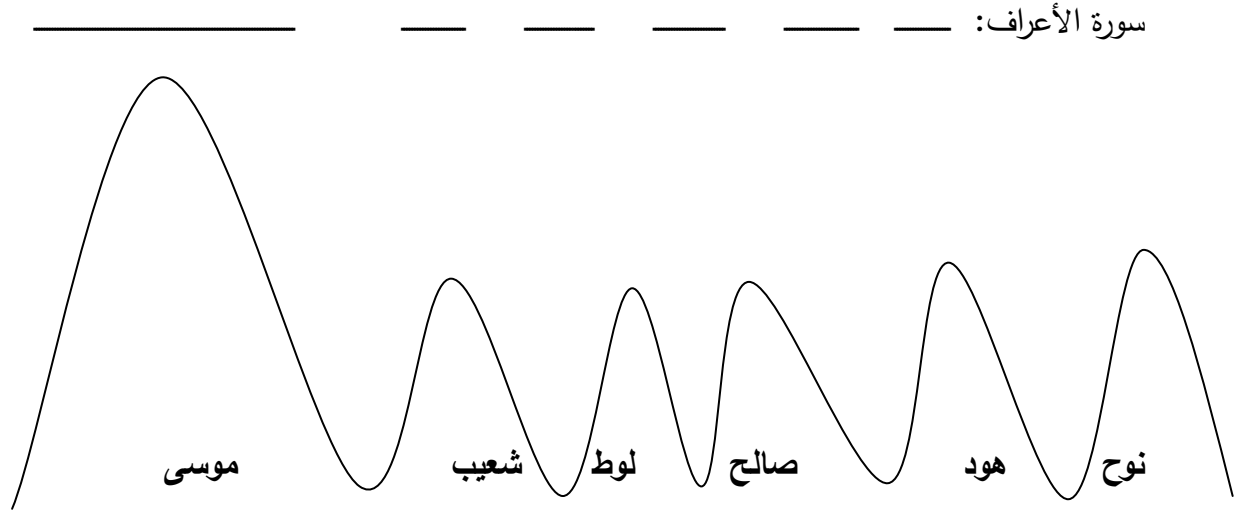
² (الأعراف، الآية 60.

³ (الأعراف، الآية 99.

⁴ (الأعراف ، الآية 129.

وكخلاصة عامة لهيكل الآيات في السورتين نرمز للطول في القصة بمطبة طويلة وللقصر بمطبة

قصيرة فيكون البناء كالتالي:



-. الفواصل ملخص الآية والفكرة :

ويظهر هذا بعد نظرة متمعنة في مجمل القصص والقرآن الكريم ككل إذ أن الآية الواحدة تشحن

بفكرة معينة تتوج في الأخير بفاصلة تجمع المعنى العام للآية.

وهذا ما يسميه العلماء بـ "التمكين" وهو أن يمهد قبلاً للآية فتأتي الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها ومطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقة معناها.

بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم⁽¹⁾

مثال: "قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنك الحليم الرشيد"²

فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال⁽³⁾

مثال 2: "الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين"⁴ وهذا ما يسميه العلماء في أنواع الفواصل بالتصدير إذ تناسبت الفاصلة "خاسرين" مع ما تصدرت به الآية في المعنى "الذين كذبوا" فحتماً جزأؤهم الخسران".

الفواصل ملخص القصة:

ونعني بهذا أنك لو اطلعت على الفواصل المبينة في الجداول وفي كل قصة لتبين منه مراحل الأحداث وكيف تطورت من بدايتها إلى نهايتها فتجد في بداية القصة فواصل تدل على التعلل - الرشد - الإنابة، ثم فواصل أثناء التحوار تدل على التكذيب، الشرك، الإجماع وفي النهاية فواصل تحمل معنى العذاب: جاثمين غليظ - عنيد. أليم.

⁽¹⁾ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن مج 1 ص 79 وما بعدها.

⁽²⁾ هود، الآية 87.

⁽³⁾ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن مج 2 ص 218.

⁽⁴⁾ الأعراف، الآية 92.

الفواصل المتكررة: إنا نلاحظ في جدول الفواصل بعض الألفاظ المتكررة ما يحقق انسجاماً وربطاً في النص ككل ، وهذا التكرار. حدث على مستويات : إما في القصة الواحدة وإما في القصة ونظائرها الأخرى وإما من السورة الأولى إلى السورة الثانية:

- القصة الواحدة: نأخذ كمثال: قصة شعيب -عليه السلام- في سورة الأعراف تتكرر فيها الفاصلة خاسرون: ثلاث مرات مرتان بالرفع "خاسرون" ومرة بالنصب خاسرين.

وهذا للفت الانتباه والتأكيد على خسران المكذبين

القصة ونظيرتها، نبقى دائماً مع قصة شعيب -عليه السلام- ،تتكرر الفاصلة جاثمين في سورة الأعراف وسورة هود للتأكيد على العذاب الحاصل. وكذلك في قصة صالح نجد الفاصلة جاثمين في الآية "78" من سورة الأعراف والآية "76" " من سورة هود.

ما بين السورة وأخرى:

لقد تكررت ما بين السورتين فواصل عديدة مثل: مجرمين ، مكذبين، كافرون ، مفسدين ،

جاهلين

- مجرمين:آ"35" هود/آ84 الأعراف/ آ"133" الأعراف

- مكذبين - كاذبين: مكذوب. آ"66" لأعراف/آ27 هود/آ"65" هود

- كافرون:آ"76" الأعراف/آ"42" هود/آ"76" الأعراف/آ"93" الأعراف.

- مفسدين:آ"74" الأعراف/آ"103" الأعراف/آ"85" هود /آ"86" الأعراف آ"142" الأعراف/

- جاهلين:تجهلون:آ"29" هود /آ"138" الأعراف آ"46" هود.

ومن هنا يظهر لنا أن الفواصل مليئة بمعاني التكفير والإجرام. وتلك سيرة الأقوام الذين عذبوا بعد فسادهم.

"ولو كان أمر الفاصلة مقصودا لذاته لكانت كل سورة في القرآن مبنية على فاصلة واحدة تنتظم آياتها من البداية إلى النهاية، ولكن لكل سورة لها نظام إيقاعي خاص فبعضها يلتزم فاصلها واحدة وبعضها الآخر تتعدد فيه الفواصل، وكل ذلك يأتي مراعا فيه المعنى، والسياق والجرس، وجو السورة العام"⁽¹⁾

الفواصل ووحدة الإيقاع:

كل الفواصل تنتهي بحرفي المد إما الواو وإما الياء وما جاء منها على شكل لفظة بعينها نجد: عنيد - عزيز مجيب - مريب . أليم.

والأغلبية الساحقة من الفواصل تنتهي بالنون الذي يسبقه مد بالواو أو الياء وهذه ظاهرة غالبه في القرآن الكريم

"ترحمون - كارهون - تذكرون - تفلحون"

"متلقين - ناصحين = غافلين - ناظرين"

وهذا كما يؤكد الدارسون جرى على لغة العرب وعلى ما تعودته العرب من كلام موزون مقفى ولعل الملاحظ في فواصل القرآن الكريم أنها كثيرا ما تخدم بالألف والياء والنون وذلك "أن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا"⁽²⁾

وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع

يقول السيوطي "كثر في القرآن ختم الفاصلة بحروف المد واللين والحق النون، وحكمته التمكن من التطريب بذلك"⁽³⁾

⁽¹⁾ خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 215.

⁽²⁾ سيبويه: الكتاب تح عبد السلام هارون ، دار الكتاب العملية ، ط2، بيروت 1982 ، ج4 ص 204.

⁽³⁾ جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن مج1، ص 227

ونوه إلى هذا أيضا الزركشي " كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين والحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك" ⁽¹⁾

4.ظواهر صوتية

يرتبط هذا الجزء من الدراسة بالتجويد القرآني وماله من أبعاد دلالية في البناء الكلي للسورة ابتداء من الصوت والكلمة ثم الآية ككل. وهذا التجويد هو علم من العلوم القرآنية ارتبط بنزول الوحي وقراءته فكلام الله -عز وجل- يجب أن يقرأ على الكيفية الصحيحة التي نزل بها. قال تعالى: "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" ⁽²⁾. عن زيد بن ثابت قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- "إن الله -عز وجل- يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل" ⁽³⁾

"والتجويد عند القدماء هو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله والحاقه بنظيره وشكله ، وإشباع لفظه وتمكين النطق به على حال صيغته وهيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف" ⁽⁴⁾

ومن المحدثين من عرفه قائلاً : " ويمكن التعبير عن التجويد بحسن الأداء، وهذا يتطلب قراءة القرآن بتطبيق الأحكام وإشباع الحركات وتبيين الحروف، بإعطائها حقها من المخرج والصفات ومستحقها من المد والإظهار والإدغام والإخفاء والقلب والقلقة والتفخيم والترقيق والسكت والروم

⁽¹⁾ بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مج01، ص 68.

⁽²⁾ القيامة، الآية 18.

⁽³⁾ ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة، تح محمد مصطفى الأعظمي و محمد ناصر الألباني، الرياض المكتب الإسلامي 2003.

⁽⁴⁾ محمد بن محمد ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة على محمد الضباع دار الكتب العلمية بيروت د ت ، ج1ص212.

والإشمام وغيرها. فإن هذه الظواهر تنهض لتحقيق غاية عظيمة تتمثل في استظهار دلالات

النص القرآني. وهذا وجه عظيم من أوجه معجزات القرآن الكريم الذي لا تنقض عجائبه⁽¹⁾

وبعد نظرة تحليلية لأشهر الظواهر التجويدية والصوتية الموجودة في المدونة المدروسة وأكثرهما

ظهورا حصرنا الدراسة في الظواهر الخمس التالية:

المد - القلقلة - الإدغام - الإمالة - الوقف يبينها الجدول التالي ويليه التطبيق والتحليل وللوقف

دراسة منفردة خارج الجدول لأنه لا يمكن حصره كظاهرة صوتية ، وأما عن سبب اختيار هذه

الحالات وحصرها في الظواهر المذكورة أعلاه فهو لأسباب هي :

- لا بد من حصر خطوط ونقاط الدراسة ،حتى لانضيع في ثنانيا البحث ونحيد عن الخط

العام للبحث وهو معالجة جميع المستويات دون تفضيل.

- أن هذه الظواهر هي الأشهر في أبواب التجويد وأبرزها من حيث إعطاء الأصوات حقها

في النطق .

- الأكثر بروزا في المدونة المدروسة .

- أن هذه الظواهر لها علاقة وطيدة بالدلالة في النص والآية الواردة فيها .

الظواهر الصوتية/القصة		قصة نوح-ع س		قصة هود ع-س		قصة صالح-ع-س	
الظواهر الصوتية	الأعراف	هود	الأعراف	هود	الأعراف	هود	الأعراف
المد بأنواعه	08	60	20	25	19	15	
القلقلة	03	16	03	09	03	08	
الإدغام	04	29	06	06	04	10	

¹ (خالد بن دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ،ص 87 .

الإمالة		12		02	02	04
---------	--	----	--	----	----	----

القصة/الظواهر الصوتية	قصة لوط-ع-س	قصة شعيب ع-س	قصة موسى-ع-س
	الأعراف	هود	الأعراف
المد بأنواعه	08	31	44
القفلة	01	26	17
الإدغام	02	12	17
الإمالة		04	09

القراءة المعتمدة:

القراءة المعتمدة أولاً هي رواية حفص عن عاصم -ثم الاستعانة برواية ورش عن نافع(ض) في

بعض الظواهر التي سنشير إليها لاحقاً :

1.4. رواية روش :

هي إحدى الروايات المتواترة التي يُقرأ بها القرآن الكريم، تنسب إلى أبي سعيد عثمان بن سعيد بن

عبد الله بن عمرو بن سليمان والملقب بورش.

(110- 197هـ) لقبه نافع بلقب ورش. كان مقراً في مصر، ثم رحل إلى المدينة المنورة ليقرأ

على نافع، فقرأ عليه ختمات في شهر سنة 155هـ . فرجع إلى مصر وانتهت إليه رئاسة الإقراء

في مصر، فلم ينازعه فيها منازع، مع براعته في اللغة العربية ومعرفته في التجويد. وكان حسن

الصوت، قال يونس بن عبد الأعلى: " كان ورش جيد القراءة حسن الصوت. إذا قرأ يهمز ويمد ويشدد ويبين الإعراب، لا يمل سامعه ".¹

2.4. رواية حفص :

هي الرواية أو التلاوة لكتاب الله (القرآن الكريم) لحفص على شيخه الإمام عاصم. هو أبو عمر حفص بن سليمان الكوفي (91هـ-180هـ) إن هذا القارئ كان ممن التزم بهذه الطريقة في قراءته لكتاب الله وأتقنها وصار شيخا فيها بعد معلمه الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي ، وله طلابه وتلاميذه الذين يأخذون عنه فالنسبة هنا نسبة التزام لطريقة القراءة وليست نسبة اختراع بمعنى أن حفصاً مثلاً أو غيره ليس هو الذي اخترع هذه الطريقة ، وإنما لسبب اتقانه وبراعته وحفظه في عصره واشتهاره بتلاوته القرآن بها وبذلك وقع الاختيار عليه لنسبة الرواية إليه لا إلى غيره ولم تعد تنسب هذه الرواية إلى الصحابي أو التابعي، وأما عاصم فهو شيخ الإمام حفص ذلك لأن العلماء كانوا يختارون عند تدوين أشهر القراءات الصحيحة إماماً شيخاً وتلميذين لكل شيخ، فالشيخ هو الإمام عاصم والتلميذين هما حفص وشعبة ولكن رواية حفص أشهر من رواية شعبة لذلك لا يعلم كثير من الناس سوى رواية حفص². "لقد كان أعلم أصحاب عاصم بالقراءة من شدة ما لازمه...وقد قال عنه يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن عاصم هي رواية أبي عمر حفص بن سليمان ...وقال الذهبي : هو في القراءة ثقة ثبت ضابط"³

¹ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، ج 01 ص113
² أنظر التيسير في القراءات السبع لأبي عمر الداني ، دار الكتاب العربي ، ط 2 ، بيروت 1984، ص 30 وما يليها بتصرف .و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة السوادي - جدة 1999 . والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تح علي محمد الضباع ، ص106.بتصرف.
³ عطية قابل نصر ، غاية المرید في علم التجويد ، مكتبة الحرمين ، ط 07 ، القاهرة ص33.

3.4. بين ورش و حفص

المعلوم أن بين القراءتين فروقات معيّنة ، وسبب اختيارنا لرواية حفص كان على سبيل الحصر والتغليب وليس التفضيل إذ رأينا أن الفروقات في مدونتنا لم تكن عميقة وجوهرية بين السورتين ماعدا ما تعلق بالإمالة إذ يقتصر حفص على مكان واحد " مجريها " في سورة هود ، ويوسّعها ورش إلى مواضع أخرى من السورتين و القرآن ككل.

وعلى العموم نجزم أن للقرآن عدّة قراءات يكمن الاختلاف بينها أساسا في كيفية نطق بعض الكلمات (كالكلمات المهموزة، فحفص ينطق بالهمز وورش لا ينطق بها مثلا: المومنون / المؤمنون الارض،/:الأرض، الايمان/الإيمان وهكذا..). كما يوجد اختلاف بينها في تقسيم السور إلى آيات وينتج على ذلك في بعض الأحيان اختلاف في عدد آيات السور من قراءة لأخرى. والاختلاف بين قراءتي حفص وورش يرجع بالأساس إلى اختلاف الطريق الذي أخذ منه كل منهما فحفص أخذ عن عاصم، وورش أخذ عن نافع. وكلّ قارئ من هؤلاء القراء له طريقه بسنده المتّصل المتواتر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ..

وجوانب الاختلاف في قراءتي الإمامين حفص و ورش كثيرة ومتعددة، سواءً في الكلمات أو في نطقها أو في تجويدها وهي جوانب نحسبها صوتية في غالب الأحيان، ويرى العلماء أن الاختلاف في قراءتي الإمامين حفص وورش اختلاف متعدّد الجوانب، سواءً في الكلمات أو في نطقها أو في تجويدها، ولذلك سنكتفي في هذا المقام بذكر خمسة أمثلة للاختلاف بينهما في القراءة؛ اثنين في الياء، وواحد في النون الساكنة، وواحد في هاء الكناية، وواحد في المد، للدلالة على الاختلاف الصوتي : ¹

¹ (علي محمد الضباع ،هداية المريد إلى رواية أبي سعيد ، - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر (د ت).)

المثال الأول: في الياء :

1-الياء التي بعدها همزة قطع مفتوحة:

مثل قول الله تعالى: (وقال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ)¹، فقد قرأها حفص بالتسكين (أوزعني أن أشكر)، وقرأها ورش بالفتح (أوزعني أن أشكر)².

2- الياء التي بعدها همزة قطع مكسورة³:

مثل قول الله تعالى: (من بعد أن نزع الشيطان بني وبين إخوتي إنّ ربّي لطيف لما يشاء إنّّه هو العليم الحكيم)⁴، قرأها حفص بالتسكين (وبين إخوتي إنّ ربّي)، وقرأها ورش بالفتح (وبين إخوتي إنّ ربّ)

المثال الثاني: في النون الساكنة:

مثل قول الله تعالى: (ن * والقلم وما يسطرون)⁵ قرأها ورش عند الوصل بإظهار النون، وقرأها حفص عند الوصل بالإدغام⁶.

المثال الثالث: في هاء الكناية:

هاء الكناية إذا جاء بعدها حرف ساكن فإنّ حفص وورش -ومعظم القراء- يحذفون الصلة، أي لا تُمدّ الهاء مدّاً طبيعياً إذ التقاؤها بالحرف الساكن يمنعها من المدّ، مثل قول الله تعالى: (يعلمه

¹ النمل، الآية 19.

² ينظر: أبو عمر الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 63.

³ نفس المرجع السابق، ص 65 بتصرف.

⁴ يوسف، الآية 100.

⁵ القلم، الآية 01.

⁶ ينظر: أبو عمر الداني، التيسير في القراءات السبع، ص 45.

الله) إلا في حالةٍ واحدةٍ عند حفص - و يوافقه فيها من القراء ابن كثير - وهي قول الله تعالى:

(ويُخَلدُ فيه مَهَانًا)¹، فقد قرأها حفص بالوصل، وهي بحذف الصلة عند ورش .

والمعنى أن ورشا يزيد على حفص عند الجمع بين السورتين ما عدا الأنفال براءة والناس والفاطحة

وجهي السكت والوصل من غير بسملة فيكون له خمسة أوجه : البسملة بأوجهها الثلاثة أعني

قطع الجميع ،ووصل البسملة بأول السورة ،ووصل الجميع ، ثم السكت والوصل من غير

بسملة...²

المثال الرابع: في المدّ: في قول الله تعالى: (مالك يوم الدين)، قرأها حفص بإثبات المدّ (مالك)،

وقرأها ورش (ملك) بدون مدّ³.

وخلاصة كل هذا القول :

- أن هذه الأحرف كلها على اختلافها كلام الله تعالى لا مدخل لبشر فيها، بل كلها نازلة من

عنده تعالى مأخوذ بالتلقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم-.

- أن الأمة مخيرة في القراءة بأي حرف من هذه الأحرف من غير إلزام بواحد منها، ومن قرأ

بحرف منها فقد أصاب، وليس لأحد أن ينكر عليه، بدليل قوله تعالى (فاقْرَأُوا مَا تيسّرُ منه)

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقْرَأُوا ما تيسّرُ

منه".⁴ أي تقرأ بأي قراءة تشاء وتقدر ،فالسبب في نزول القرآن على سبعة أحرف إذن هو

التخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها شرفاً لها وتوسعة و رحمة⁵

¹ الفرقان ، الآية 69.

² علي محمد الضباع ،هداية المريد ص04.

³ ينظر :أبو عمر الداني ، التيسير في القراءات السبع ، ص 63.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه ،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسننه وأيامه ،تح محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة ، ط 01 ،1422، ج 09 ص159.

⁵ ابن الجزري ،النشر في القراءات العشر ، ج 01 ص69.

6.4. المد:

لغة: هو الزيادة: قال تعالى: "بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا، يمددكم ربكم

بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين"¹.

يمددكم = يزدكم "الميم والذال أصل واحد يدل على جر شيء في طول ، واتصال شيء بشيء

في استطالة .. تقول مددت الشيء أمده مدا ، ومد النهر أي زاد فيه وواصله فأطال مدته " (2)

اصطلاحاً: هو إطالة الصوت بحرف من حروف المدّ واللين أو بحرف من حرفي، اللين فقط"⁽³⁾.

وحروف المد ثلاثة، الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما ومثالهما:

"خوف، قریش ، بيت"، أما الألف فلا تكون إلا حرف مد. لسكونها وانفتاح ما قبلها دائماً"⁽⁴⁾

ويأتي المد على نوعين أصلي وفرعي:

أما الأصلي: وهو المدى الزمني الذي ينطق فيه كل حرف من حروف المد، الثلاثة "واي"

بمقدار حركتين مثل "توحيتها"⁵.

ويسمى أيضاً بالطبيعي لأنه لا يفتقر إلى سبب من همز أو سكون.

أما الفرعي: فهو إطالة المدى الزمني الذي ينطق فيه كل حرف من حروف المد الثلاثة "واي" بعد

زيادتها ضعف أو ضعفين بسبب الهمز أو السكون ولهذا يسمى المد الفرعي لأنه يفتقر إلى سبب"⁽⁶⁾

¹ آل عمران ، الآية 125.

² أحمد ابن فارس ،مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1979 ،ج05 ص 269.

³ عبد الفتاح السيد العجمي المرصفي ، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، ط1، دارالفجر الإسلامية، المدينة المنورة، 2001، ص 266.

⁴ خالد بن دومي. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 110.

⁵ هود ، الآية 49.

⁶ صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2006، ص97.

"وهو يعد ظاهرة من ظواهر الزيادة لأحرف الكلمة القرآنية وإذ قد عرفنا أن زيادة المبنى تستدعي زيادة المعنى فإن المد الصوتي لبعض أحرف الكلمات القرآنية مدّاً زائداً على المد الأصلي الطبيعي حين التلاوة يدلّ على تفخيم هذه الكلمة وزيادة معناها من ناحية مثلما يستدعي أخذ اعتبار جلالة ما يقع عليه المد من ناحية ثانية"⁽¹⁾

وعليه فإن المد يمكن القارئ والسماع من الاهتمام بالدلالة ويثير فيهما الانتباه، ويشير إشارات صوتية إلى مواطن العبر ومجالات التبشير والإنذار⁽²⁾

أسبابه:

ومن أسباب المد أن الحرف الممدود يكون ضعيفا وخفيا، والهمزة حرف قوى صعب فزيد في تقوية المد للضعيف عند مجاورة القوي ليتمكن من النطق الصعب، وزيد من زمن النطق بحرف المد للتمكن من النطق بالهمزة حفاظا على حقّها مخرجا وصفة وليستعان على النطق بالهمزة⁽³⁾

وقد أرجع المد إلى أسباب أخرى وهي مجاورة الهمزة لصوت اللين أو المد، فالسبب في إطالة المد هو الحرص على صوت اللين وطوله، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام. لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين؛ إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفجار فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي للمتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير وإلى عملية صوتية تباين

1) نشأة محمد رضا ظبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، ط1 بيروت 1997، ص133.

² خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ص 111.

³ عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم، من منظور علم الأصوات الحديث، ط01، مكتبة الآداب القاهرة 2007، ص 142.

كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين وهذا هو نفس السر في إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم⁽¹⁾.

الأمثلة: من خلال ملاحظة الجدول السابق وتبين عدد الحالات التي ورد فيها المد، نجد أنه كان كثير في هذه القصص ونحسبه يرجع إلى أسباب تتعلق بالدلالة وهي:

- أن السورتين موضع القص تتمحور حول سرد وقائع ماضية بعيدة ممتدة في الزمن فدل المد على معنى البعيد.

- أن المدّ دلّ على طول صبر كل نبي على قومه في الدعوة.

- أن المدّ دلّ على طول الحدث في الفعل أو الاسم موضع مد.

1- "سأوي إلى جبل يعصمني من الماء"⁽²⁾.

لقد دلّ المد في هذا الموضع على معاني الاحتماء بمكان عال بعيد من العذاب الحاصل "فتأمل في الآية الكريمة لترى كيف شارك المد في التعبير عما في نفس (ابن نوح) إذ المد هنا يلقي

بظلاله على مدى البعد المكاني وعلو الجبل الذي ينشده المتكلم ليفر وينجو به من الطوفان وهو تعبير عما في النفس"⁽³⁾.

⁽¹⁾ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، القاهرة 1981، ص 158-159.

⁽²⁾ هود، الآية 43.

⁽³⁾ خالد بن دومي: دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ص 116 وهو ينقل عن عبد الله الجيوسي، التعبير القرآني ودلالاته النفسية، ص 122.

2- نوحيا إليك¹

3- "جاء أمرنا"²

4- "قد جاء تكم"³

5- "أن جاءكم ذكر"⁴

وقع المد هنا في مقام الإخبار بمجيء أمر الله وهو الدعوة التي تكون برفق ولين وصبر مع تكرار مستمر فاستلزم المد في هذه المواقف للدلالة على التروي في التعامل مع النفوس البشرية الصعبة الإذعان إلى خالقها والعنيدة في الخضوع إلى دعوة الحق.

6 - "آمنتكم"⁵ ، والتعجب ورد مصحوبا-هنا- بالمد الذي يوحى بهول ما رأوه وفعلوه.

7.4 .. الإدغام:

لغة: الإدخال، " دغم هو دخول الشيء في مدخل ما...ومنه قولهم أدغمت اللجام في فم

الفرس إذا ادخلته فيه ، ومنه الإدغام في الحروف "⁶

اصطلاحا: إدخال حرف ساكن في حرف متحرك بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا كالثاني،

وحروفه ستة تجمعها كلمة "يرملون" وهو قسمان:

(1) هود، الآية 49.

(2) هود، الآية 58.

(3) الأعراف، الآية 73

(4) الأعراف، الآية 69.

(5) الأعراف، الآية 123.

(6) أحمد ابن فارس ،مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1979 ،ج2 ص 284،285.

1- إدغام بغنة: وهو الإدغام الذي تظهر فيه الغنة بمقدار حركتين: مثال: - "مِنْ وَآل" ¹

- "وَمِنْ نَعْمِهِ" ²

وحروفه مجموعة في كلمة ينمو" إن الإدغام بغنة يتضمن مدة زمنية تساعد في إبراز

الدلالة من حيث وجود امتداد أو طول أو بطء أو اتساع أو غير ذلك ³.

2- إدغام بغير غنة وهو الإدغام الذي لا تصاحبه الغنة نحو:

"مِنْ رَبِّ رَحِيم" ⁴ "مِنْ لَدُنْهِ" ⁵. "وحرفاه هو الراء واللام.

"وهذا يساعد في إبراز الدلالة من حيث إنه لا توجد مدة زمنية ومن ثم فإن الأمر قطعي ولا

يتطلب زمنا، وتعتبر الكلمتان ملتصقتين التصاقا تاما، وبدون أي فاصل بينهما" ⁶

إذن فبعد فهم كيفية حدوث الإدغام من الجانب اللغوي والنطقي وهو ظاهرة ترتبط باللغة

العربية ولغات أخرى فإنه في القرآن الكريم يحمل شحنات دلالية، ترتبط بالفكرة والجو العام

للقصة فليس في القرآن الكريم من شيء يحصل عبثا ، بل مهما بدا صغر الظاهرة إلا وكانت

في مكانها المناسب.

(1) الرعد، الآية 11.

(2) يس، الآية 68.

(3) خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، ص 131.

(4) يس، الآية 58.

(5) الكهف، الآية 02.

(6) خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية، ص 131، وهو ينقل عن محمد شملول، تأملات في إعجاز الرسم

القرآني وإعجاز التلاوة والبيان ط2-دت- د. بلد، ص 225.

وهو من الوسائل التي تلجأ إليها العربية إما اقتصاداً في الجهد لإحداث نسق صوتي، وإما لتفسير البنية المقطعية للكلمة، وإما للعمل على الوصل. أما الاقتصاد في الجهد فذلك محور رئيس من محاور الإدغام، وهو الذي درسه النحاة وخصّوه بالذكر في كتبهم.

قال الزمخشري "فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة.. ولكن لا يجب أن نعمم هذا القول على كل أنواع وحالات الإدغام لأن من بعض حالاته ما يزداد به الجهد العضلي. وسنورد فيما يلي بعض الأمثلة المختارة من المدونة والتي تبين الظاهرة وسببها.

الأمثلة 1 - "أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون" ¹

نقابل هذه الآية من الأعراف بنظيرتها من حيث المعنى في سورة هود ثم نلاحظ كيف حصل الإدغام على مستوى الدلالة.

2 - "فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلاً.. " ²

نلاحظ هنا أن الإدغام دلّ على التحام المعاني في مواضعها، فالذكر المنزل هو حتماً من ربكم وليس من عند غيره "وحدانية المصدر" وأن الذي جاءكم به هو رجل منكم وبين ظهرانكم، وليس بالغريب تجهلون أخلاقه وطبائعه حتى تتكروه، وقد تكرر الإدغام في السورتين للتأكيد على أنه "أخ لكم " " بشراً مثلاً"، فالإدغام بين السورتين في علاقة تكامل بين المعاني دون تكرار في الصيغة ..

3 - "ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب مَعَنَا ولا تكن مع الكافرين" ³

1الأعراف، الآية 63.

2هود، الآية 27.

3هود، الآية 42.

ونلاحظ هنا أيضا كيف دلّ الإدغام على معنى الالتصاق والتوحد لكي يتوحد المصير والنجاة ثم إنه إدغام بغنة أي صوت لطيف رقيق ينبع من قلب أب ونبي رؤوف رحيم تمنى له النجاة إلى اللحظة الأخيرة عسى أن يستجيب الولد الضال.

4- "قيل يا نوح اهبط بسلام منا.." ¹.

والسلام أمر من عند الله عز وجل وهو شعار هذه الأمة منذ أول نبي بعثه الله -جل وعلى- وهو تحية أهل الجنة وهو أمل كل من كان في شدة وعسر.

"إشعار بالتمازج الدلالي بين السلام وكونه من عند الله - عز وجل. لأن الله هو الذي يهب

السلام "سلام قولاً من رب رحيم" يس آ 58 ومن أسمائه الحسنی السلام" ⁽²⁾

وهذه أمثلة متفرقة عن الإدغام في القصص كنماذج مختصرة.

1- "واشهدوا أنني بريء مما تشركون" ³

2- "ولكن رسول من رب العالمين" ⁴

3- "أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم" ⁵

4- "إنه حميد مجيد" ⁶

¹ (هود، الآية 48.

2 (خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ص 133.

3 (هود، الآية 54.

4 (الأعراف، الآية 67 .

5 (الأعراف، الآية 69 .

6 (هود ، الآية 73 .

5- "رحيم ودود"¹

6- "وما قوم لوط منكم ببعيد"²

نلاحظ هنا أن الإدغام وقع في معانٍ لا تقبل الانفصال عن بعضها وهو إدغام بغنة حصل لما جاءت النون الساكنة أو التنوين متبوعا بالميم و لهذا وظيفة دلالية تتمثل في إظهار شدة التمازج والالتصاق في المعنى بين الكلمتين استجابة للتناغم الصوتي فيهما.

2.4...الإمالة:

مفهومها: هي تقريب الألف من الياء والفتح من الكسر بسبب الصلة بذات الياء أصلاً أو رسماً أو بسبب جواز ذات الياء قبل أو بعدا. "الإمالة: أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة، وللفواصل أو لإمالة قبلها على وجه، فلكسرة قبل الألف في نحو عماد وشمائل، ونحو درهمان سوغه خفاء الهاء مع شذوذه....."⁽³⁾

وقيل "أنها أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء (كثيرا)، وهو المحض، ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر - أيضا - و التقليل والتلطيف والغرض من إمالة الألف؛ الإعلام بأن أصل الألف ياء والإمالة تصيير الحركة قصيرة وطويلة بين بين، فالفتحة الممالة تصير بين الفتحة الخالصة والكسرة، والألف الممالة تصير بين الألف الخالصة والياء"⁽⁴⁾ وقد ذهب جماعة إلى أصالة كل منهما. وقال آخرون إن الفتح هو الأصل والإمالة فرع، بدليل أنه ما

¹هود، الآية 90.

²هود، الآية 89.

⁽³⁾ رضي الدين الاستريازي، شرح شافية ابن الحاجب، تح مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية،

لبنان 1982، ج 03 ص 04.

⁽⁴⁾ عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب، د ط، القاهرة

2007 ص 287.

من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها، ولا يقال كل كلمة تفتح. ففي العرب من يميلها، فاطراد الفتح دليل الأصالة⁽¹⁾ وفي هذا يقول الاستريازي "وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدّهم حرصا عليها بنو تميم، وإنما إمالة إذا بالغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة، وما لم تبلغ فيه يسمى "بين اللفظين" و "ترقيقا"⁽²⁾

وما سمّاه القراء وعلماء التجويد فتحا أو إمالة هو هيئات مختلفة للهم استطاع علماء الأصوات أن يحددها بدقة تامة بالأجهزة العلمية وفق نظرية دانيال جونز في أصوات اللين المعيارية، وهذا التحديد كان له أثر في ضبط مقاييس هذه الأصوات والوقوف بدقة على ما ذكره علماؤنا، على حسب الذوق وما تقتضيه المشافهة والملاحظة الذاتية دون اعتماد الآلات أو الأجهزة في زمن لم تكن فيه هذه الوسائل الدقيقة لقياس الأصوات⁽³⁾

وما يمال عند القراء حالات معينة للألف حصرت في النقاط التالية:

- 1- ألف منقلبة عن ياء.
- 2- ألف منقلبه عن واو.
- 3- ألف معتلة.
- 4- ألف التأنيث.
- 5- ألف قبلها راء.
- 6- ألف بعدها راء مجرورة.
- 7- ألف بعدها راء مكسورة.

⁽¹⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات ج 2 ص 29، 32.

⁽²⁾ رضي الدين الاستريازي، شرح شافية ابن الحاجب، تح مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، 1982، ج 3، ص 04.

⁽³⁾ ابن الجزري، النشر في القراءات ج 2 ص 29، 32.

8- ألف بعدها مكسور غير الراء.

9- ألف حروف التهجى في أوائل السور.

10- ألف الآي في أواخر السور.

. أسبابها:

إن أول من إختار الإمالة مذهباً هم القراء الكوفيون والبصريون باستثناء حفص عن عاصم الذي لم يقرأ بالإمالة إلا في موضع واحد "مجراها" في سورة هود. وقد عدنا في هذا العنصر إلى رواية ورش من أجل كشف أكبر عدد ممكن من الإمالات، لأن رواية حفص لا تُظهر إلا موضعاً واحداً من الإمالة (مجراها) في سورة هود -عليه السلام - الآية 41.

وعلى العموم فإن أقوال العلماء كثيرة في الإمالة فمنهم من يكتفي بردها إلى لهجة أو لهجات عربية ومنهم من يعدّها من التغيرات الصوتية التي تقتضيها الخفة والسهولة ومنهم من يرى أنه لا علاقة للدلالة بها، ومنهم من اكتفى باستقراء المواطن التي تجوز فيها الإمالة والمواطن التي لا تمال فيها الألف"أما عن ارتباط الإمالة بالمعنى من عدمه فلا يجوز الإطلاق في عدمية هذه النقطة وإرجاعها فقط إلى أمور لهجية أو صوتية فقد قرأ أبو عمر بن العلاء قوله تعالى:

"ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً"¹

بإمالة "أعمى" الثانية وعدم إمالة الأولى. فلما سئل عن ذلك قال إن الأولى اسم والثانية وصف (يريد أنه اسم تفضيل) وإن بني تميم يميلونها في الوصف، ولا يميلونها في الاسم قيل له: وهل في العمى تفاضل؟ قال نعم، وإنما لا تفاضل في عمى البصر، أما عمى البصيرة ففيه

¹ الإسراء، الآية 72.

تفاضل⁽¹⁾ وهناك سبب آخر ذكره علماؤنا عن الإمامة هو الخفة واللين لذلك تحدث ؛ومن قال بهذا السيوطي" و أما فائدتها فسهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانحدار أخفّ على اللسان"⁽²⁾

.الأمثلة:

1- "بسم الله مجراها ومرساها"³

لقد أشير إلى حركة السفينة في هذه الآية من سورة هود فقط ولم تشر إليها سورة الأعراف أو سور أخرى، وهو مكان الإمامة الوحيد في القرآن الكريم الذي اتفق عليه معظم القراء .

فسبحان الله ؛ لاحظ كيف يرسم اللسان ويتموضع في الإمامة كحركة السفينة وهي تمخر عباب الموج المتصاعد، متمائلة بين رفع وانخفاض، وهي الدلالة الصوتية المعجزة حقا.

"فالإمالة في مجريها ترسم الصورة المتأرجحة للسفينة، تتحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. فتغدو الفتحة في وضع نطقي بين الفتحة والكسرة والألف في وضع نطقي بين الألف والياء أي هي ليست ألفا خالصة ولا ياء محضة. بل هي بين بين. ومجريها كذلك ليست بالألف فتعتدل السفينة وليست بالياء فتميل ميلا شديدا، أما قوله "مرساها" فالنسبة الصوتية لهذه اللفظة ترسم صورة السفينة في حال استقرارها على سطح مستو"⁽⁴⁾

¹ سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، (منهج لساني معاصر). د ط. عالم الكتب الحديث اريد الأردن 2005، ص 119، 118

² جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص 126.

³ هود، الآية 41.

⁴ خالد بن دومي، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ص 274.

2- "و نادى نوح ربه"¹

3 - "واتبعوا أمر كل جبار عنيد"²

4- "فأصبحوا في ديارهم جاثمين"³

5- " فأصبحوا في دارهم جاثمين "⁴

6- "إنا لنراك في ضلال مبين"⁵

7- " كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين "⁶

ومن الإمالات المترددة أيضا إمالة اسم العلم "موسى" عليه السلام. في كل المواقف والحالات. وإن المتأمل لمواضع الإمالة قراءة يجد سهولة و يسرا في النطق بها وأنها تميل إلى الخفة في اللسان. وقد قام سمير استيتية بدراسة تحليلية معمقة للحركات الممالاة فتبين له أن "ترددات الكسر أقوى من ترددات الإمالة، وبذلك نعرف لماذا اختار العرب الإمالة". "إنهم ينشدون بذلك تخفيفا من الجهد المبذول في النطق"⁷

-أما عن دلالات الإمالة فكل لفظة تستقر حسب السياق الذي وردت فيه وقد لاحظنا في الآية 59 من سورة هود كيف جاءت لفظة جبار ممالاة غير مفخمة أو قوية ونحسب أن ذلك يعود - والله أعلم- إلى أن جبروت الطغاة مهما كان فهو لا يدل على قوة أو فخامة أمام عزة الله وقدرته فهو حتما ملك هش زائل.

¹ هود ، الآية 45.

² هود ، الآية 59.

³ هود ، الآية 94.

⁴ الأعراف ، الآية 91.

⁵ الأعراف 60.

⁶ الأعراف 101.

⁷ (سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، (منهج لساني معاصر). د ط. عالم الكتب الحديث اريد 2005، ص46.

- كما أن الفعل أي (نراك - أراك) في عين المشركين ممالاة لما رأو الأنبياء والمرسلين على ضلالة فلم تكن رؤية صائبة شافية بل هي الرؤية الناقصة والضالة في حد ذاتها.

9.4..القلقلة:

لغة: الاضطراب والتحريك " يدلّ على خلاف الاستقرار وهو الانزعاج"⁽¹⁾

اصطلاحاً: اضطراب الحرف في مخرجه عند النطق به ساكناً حتى يسمع له نبرة قوية ،وهي صفة من صفات الحروف ،وحروفها خمسة مجموعة في عبارة "قطب جد" مثلاً: "الحق".."أشد". "محيط"-"قريب"-"مجيد".

وسمّاها سيبيويه بالحروف المشربة حيث قال:"واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلّة، وذلك (القاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء والدليل على ذلك أن تقول: الجزف. فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف وبعض العرب أشد صوتاً كأنهم الذين يرومون الحركة"⁽²⁾

وقد ورد مصطلح الاشراب بعد سيبيويه عند ابن جني وعنون الأصوات الخمسة السابق ذكرها (المشرب)"واعلم أن في الحروف حروفا مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها وهي حروف القلقلّة وذلك لشدة الحفز والضغط"⁽³⁾

⁽¹⁾ أحمد ابن فارس ،مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون ج 05،ص03.

⁽²⁾ سيبيويه ،الكتاب ،تح عبد السلام هارون ،طبعة بولاق القاهرة1917، ج 04،ص174 .

⁽³⁾ ابن جني، سر صناعة الإعراب تح مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ط1 ، مصر 1954، ج 1 ص 73.

ولكن مفهوم الإشراب بقي غامضاً في معناه وكيف أن الأولين استخدموا معنيين دون توضيح الفروقات الموجودة بينهما وهذا ما تنبّه إليه الدارسون اليوم وأشاروا إلى ازدواجية المفهوم. "يظهر ازدواجية المصطلح عند سيبويه، فهي الحروف المشربة وهي أيضاً المقلقلة، ومفهوم الإشراب لم يوضحه سيبويه"⁽¹⁾

كيفية حدوثها:

إنّ القلقلة تحدث مع بعض الحروف المذكورة آنفاً ولكن بتوفر بعض الأسباب وأهمها الوقف الشديد عندها حيث يحتبس الهواء مع ضغط عند خروج الحرف. ونظراً لاهتمام اللغويين العرب بكيفية قراءة النص القرآني استفاد الدرس الصوتي بشروحات عديدة لحالات صوتية تبدو معقدة، ولكن طول التفكير والاهتمام عندهم أسال الحبر الكثير الذي لم يجعل بعده شكاً في كيفية حدوث هذه الظواهر الصوتية، ونورد فيما يلي بعض تلك الأقوال.

- بدر الدين بن عمر: "القلقلة نبرة زائدة قوية تمنع النفس أن يجري معها لأن اللسان يتقلقل لشدة الصوت المساعد مع الضغط عند خروج الحرف ولا تتصف بها إلا ساكنة"⁽²⁾

- رضي الدين " إنما سمّيت حروف القلقلة لأنها يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر وهذا الضغط يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب، احتجت إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فتسمع، وبعض العرب أشدّ تصويماً كأنهم الذين يرومون الحركة في الوقف"⁽³⁾

⁽¹⁾ مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد) - اتحاد الكتاب العرب دمشق 2007، ص 179

⁽²⁾ عبد الغفار حامد هلال: تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الآداب القاهرة 2007 د، ص 81 وهو ينقل عن بدر الدين بن عمر خوج بن عطاء الله المكي التحرير السديد ص 142.

⁽³⁾ رضي الدين الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 3، ص 263.

"واشترط العلماء لقلقلة هذه الحروف ألا تكون مشددة وألا يتلوها حرف آخر من مخرجها كالباء الساكنة التي تليها الميم أو الطاء المثناة بالتاء، فإن شددت أو تليت بحرف من مخرجها لم تقلقل" (1).

- "هي انفكاك بعد التصاق تصحبه نبرة عالية قوية" (2)

أما عن علاقة هذه الظاهرة الصوتية بالدلالة فلا شك أن في ذلك فوائد جمة فأداؤها وفق أحكام التلاوة وتشديد القراء على أدائها السليم له دلالاته المقصودة .

- فالنبر الذي يظهر لأصوات القلقة حين النطق بها يعد زيادة في بنية الكلمة والقاعدة اللغوية المشهورة تقر بأن كل زيادة في المبنى تستدعي زيادة في المعنى. وانطلاقاً من هذا نحاول تتبع الظاهرة في المدونة وبتقصي دلالتها والله المعين على ذلك.

الأمثلة: إنَّ حالات القلقة كثيرة في مدونتنا نذكر فيما يلي بعضها منها:

¹ (عبد الغفار حامد هلال: تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث ، مكتبة الآداب القاهرة 2007 دط، ص84.

² (صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات والأصول النظرية ، والدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق القاهرة 2006، ص71. وهو ينقل عن الجامع لقواعد التجويد: حيدر أحمد الجوادي، مطابع الرشيد المدينة المنورة، د ت، ص 67.

سورة الأعراف:

- 1- "لقد أرسلنا نوحا إلى قومه" ¹
- 2- "أو عجيتم أن جاءكم ذكر من ربكم" ²
- 3- "...وأغرقنا الذين كذبوا" ³
- 4- "قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب" ⁴
- 5- "فأخذتم الرحفة.." ⁵
- 6- "فانظر كيف كان عاقبة المجرمين" ⁶
- 7- "وما وجدنا لأكثرهم من عهد.." ⁷
- 8- "قالوا إن لنا لأجرا" ⁸

سورة هود:

- 1- "ولقد أرسلنا نوحا..." ⁹
- 2- "باسم الله مجراها.." ¹⁰
- 3- "اهبط بسلام منا" ¹¹
- 4- "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم" ¹²
- 5- "ولا تخلصوا الناس أشيائهم" ¹³
- 6- "لا يجر منكم شقاقي" ¹⁴
- 7- "بئس الورد المورود" ¹⁵
- 8- "بئس الرشد المرفود" ¹⁶
- 9- "... فيها زفير وشهيق" ¹⁷

الأعراف ، الآية 59.	الأعراف ، الآية 63.	الأعراف ، الآية 64 (3)
الأعراف ، الآية 71	الأعراف ، الآية 78	الأعراف ، الآية 84 (6)
الأعراف ، الآية 102	الأعراف ، الآية 113.	هود ، الآية 25. (9)
هود، الآية 41.	هود، الآية 48	هود، الآية 78. (12)
هود، الآية 85.	هود، الآية 89.	هود، الآية 89. (15)
هود، الآية 99.	هود، الآية 106.	

قصة نوح عليه السلام وهي أولى القصص في السورتين وقد بدئت في الحالتين بصوت مقلقل في الحرف التقريبي "لقد" الذي يفيد التحقيق والإثبات وما زاده قوة هو قلقله الدال الشديدة التي خدمت المعنى.

- كما وجدنا قوة في بعض الكلمات ذات الحروف المقلقلة مثل :
- "أغرقنا" 64 من سورة الأعراف و "مجرمين" 84 من نفس السورة. و "اهبط" آ 48 و "أطهر" في الآية 78 من سورة هود.
- وقد أشار علماء التجويد أن أقوى الحروف في هذه الصفة هو الطاء ثم القاف ثم تليهما الحروف الأخرى بدرجات متفاوتة لذلك فإن الكلمات ذات صوت الطاء والقاف المقلقلين كانت أقوى "فأغرقنا" تدل على عمق الفعل وشدته فهذا الغرق هو أمر الله الذي لا نجاة بعده.
- ودلت الطاء في "اهبط" و "أطهر" على نفس المعنى القوي الذي لا يتبعه شك فبعدما أقر بالغرق يقر هنا بالهبوط؛ فاهبط يا موسى ومن معك دون تردد فقد وصلت إلى مكان النجاة بأمر الله وعونه "بسلام منا".
- والظهر في "أطهر لكم" طهر متميز في قوم غلبت عليهم الفاحشة، فهنّ بنات نبي الله، وهنّ من نجا معه من أهله لما حلّ العذاب بقوم فاسقين.
- أما باقي الأمثلة فالوقف كان شديداً على الحرف المقلقل، ولذلك علاقة بدلالة الفعل :
- "لاتبخسوا" و"البخس" هو "النقص" ¹ وقد جاءت اللفظة في هذا السياق للدلالة على الخلق السيء ونكرانه بشدة " ويبخسون الناس أشياءهم ، أي ينقصونهم قيمة أشياءهم في المعاملات ، وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد ، كما تمس المروءة والشرف ، كما كانوا

¹ أحمد ابن فارس ،مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون ج01،ص205.

بحكم موقع بلادهم يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الداهية الآيبة بين شمال الجزيرة وجنوبها"¹

وما بقي من أمثلة القلقة في نهاية سورة هود مشحون بعلامات الشقاء والخسران الشديدين في فواصل الآيات "الورد المورود" " الرغد المرفود" ، وإضافة إلى ما قيل في عنصر الفواصل آنفاً ، فالضغط البارز على الدال في الفاصلتين زاد من شدة ازدراء الفعلين .

أما "الزفير والشهيق" فهو حال أهل النار من شدة العذاب ، فلا تكون هاتين الحالتين بصورة ظاهرة بيّنة للعيان شديدة إلا إذا كان صاحبها في شدة وعسرة قلق من أمر ما ، وقد ركبت الفاصلة بشيء من التقديم والتأخير فالآية فيها:

فاصلة + تقديم وتأخير + قلقة

¹ (سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 04 ، ص 1917 .

الفصل الرابع

الدراسة الإفرادية

تمهيد:

ينتقل هذا الفصل إلى دراسة عنصر أكبر من الصوت، ألا وهو الكلمة المفردة من جوانب معيّنة محددة لأن دراستها في القرآن الكريم أمرٌ واسع المشارب متعدد المداخل، إذ تحمل الكلمة في النص القرآني شحنات معنوية لا تحملها في غيرها من النصوص. وقد لاحظنا كيف أن بعضها يحمل معنى في صيغة المفرد مغايرا لمعناه في صيغة الجمع ، و في التعريف دلالة غيرها في التثنية إضافة إلى صيغها الصرفية المتعددة، وقد برع العلماء والدارسون في استقراء هذه المعاني التي ما تدل في حقيقتها إلا على إعجاز في النص القرآني صرف، بُعد أن يكون له مثل في غيره من النصوص البشرية. وها هو ذا ابن سنان الخفاجي يضع شروطا لفصاحة اللفظ من منظور الاختيار اللفظي فيجب أن تكون الكلمة عنده⁽¹⁾

- من حروف متباعدة المخارج.
- حسنة السمع وإن تباعدت حروفها.
- غير متوعدة أو وحشية.
- غير ساقطة أو عامية.
- أن تجري على العرف العربي.
- معتدلة غير كثيرة الحروف.
- مصغرة في موضع عُبر بها عن شيء لطيف أو خفي أو قليل.

⁽¹⁾ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت 1982، من ص 64 إلى 89.

وقد كان فريق من علمائنا (الجرجاني-الرازي) يرى أن إعجاز القرآن الكريم وفصاحته لا تكمن في اللفظ في ذاته، كما صنفه أصحاب الاختيار اللفظي (الجاحظ- الخفاجي) بل إن تلك الفصاحة تكمن في مدى دلالته على المعنى.

"والمفردات هي دلالة اللفظ على المعنى سواء كانت دلالة عقلية أو دلالة وصفية"⁽¹⁾

وعن علاقة اللفظ بالمعنى وحسن إختياره يقول الجرجاني "وهل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية أو أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن ومما يكد اللسان أبعد وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها وهل قالوا لفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه قلقلة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما"²

ويضيف كلاما آخر عن روعة اللفظ في إعجازه داخل السياق القرآني وعن سبب حصول الاتساق " أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب فقد اتضح إذا اتضحاً لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"³

كما أن الجرجاني يؤكد على أن اللفظة الواحدة قد تحسن في مكان وتستثقل في آخر، لأنها لا تعط

⁽¹⁾ جمال حضري، المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت 2010، ص 80.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص43.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص44.

نفس الدلالة في هذا السياق وذاك "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر" ¹

وبعيدا عن قضية اللفظ والمعنى وأيهما أنسب للفصاحة والإعجاز نورد كلاما مجملا للرافعي إذ يقول "هناك أصوات ثلاثة لا بد منها في ترتيب النسق البليغ، صوت النفس وهو الناتج عن تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها وصوت العقل وهو المعنى الذي يكون من لطائف التركيب، وصوت الحس ويكون من دقة التصور المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب وعلى مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة" ⁽²⁾.

وبعد كلام له في شرح هذه الأصوات يفرد القرآن الكريم بدلالة خاصة إذا كانت المعاني متداولة لا إعجاز فيها ويمكن للبلغاء أن يسردوا أفكارهم "أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه وانفرد به القرآن وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتتوا في اللغة وأساليبيها ولكنهم لا يجدون البيان به في ألسنتهم لأنه من الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم يعطوه.." ⁽³⁾

ودونما الخوض في قضايا وتعليقات شائكة في هذا الموضوع.

قضية هامة لا بد من التصريح بها هي كون النص القرآني معجز في جميع أجزائه ولا شك أن ألفاظه منتقاة بروعة خالقها وقدرة صانعها - كلامه جلّ وعلا.

"لقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها، ووجه تركيبها، كأنها فوق اللغة ولا تقع لأحد من البلغاء أو الفصحاء مثل ألفاظ القرآن في كلامه وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لأنها في القرآن تتميز وتظهر في تركيب ممتنع فتعرف به، وبهذا نرتفع إلى نوع أسمى من الدلالة اللغوية والبيانية وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة، وأننا لو تدبرنا ألفاظ

(1) نفس المرجع السابق، ص46.

(2) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 221.

(3) نفس المرجع السابق ص222.

القرآن في نظمها لرأينا حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة ولن تجد هذه الحركات إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف. مساوقة لها في النظم الموسيقي⁽¹⁾

1. اختيار الألفاظ:

نود في هذا المبحث التركيز على اللفظة في حد ذاتها، كيف أنها مختارة وبدقة لأداء المعنى المقصود في هذه الآية بالذات دون غيرها، فقد وجدنا أسلوب القرآن الكريم بالغ التألق في انتقاء الألفاظ بحيث تكون مستقرة في مكانها مطمئنة في قرارها. حتى أنه هناك فروقات دقيقة بين اللفظ والآخر لا يكاد يتبين للجميع إلا بطول تمعن ودقة نظر، بل لمن أوتي آيات العلم الدقيقة في تتبع خصائص اللفظ العربي وطبيعة النظام اللغوي (النحوي والبلاغي). فمثلا يشير القرآن الكريم في بعض آياته إلى الدقة اللفظية فيقول تعالى: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا"² "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا، وللكافرين عذاب أليم"³

ومن ذلك جاء قول الكثيرين باستحالة وقوع الترادف في آياته المحكمات فهو نص أحكمت ألفاظه وفصلت عباراته ووضع كل حرف فيه بإتقان بديع، وهي خاصية تعرفها اللغة العربية إذ تميل إلى الإقتصاد في الوقت والجهد "خاصية الدقة في اللسان العربي التي تمقت التضخم اللغوي

(1) محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ط1، مؤسسة شباب الجامعة،
الأسكندرية 1981

ص 80.

(2) الحجرات، الآية 14.

(3) البقرة، الآية 104.

، وتراه أمانة مرض لا علامة صحة ،كما ترى أن قوة اللغة وعظمتها في دقة وصفها للمعنى وأن
للفظ الواحد معنى واحد " ¹

لذلك فإننا نحاول في دراستنا هذه - وبعون الله تعالى- تتبع ما تيسر من ألفاظ القصص في النص
الحكيم باستخدام المعاجم اللغوية والكتب التفسيرية ذات المنهج الدقيق ،لنبرز ما ورد فيها من
خصائص متشابهة أو مختلفة- وفق عناصر اختيرت كما يلي:

- اختيار صيغة صرفية عوض أخرى .

- اختيار لفظة عوض أخرى.

- اختيار صيغة الجمع أو الأفراد.

1.1.1. اختيار صيغة صرفية عوض أخرى:

ينبغي أن نشير هنا إلى تشعب هذا العنصر مما يجعل آلية العمل فيه غير واضحة في بعض
الأحيان ، فالصيغ الصرفية العربية كثيرة ودرجات التفاوت بين ألفاظها دقيقة وتتبع كل تلك
العناصر الدقيقة سيفضي بنا إلى عدة عناصر أخرى لذلك سنحاول تحديدها قدر المستطاع حسب
ما ظهر لنا من التحليل.

فمثلا حاولنا في البداية أن نجعل الفعل والاسم في الاستخدام عنصرا مستقلا لكن خلال عملية
التحليل ولما تبين لنا شح هذه العناصر في المدونة أدرجنا العنصر تحت عنصر إختيار الصيغة
مع توضيح صيغة الفعل أو الاسم أثناء الدراسة.

2.1.1- يفعل عوض يتفعل:

يضرعون، وقد وردت هذه الصيغة في سورة الأعراف قال تعالى :

(1) عمار الساسي ،منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب(دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر)

" وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ " ¹. وكما

وجدنا نفس اللفظة في سورة الأنعام تستخدم بصيغة أخرى ألا وهي (يتضرعون) بدون إبدال وبفك الإدغام. وتعليل ذلك أن في آية الأنعام قال تعالى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ" ² لم نجد لهذه الصيغة والمفردة ما يناسبهما في السورة المقابلة (سورة هود) وإنما المعنى العام للفكرة كان يتردد في مقدمتها ونهايتها إذ الدعوة هي لأناس إما أن يكونوا قد آمنوا أو كفروا وقد دللت على المعنى الآيات التالية: "وَلَئِن أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كَفُورٌ (9) وَلَئِن أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَّاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" ³

"فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين" ⁴ في آية الأعراف "وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ والأُمَم أكثر من القرية، وهذا يعني تناول الإرسال على مدار التاريخ. فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال "يتضرعون، ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية (يتضرعون) فجاء بما هو أقصر بناء ⁽⁵⁾

ف : يتفعل لما هو أطول زمناً وتفصيلاً (عدة أحداث)

و: يَقَعُّ للمبالغة في الحدث والإكثار منه. (في نفس الحدث الواحد كما لاحظنا، أن في آية الأعراف

¹ الأعراف، الآية 94.

² الأنعام، الآية 42.

³ هود، الآيات 11، 10، 09.

⁴ هود، الآية 116.

⁵ فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ط1، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2000 ص

"أرسلنا في " أما في آية الأنعام "أرسلنا إلى" والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث، فإنك قد ترسل إلى شخص رسالة فيبلغها ويعود، وأما الإرسال في القرية أو في المدينة فإنه يقتضي التبليغ والمكث فإن "في" تفيد الظرفية. وهذا يعني بقاء النبي بينهم يبلغهم ويذكرهم بالله ويريهم آياته المؤيدة ولا شك أن هذا يدعوهم إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه ، فجاء بالصيغة الدالة على المبالغ في الحدث والإكثار منه⁽¹⁾.

3.1.1. - فَعَلَ = أَفْعَلَ(نَزَلَ - أَنْزَلَ)

قال تعالى في سورة الأعراف"ما نَزَّلَ اللهُ بها من سلطان"².

. في سورة هود"لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك"³.

"فاعلموا أنما أنزل بعلم الله"⁴.

في سورة الأنعام" وقالوا لولا نَزَّلَ عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزِّلَ آية

ولكن أكثرهم لا يعلمون"⁵. وفي سورة يوسف" ما أنزل الله بها من سلطان"⁶

" النزول في الأصل هو انحطاط من علو. يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط

رحله فيه وأنزله غيره. قال تعالى: {أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين} [المؤمنون/29]

ونزل بكذا، وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق، وإعطاؤهم إياها، وذلك إما

بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، إما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس"⁷

⁽¹⁾ فاضل صالح السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص 36.

(2) الأعراف، الآية 71.

(3) هود الآية 12.

(4) هود، الآية 14.

(5) الأنعام، الآية 37.

(6) يوسف، الآية 04/النجم، الآية 43.

(7) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم . دمشق ج 02 ص 183.

وهكذا يتبين لنا أن القرآن الكريم ينوع في استخدام هذه اللفظة على الصيغتين إما "نَزَّلَ" أو "أَنزَلَ" وفي ذلك حكمة ربانية ومقاصد إلهية طبعاً، تتعلّق بالمعنى العام للسورة والقصة خاصة، فما ورد في سورة الأعراف من المجادلة والمحاورة والتحديّ أشد من المواطن الأخرى حيث استخدم صيغة "أَنزَلَ" وكذلك وجدناه شديداً في سورة الأنعام - على سبيل المقارنة والتحقق من اللفظ والدلالة.

ففي سورة الأعراف جاء. قوله تعالى "

"قالو أَجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إنني معكم من المنتظرين، فأنجيناها والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا وكانوا مؤمنين" ¹.

وفي سورة هود يقول تعالى:

" فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل" ².

ثم يضيف قوله تعالى في الآيات الموالية :

" فالّم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون، من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون" ³

(1) الأعراف، الآية 70، 71.

(2) هود، الآية 12.

(3) هود، الآيات 14، 15، 16.

فالصورة هنا صورة مجادلة ونقاش لكنّا لا نحسّ فيها تلك الشدة والقوة الموجودتان في سورة الأعراف إذ ورد القول والمشهد في صيغة الحكاية وليس بالمشهد الحاضر مثل السورة الأولى «قال... وقالوا» على أساس التحوّل العنيف والتجادل الشديد. ثم إن القوم في سورة الأعراف استكبروا ولم يتقبلوا ترك عبادة ما كان يعبد آبائهم وهو أمر يتعلق بالذات الإلهية مباشرة " أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم".

أما في سورة هود فقد طلبوا معجزة من النبي لكي يؤمنوا به على سبيل التهكم لا غير والمعجزة التي طلبوها كانت إما كنز وإما ملك يساند النبي في الدعوة . وهو موقف أقل شدة من الكافرين الذين كانوا في سورة الأعراف أعنت، و التمهيد للعقاب في سورة هود قد سبق بذكر الحياة الدنيا وزينتها أن تمتعوا فيها وفي الآخرة العذاب المبين. أي أعطى لهم فرصة وأمهلهم إلى يوم معلوم.

وأما في سورة الأعراف فإن العذاب كان شديدا وسريعا في الحياة الدنيا والذي لا نقاش بعده فهو القطع "وقطعنا دابر الذين كذبوا". ولم ينتظر اليوم الآخر.

و لصيغة "نزل" في هذا المقام تفسير بليغ وتصوير موحٍ للسياق"هو تعبير موحٍ عن حقيقة أصلية... إن كل كلمة أو شرع أو عرف أو تصور" لم ينزله الله ، خفيف الوزن قليل الأثر، سريع الزوال، إن الفطرة تتلقى هذا كله في استخفاف فإذا جاءت الكلمة من الله ثقلت واستقرت ونفذت إلى الأعماق. بما فيها من سلطان الله الذي يودعها إياه"⁽¹⁾. وقد ورد في معجم مفردات اللغة أن" الإنزال أعم من التنزيل"⁽²⁾ والعموم أشد لأنه يحدث دفعة واحدة والأخص يحصل تدريجا أي مرة فآخرى، والتدريج يحمل التيسير والخفة في الحدث .

⁽¹⁾ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 84.

⁽²⁾ الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم . دمشق(د ت) ، ج 02 ص 183

ويمكن أن نقيس هذا المفهوم على باقي الآيات الأخرى التي ذكرت فيها صيغة "نَزَلَ" أو "أَنْزَلَ" ليتأكد هذا المعنى.

4.1.1. نجى - أنجى.

- + "فأنجيناه والذين معه برحمة منا" ¹
- "ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين معه برحمة منا" ²
- "ونجيناهم من عذاب غليظ" ³
- "فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا" ⁴
- "ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا" ⁵
- "فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية . ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم" ⁶
- "فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين" ⁷
- "فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين" ⁸
- "وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب" ⁹

¹ الأعراف، الآية 72.

² هود، الآية 58

³ هود، الآية 58.

⁴ هود، الآية 66.

⁵ هود، الآية 94.

⁶ هود، الآية 116.

⁷ الأعراف، الآية 64.

⁸ الأعراف، الآية 83.

⁹ الأعراف، الآية 141.

- "فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم من الهلاك وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون" ¹.

التحليل: "أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه: نجا فلان من فلان وأنجيتَه ونجيتَه" ² إذن يبدو من خلال المدونة أن التعبير القرآني يتراوح في استخداماته اللفظية ما بين نَجَّى وأنجى للأنبياء والصالحين ثم هلاك المكذابين الكافرين من بعد ذلك، وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الفروق المعاني الدقيقة لكل لفظة إذ تكون التنجية (نَجَّى قبل وقوع البلاء وهذا للأنبياء والصالحين، أما الإنجاء (أنجى) فيكون بعد وقوعه" كلاهما بمعنى التخليص من المهلكة. وفرق بعضهم بينهما فقال:

الانجاء في الخلاص قبل الوقوع في المهلكة، والتنجية يستعمل في الخلاص بعد الوقوع في المهلكة قلت " ³ ومع ذلك فهو يشير أن المعنى قد يتغير في بعض المواضع للدلالة على بعض المعاني المجازية والبلاغية أو يخرج إلى بعض التنوعات اللغوية "هذا وقد يستعمل كل منهما في موضع الآخر إما مجازاً أو بحسب اللغة. (اللغات) ⁴. ونضيف هذا المعنى إحياءات أخرى إذ تدل أيضاً على معنى السرعة في الانجاء و التلبث في التنجية "فإن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نَجَّى) للتلبث والتمهل في التنجية ويستعمل أنجى للإسراع فيها فإن "أنجى" أسرع من (نَجَّى) في التخلص من شدة الكرب هذا وإن البناء اللغوي لكل منهما يدل على ذلك" ⁽⁵⁾

(1) الأعراف، الآية 165.

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم. دمشق، ج 02 ص 177.

(3) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط 1، 1412 هـ، ص 309.

(4) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

(5) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي ص 57.

ويمكن لنا أن نتتبع هذه المعاني في كل آية على حدى مع التمعن الشديد في حالة كل نبي مع قومه فمثلاً:

في قصة نوح عليه السلام من سورة هود حدثت النجاة للأنبياء قبل وقوع الهلاك وبصورة سريعة بعد أن فار التتور وهو نفس المعنى الذي دلّت عليه آية الأعراف (الرابعة والستون) .

وفي قصة لوط عليه السلام - نزل العذاب على الكافرين بمجرد طلوع الصبح بعد أن سار عليه السلام بأهله بقطع من الليل (أي نجاة النبي وأهله كانت قبلاً) وتدلّ على ذلك الآية "فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" ¹.

وفي الآية (الثانية والسبعين) من سورة الأعراف من قصة هود - عليه السلام - وردت الصيغة أنجيناً وبعدها يعبر السياق عن الانتظار الذي يعقبه العذاب سريعاً للمشرّكين والنجاة للمصدقين. جاء في تفسير الضلال " إن هذه الثقة هي مناط القوة التي يستشعرها صاحب الدعوة إلى الله... إنه على يقين من هزال الباطل وضعفه وخفة وزنه مهما انتفش ومهما استطال كما أنه على يقين من سلطان الحق الذي معه وقوته بما فيه من سلطان الله. ولا يطول الانتظار في السياق «فأنجيناه والذين معه برحمة منّا» ⁽²⁾

أما (نجينا) في قصة صالح وهود وشعيب -عليهم السلام-، فإنها صيغة دلت على معنى التلبّث والتريث في الحدث بما وافق السياق والمقام المذكور في القصة.

أما في هود فقد دلّ الحرف "لماً" على التلبّث والتريث وكرر "نجى" مرتين الأولى دنيوية والثانية أخروية "فإن قلت ما معنى تكرير التنجية؟ قلت، ذكر أولاً أنه حين أهلك عدوهم نجّاهم ثم قال، ونجّيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عو وجل

¹ هود، الآية 81.

² (سيد قطب، في ظلال القرآن مج 03، ج 08، ص 1312).

بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أديبارهم. فتقطعهم عضوا عضوا، وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد⁽¹⁾

وقد ورد في تفسير الظلال معنى التنجية من العذاب الغليظ المقرون برحمة الله عز وجل.
 " لما جاء أمرنا بتحقيق الوعيد وإهلاك القوم نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة مباشرة منّا، خلصتم من العذاب العام النازل بالقوم، واستثنتهم من أن يصيبهم بسوء وكانت نجاتهم من عذاب غليظ حل بالمكذابين ، ووصف العذاب بأنه غليظ بهذا التصوير المجسم يتناسق مع الجو العام، ومع القوم الغلاظ العتاه⁽²⁾

وعن قصة صالح عليه السلام وقع العذاب عليهم بعد مدة تبدو قريبة ولكنها في الأصل تحمل معنى التلبث.

فقد آمنهم لثلاثة أيام يتمتعوا فيها وفي المتاع لهو وتريث ينغمس المرء معه في ملذات الدنيا.
 قال تعالى: "فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ " ³.

وما زاد في تأكيد معنى التلبث والتريث الحرف لما.

5.1.1. /فُعِلَ- (عجيب - عجاب)

قال تعالى "قالت يا ويلتي "أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب"⁴.

وقد وردت الصيغة بتعبير آخر في القرآن الكريم على وزن فعال "عجاب".

قال تعالى "أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجيب"⁵

¹ الكشف، الزمخشري ج 2 ص 383.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 04، ج 12، ص 1900.

³ هود ، الآية 65.

⁴ هود ، الآية 72.

⁵ ص ، الآية 05.

والحقيقة أن قصة إبراهيم -عليه السلام- لم يرد ذكرها في سورة الأعراف، لكن العجب ذكر بصيغة أخرى في قصص أخرى " أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"¹ " وبهذا يكون العجب قد ورد في القرآن الكريم بعدة صيغ للدلالة على صور ومعان مختلفة .

ففي سورة هود كان العجب أكبر لأن من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم(أنظر سورة الذاريات آ 29) وبعلمها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب فالعجوز لا تلد فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد إذ يستحيل على العقيم أن تلد فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلمها شيخ كان أبعد وأبعد ولذا أكد العجب بأن واللام⁽²⁾ بخلاف سورة (ق) التي قال تعالى فيها "بل عجبوا أن جاءكم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب"³

والعجب هنا من أن يجيء منذر منهم بدون أن واللام لم يؤكد العجب ويزداد العجب تدرجاً في سورة"ص" فقد كان العجب عند المشركين أكبر وأكبر، إذ كيف يمكن أن يؤمنوا بوحداية الإله ونفي الشرك وهم قوم عريقون فيه؟ بل إن الإسلام جاء أول ما جاء ليردعهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد وحسبك أن كلمة الإسلام الأولى هي لا إله إلا الله وقد استسهلوا أن يحملوا السيف ويعلنوا الحرب الطويلة على أن يقرأوا بهذه الكلمة، فالقتل أيسر عندهم من النطق بكلمة التوحيد ولذا كان العجب عندهم أكبر وأكبر فجاء بأن واللام. وعدل من عجيب إلى عجاب وذلك أن (فعال) أبلغ من (فعيل) عند العرب"⁽⁴⁾

¹ الأعراف، الآية 63.

² فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ط3، دار عمار الأردن 204، ص 37.

³ ق، الآية 02.

⁴ فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، ط3، دار عمار الأردن 204، ص 37.

"فانظر كيف عدل من صيغة إلى صيغة بحسب ما يقتضيه المقام. وانظر كيف يراعي دقة التعبير في كل موضع وكيف يلحظ كل كلمة ويضعها في المكان المناسب على تباعد الأمكنة"⁽¹⁾

أما التعبير عن التعجب في سورة الأعراف فقد جاء بصيغة الاستفهام (سنعود إليها في الفصل التركيبي)

6.1.1. / إفعّل - افعل.

إِبلعي-إِبتلعي) قال تعالى "وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر"²

وقد إختار -عز وجل- في هذا المقام استخدام الفعل المجرد "بلع" عوض المزيد "ابتلع" للدلالة على السرعة. في الحدث والإذعان لأمر الله فالزيادة في الفعل من شأنها أن تحدث إطالة في الكلمة والنطق ثم الفعل وموضع الأمر يناسبه الاختزال والاختصار ليشرع في التنفيذ، وفي عقولنا "سر" "قف" عوض "اسر" أو "توقف" فما بالك إذا كان الأمر من طرف العلي القدير الذي يقول للشيء كن فيكون.

7.1.1. / أليم - مؤلم (اسم فاعل - اسم مفعول).

قال تعالى: "قد جاءكم بيّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"³

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾⁴

⁽¹⁾ المرجع السابق، الصفحة نفسها .

⁽²⁾ هود ، الآية 44.

⁽³⁾ الأعراف ، الآية 73

⁽⁴⁾ هود ، الآية 26

إن من التعبير المألوف والمعلوم أن يقال عن اليوم وهو غير العاقل أنه مؤلم لشدة ما فيه من الألم لكن التعبير القرآني عدل إلى صيغة أليم وكأنه يتألم بما يحصل فيه.

" اليوم ليس أليماً، إنما هو مؤلم والأليم اسم مفعول أصله مألوم... إنما هم المألومون في ذلك اليوم، لكن التعبير يختار هذه الصيغة هنا. لتصوير اليوم ذاته بأنه محمل بالألم، شاعر به فما بال من فيه"⁽¹⁾.

8.1.1. (فعل-فاعل)/الصفة المشبهة.(عمين-عامي)

قال تعالى:

"فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم قوما عمين"². حيث آثرت الآية التعبير عن وصف هؤلاء المكذبين. بالصفة المشبهة على غيرها من الصيغ كاسم الفاعل مثلاً.(عامين).

ويتبين لنا سر اختيار هذه الصيغة إذا ما راجعنا سياق الآية من أوله قال تعالى: "لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، قال المأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين"³

حيث نجد أن المأ من قوم نوح قد برروا تكذيبهم لنبيهم بادعائهم ضلاله. وكان طريق إثبات هذه الدعوى الكاذبة هو افتراءهم عليه بإثبات رؤيتهم له في ضلال مبين ولما كان أساس تلك الدعوى الكاذبة هو ادعاء الرؤية المبالغ في إثباتها بإن واللام/ واستخدام حرف الجر "في" الدال على انغماسه في الضلال وإحاطته به، فضلاً عن ادعاء ذلك الضلال بيّناً واضحاً. " أقول لما كان أساس تلك الدعوى هو تلك الرؤية الكاذبة المبالغ فيها على هذا النحو، ناسب هذا السياق أن

⁽¹⁾ سيد قطب في ضلال القرآن ، ج4 ص 38..

⁽²⁾ الأعراف، الآية 64.

⁽³⁾ الأعراف، الآيتين 59،60.

يبالغ في وصف هؤلاء المكذبين بوصف مقابل لذلك، بطريقة أبلغ مما يقتضي إثبات العمى لهم بصيغة دالة على الثبات واللزوم تناسب ما هم عليه من انطماس بصائرهم⁽¹⁾

وقد جاء في الكشف قوله "عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ (عامين) والفرق بين العمى والعامي، أن العمى يدل على عمى ثابت، والعامي على حادث"⁽²⁾.

أما ابن عاشور فيزيد المعنى تفسيراً بقوله "وهو (عمين) صفة على وزن فعل مثل أشر، مشتق من العمى، وأصله فقدان البصر ويطلق مجازاً على فقدان الرأي النافع، ويقال عمى القلب. وقد غلب على الكلام تخصص الموصوف بالمعنى المجازي بالصفة المشبهة لدالتها على ثبوت الصفة وتمكنها بأن تكون سجية وإنما يصدق ذلك في فقد الرأي، لأن المرء يخلق عليه غالباً. بخلاف فقد البصر ولذلك قال تعالى هنا "عمين" ولم يقل عمياً كما قال في آية أخرى "عمياً وبكماً وصماً"⁽³⁾

2.1. / اختيار الجمع أو الأفراد:

1.2.1. / ضلال - ضلالة:

قال تعالى: "قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة

ولكن رسول من رب العالمين"⁴

اتهم القوم المشركون نوح - عليه السلام - بالفساد وذهاب الرأي فقالوا له "أنك في ضلال

مبين" بصيغة اسم الجمع، لكن نبي الله - عليه السلام - واصل في حوارهِ لهم رغم ذلك بكل هدوء

وبرودة أعصاب فنفي تلك التهمة عن نفسه بصيغة أخرى (ضلالة) أفراد المؤنث. فما سر ذلك؟

⁽¹⁾ عبد الحميد أحمد يوسف هندواي الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم. دراسة نظرية تطبيقية . التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط 01. المكتبة العصرية، بيروت 2001، ص 105.

⁽²⁾ الزمخشري، الكشف ج 2 ص 110.

⁽³⁾ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج 4 ص 8 ج 19-199.

⁽⁴⁾ الأعراف، الآيتين 60، 61.

يرى ابن عاشور أن "ضلال اسم مصدر -ضلّ- إذا أخطأ الطريق الموصل... والضلالة مصدر مثل الضلال . فتأنيثه لفظي محض والعرب يستشعرون التأنيث غالباً في أسماء أجناس المعاني، مثل الغواية والسفاهة فتاء لمجرد تأنيث اللفظ وليس في هذه التاء معنى الوحدة لأن أسماء أجناس المعاني لا تراعى فيها الشخصيات فليس الضلال. بمنزلة اسم الجمع للضلالة. خلافاً . لما في الكشف وكأنه حاول إثبات الفرق بين قول قومه وقوله هو . وتبعه فيه الفخر وابن الأثير في المثل السائر "ولا حاجة إلى ذلك أن التخالف بين كلمتي ضلال وضلالة اقتضاه التفنن... ودفعاً لنقل إعادة نفس اللفظ"⁽¹⁾ هذا عن حوار سيدنا نوح - عليه السلام - كما ورد في سورة الأعراف. أما في سورة هود فقد اتخذ الاتهام شكلاً آخر إذ استبعدوا عنه أن يكون نبياً مرسلًا فهو بشر مثلهم. والذين اتبعوه هم الأراذل، وزادوه تهمة أخرى وهي الكذب وهو ما يقابل الضلال في سورة الأعراف. قال تعالى 'فقال المأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين'⁽²⁾

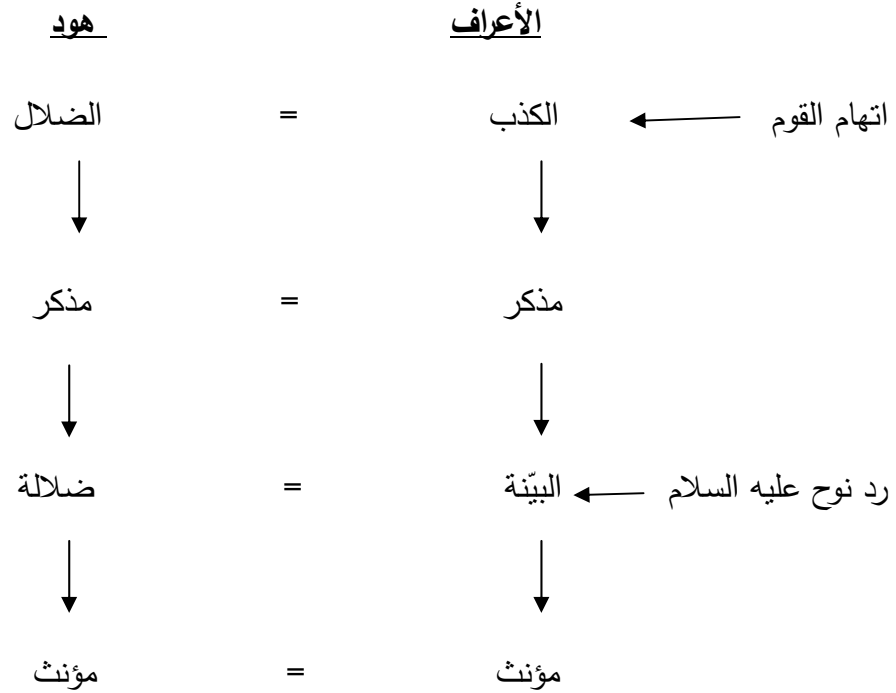
أما رد نوح عليه السلام فقد جاء بما يلاءم السياق فالكذب تقابله البينة وهو الأمر الظاهر الذي لم يروه أو تجاهلوه عمداً وليس بعد ذلك إكراه لهم فيه قال تعالى "قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم كارهون".⁽³⁾

ويمكن المقابلة بين التعبير في السورتين كمايلي:

⁽¹⁾ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج8 ص 191-192.

⁽²⁾ هود، الآية 27.

⁽³⁾ هود، الآية 28.



2.2.1. دارهم - ديارهم.

لقد وردت هذه اللفظة في قصص السورتين بصيغتي الجمع والإفراد حيث نجدهما كمايلي :

قال تعالى: "فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين"¹

وقوله: "وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين"²

وقوله: "وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين"³

وقوله: "فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ"⁴

وقد ربط المفسرون جمع أو إفراد لفظة الدار بنوعية العذاب الحاصل وما دل عليه التعبير

القرآني إما رجفة أو صيحة؛ جاء في ملك التأويل أنه لما تذكر الصيحة تجمع لفظة الدار ولما

تذكر الرجفة تفرد الدار وتفسيره لذلك أن "وجه اختصاص كل سورة بما خصت به أن اسم الدار يقع

¹ (الأعراف، الآية 78).

² (هود، الآية 67).

³ (هود، 94).

⁴ (هود، الآية 65).

على المنزل الواحد والمسكن المفرد ويقع على مساكن القبيلة والطائفة الكبيرة وإن اتسعت وافترقت وتعددت مساكنها وديارها. إذا ضمها إقليم واحد واجتمعت في حكم أو مذهب وإذا تقرر هذا فوجه اختيار لفظ الجمع في الآية من سورة هود مناسبة ما اقترن به من لفظ الصيحة وهي عبارة هنا عن العذاب مطلقا دون تقييد بصفة وهو من الألفاظ الكلية، فإن لم يكن عاما فانتشار موقعه من حيث الكلية حاصلة.

وأما الرجفة الزلزلة. فهذا اللفظ خصوص وهو جزئي وهي المعلوم بالضرورة انحصار الألفاظ في الضربين فإن اللغة لا تختلف في ذلك، فالصيحة من حيث الكلية تطلق على ما كان من العذاب بالرجفة وغيرها، وإذا عبرنا بالرجفة لم يتناول لفظها إلا ما كان عذابا بها، فناسب عموم الصيحة جمع الديار في مناسبة تركيب النظم وناسب خصوص الرجفة أفراد الدار⁽¹⁾.

إذن كما كان العذاب يدلّ على أمر عام وشامل ناسبته الديار للكثرة والعموم أما لما تعلق العذاب بالأمر الخاص والجزئي ناسبه لفظ الدار للتخصيص.

وفي هذا المعنى صبّ المفهوم والشرح الذي أورده السامرائي نقلا عن الكرمانى إذ يقول "قأنت ترى حيث ذكر الصيحة جمع الدار وحيث ذكر الرجفة وهي الزلزلة الشديدة وحّد الدار. وذلك لأن الصيحة تبلغ أكثر مما تبلغ الرجفة، فالرجفة تختص بجزء من الأرض، أما الصيحة فإنما يبلغ صوتها مساحة أكبر من مساحة الرجفة فلذلك وحّد مع الرجفة وجمع مع الصيحة⁽²⁾."

ثم هناك تساؤل آخر مهم يتعلق بالمقارنة- بين السورتين فلماذا ذكر الديار في سورة هود والدار في سورة الأعراف. في القصص المعلومة بالذات "شعيب ، صالح- عليهما السلام-"

فيجينا صاحب ملاك التأويل بما يلي:

⁽¹⁾ ابن الزبير الغزنائي ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه اللفظ من أي التنزيل- تح سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ط1 بيروت 1983م ص 533-534.

⁽²⁾ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني ص 47.

"ثم أن وجه تخصيص سورة هود بما وقع فيها أنه ذكر قبلها من مرتكبات قوم شعيب وسوء ردهم على نيتهم عليه السلام. ما لم يرد في آية سورة الأعراف وتأمل قولهم له "ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز"¹

فتأمل ما في ردهم هذا من الاستهزاء والإساءة وشنيع المقابلة لجليل وعظه عليه السلام بهم ورأفته في دعائه إياهم بقوله "إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط"²

"فلهذا ما عبّر عن عذابهم وأخذهم هنا بأعم مما ورد في غير هذه الآية، ولما لم يرد في غيرها مثل هذا الدعاء والجواب ناسبه اللفظ الأخص رعيًا لإحراز النظم الجليل وعليّ تناسبه مع أن لا كبير اختلاف في المعنى الحاصل عن العبارتين والله أعلم"⁽³⁾

3.2.1. رسالة /رسالات:

قال تعالى في قصة نوح: "أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم"⁴

قال تعالى في قصة شعيب "لقد أبلغتكم رسالات ربي"⁵

وفي قصة صالح قال تعالى "أبلغتكم رسالة ربي"⁶

فقد تنوع ما أبلغه كل نبي ما بين رسالة مفردة أو رسالات مجموعة. وعلى سبيل الكثرة فما وجه الاختلاف في ذلك؟

لقد اتفق العلماء في هذه النقطة على جلالة اللفظ والتعبير في مكانه المناسب ووجدوا لذلك دلالة.

⁽¹⁾ هود، الآية 91.

⁽²⁾ هود، الآية 84.

⁽³⁾ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل ص 535.

⁽⁴⁾ الأعراف، الآية 62.

⁽⁵⁾ الأعراف، الآية 93.

⁽⁶⁾ الأعراف، الآية 79.

ففي قصة نوح عليه السلام (الأعراف آ 62) يرى صاحب الكشف أن دلالة الجمع تعود إلى ما أوحى في الأوقات البعيدة قبله إلى أنبياء سبقوه.

" ما أوحى إليه في الأوقات المتطاولة المختلة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والندائر ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة، ومن صحف شيث هي خمسون صحيفة"⁽¹⁾ ويمكن مقابلة لفظ الرسالة بين السورتين كما وردت إما مفردا أو جمعا أو إشارة وتلميحا كما يلي:

الأعراف	هود.
نوح . ع س .	رسالات تلك من أبناء الغيب نوحيا إليك
هود . ع س .	رسالات ما أرسلت به.
صالح . ع س .	رسالة أتاني منه رحمة
لوط . ع س .	نهي عن الفاحشة - "بناتي هن أظهر لكم"
شعيب . ع س .	رسالات تفصيل ثم - "ما أريد إلا الإصلاح"
موسى . ع س .	رسالات أرسلنا موسى <u>بآياتنا وسلطان مبين</u>

إن يبدو من خلال الجدول أن التصريح بلفظ الرسالة جمعا أو إفرادا ورد في سورة الأعراف فقط أما سورة هود فكان الأمر تلميحا وتفصيلا مكتملا لمعنى لم يرد في السورة الأولى فمثلا الرسالات

⁽¹⁾ الكشف ج 2 ص 109.

في قصة نوح وضّحت في سورة هود أنها من أنباء الغيب يوحيها الله إلى نبي مختار مرسل وليست من صنع البشر ثم الذي أرسلت به الأنبياء في قصة صالح -ع س . هو رحمة من الله لعباده. وبعد ذلك تستوقفنا قصة لوط -ع س . في كلتا السورتين أنه أرسل لأمر واحد عظم شأنه فسادا فصرح به مباشرة في سورة الأعراف أنه "لتأتون الرجال شهوة من دون النساء" ونهاهم عن الأمر المهلك بالنفس والخلق والمجتمع ثم يصرح بالبديل عن ذلك في سورة هود "هؤلاء بناتي هن أظهر لكم" وأما في قصتي شعيب وموسى عليهما السلام اللذين بعثا برسالات فصلهما -عز وجل - ذكرنا في سورة هود.

وبعد هذا نعود إلى توضيح الفرق الدلالي بين لفظ رسالة كما وردت عند صالح -ع س- ورسالات عند غيره ومن ذلك قول السامرائي: "شعيب أرسل إلى أمتين ولذلك جمع الرسالة"⁽¹⁾

"ثم لو نظرت إلى ما ذكره كل من صالح وشعيب عليهما السلام وبلغ به قومه لوجدت أن ما ذكره شعيب من الأوامر والنواهي أكثر مما ذكره صالح"⁽²⁾

وأما صاحب ملاك التأويل فردّ ذلك إلى غرض أسلوبه معروف في اللغة العربية وهو تناسق الكلام أفرادا إن كان مفردا مختصرا وجمعا إن كان على الجمع والإطناب.

"إن العرب تراعي في أجوبتها ما نيتها عليه من سؤال أو غيره إن إطالة فإطالة و إن إيجاز فإيجاز وربما أتت باللفظ موجزا وتحتته معان كثيرة وبالجمله. فأجوبتهم مراعى فيها المعنى، ملحوظ فيما وردت جوابا له، ولما ورد في دعاء شعيب -ع س- تفصل في الأمر والنهي والتحذير"⁽³⁾.

⁽¹⁾ فاضل صالح السامرائي ، التعبير القرآني ، ص 46.

⁽²⁾ المرجع نفسه ص 46.

⁽³⁾ ملاك التأويل ص 537.

قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"¹ أما قصة صالح -ع س - فلم يقع فيها بعد أمرهم بالعبادة غير تعريفهم بأمر الناقة وأمرهم برعيها وتذكيرهم بقوم هود في قوله "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد"² ولم تنفصل مكالمته إياهم كتفصيل ما تقدم"⁽³⁾*

خلاصة: إنَّ هذه الدراسة في صيغ القرآن الكريم ليست إلا نقطة من بحر وإنَّ كان هذا ما وفقنا إليه فما بقي كان أكثر وأوفر " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " ⁴

وقد أشار العلماء بصفة عامة إلى الدور الذي تلعبه الصيغة الصرفية في التنويع الدلالي فهي منتقاة بدقة بالغة " سلامة اللفظ القرآني من العيوب نعني بها أن الألفاظ في القرآن مختارة منتقاة لم يأت لفظ فيه حيثما اتفق بل تدبير حكيم عليم ، وإلى جانب انتقاء اللفظ القرآني من حيث صورة اللفظ نفسه - حروفه وسكناته - فإن القرآن يؤثر استخدام الألفاظ القصار الثلاثية الأصول أو الرباعية الأصول والثلاثية الأصول فيه أوفر عدداً من الرباعيةأما أنَّ اللفظة خماسية الأصول فهذا لم يرد منه في القرآن شيء لأنه مما لاوجه للعبودية فيه إلا ماكان من إسم عرَّب ولم يكن في الأصول عربياً كإبراهيم ..اسماعيل ...طالوت ...جالوت ..ونحوها ولا يجيء فيه كذلك إلا أن يتخلله المد كما ترى فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان " ⁵

¹الأعراف ، الآية 85.

²الأعراف ، الآية 74..

³ملاك التأويل ص 538.

*ولمزيد من التفصيل أنظر ملاك التأويل ص 537-538-539-540.

⁴الكهف ، الآية 109

⁵ (عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى ، خصائص التعبير القرآني ، مكتبة وهبة ، ط1 ، القاهرة 1992 ، ج 1 ص246.

3.1. / اختبار لفظة عوض أخرى

1.3.1. ("أليم" - "قريب")

لقد وصف القرآن الكريم موعد وقوع العذاب بشتى الأوصاف في هذه القصص فهو: أليم - قريب - محيط - عظيم - عصيب.

ونسب هذا الوصف في بعض الأحيان إلى اليوم وهو ظرف زمني محدد ومعين اعتادت العرب على أن تؤرخ به لأشهر حوادثها حتى قيل "أيام العرب": يوم حليلة، يوم ذي قار، يوم داحس والغبراء. وفي الإسلام تعبير عن "أيام الله" وفيها وقائع، كأن تقول: يوم النحر، يوم التروية، يوم عرفة (أيام العبادات وعن الغزوات تقول: يوم بدر - يوم حنين - يوم أحد. وقد جرى التعبير القرآني على نفس السياق اللغوي لمجازاة الأسلوب العربي فهو يوم أليم في قصة نوح عليه السلام لما فيه من عذاب مؤلم موجه، ويتنوع العذاب بين قصة فما هو في قصة صالح - عليه السلام - أليم في سورة الأعراف وقريب في سورة هود. فوقع العذاب حاصل لا محالة فذلك وعد غير مكذوب.

قال تعالى "قد جاء تكم بيئة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم" ¹

قال تعالى "ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب" ² ولا شك أن هذا التغير اللفظي لا يتوقف في حدود التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة أو متقاربة وإنما لذلك دلالة أخرى، اجتهد اللغويون والمفسرون في إيضاحها، وقد اتفقوا على مناسبة السياق العام للقصة من بدايتها إلى نهايتها فالعذاب الأليم في سورة الأعراف يناسب ما ذكر في القصة من عتو وكثرة تحدٍ واستهزاء القوم بصالح ولم يذكر ذلك في مواضع

(¹) الأعراف، الآية 73.

(²) هود، الآية 64.

أخرى. "وذلك أنه في الأعراف ذكر قوم صالح وكثرة تحديهم واستهزائهم وعتوهم ولم يذكر مثل ذلك في السور الأخرى"¹

"فالآية الأولى في سورة الأعراف عامة في جمل ما كان من وعظه بهم لأنه قال قد جاءتكم بينة من ربكم أي آية تشهد بصحتها نفوسكم أنها من قدرة الله، المختصة بفعله لا بفعل غيره ثم قال هذه ناقة الله لكم، أي هي ناقة ليست ملك أحد منكم وإنما هي لله استخرجها من الصخرة أو الهضبة إمارة على صدق نبيه عليه السلام لتؤمنوا عندها، فتركوها ترعى في الصحاري التي هي أرض الله. من الكلاء الذي هو نعمة من الله ولا تتعرضوا لها بسوء فيأخذكم عذاب ينال منكم ويؤلمكم"²

أما لفظة قريب في سورة هود فقد ناسبت السياق الذي وردت فيه حيث لما ورد شكهم قابلهم باليقين القريب الذي مهد له بالمدة "ثلاثة أيام"

قال تعالى "إننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب"³

قال تعالى "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام"⁴

"وأما في سورة هود فقد وصف العذاب بالقرب لما ذكره قبله"⁽⁵⁾ "والقريب لا ينافي الأليم بل هو أشدّ

ألماً إذا لم يكن يعد مهل فاختصاص الآية الثانية بقريب دون أليم لما ذكرنا من قريب الميعاد المقرون ذكره إلى ذكره"⁽⁶⁾

¹ (فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 365.

² (عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، ط 1، عمان 1981، ص 324.

³ (هود، الآية 62.

⁴ (هود، الآية 65.

⁵ (السامرائي، التعبير القرآني، ص 236.

⁶ (عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، ص 324.

ولا يخرج صاحب ملاك التأويل عن هذا التفسير إذ يقول " مثل هذا ليس بخلاف ولا مشكل لأن وصف العذاب بالإيلام لا ينافي وصفه بالقرب. وإنما وصف سورة هود بالقرب ليجري مع قوله بعد "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام" فجرى الوصف رعي هذا ولا ينافي في ذلك الإيلام"⁽¹⁾ إلا أن هناك من أرجع الأمر إلى مجرد مناسبة الفاصلة لما قبلها فقريب أنسب للفواصل.

"مجيب - مريب".

قد يكون التناسب سببا ولكنه ليس مجردا من الدلالة "لقد تبين مما مر أن القرآن لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق بل هو يحسب لكل ذلك حسابه فهو يختار الفاصلة مراعى فيها المعنى والسياق والجرس ومراعى فيها خواتم الآي وجو السورة ومراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى، بل مراعى فيها إلى جانب ذلك كله عموم التعبير القرآني وفواصله بحيث تدرك أنه اختار هذه الفاصلة في هذه السورة لسبب ما، واختار غيرها أو شبيها بها في سورة أخرى لسبب دعا إليه، وجمع بين كل ذلك ونسقه بطريقة فنية في غاية الروعة والجمال حتى كأنك تحس أنها جاءت بصورة طبيعية غير مقصودة، مع أنها في أعلى درجات الفن والصياغة والجمال، فما أجله من كلام وما أعظمه من تعبير"⁽²⁾

2.3.1/ الرجس - اللّعة - الغضب

ودائماً مع ألفاظ العذاب يتنوع وصف هذا العذاب الواقع فمناه هو "رجفة أو صيحة" ومنه ما هو رجس و غضب.

⁽¹⁾ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل ص 533.

⁽²⁾ السامرائي، التعبير القرآني، ص 236.

قال تعالى: "قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان" ¹

فالرجس، هو العذاب الشديد الواقع نتيجة عمل قبيح كما تشرح ذلك قواميس اللغة، والمفسرون يرونه شيئاً من العذاب الشديد الواقع على النفوس نتيجة الفساد. - "الرجس: الشيء القذر، يقال: رجل رجس، ورجال أرجاس. قال تعالى: "رجس من عمل الشيطان" ²، والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع وإما من جهة العقل؛ وإما من جهة الشرع؛ وإما من كل ذلك كالميتة، فإن الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً، قال تعالى: "وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم" ³

وقوله تعالى: "ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون" ⁴، قيل: الرجس: النتن، وقيل: العذاب (وهذا قول قتادة، انظر: الدر المنثور 394/4)، وقال: "أو لحم خنزير فإنه رجس" ⁵.

وجاء في الصحاح "الرجس: القذر وقال الفراء في قوله تعالى: "ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون" إنه العقاب والغضب وهو مضارع لقوله: الرجز، قال: ولعلهما لغتان أبدلت السين زايًا، كما قيل للأسد: الأزد" ⁷

"رجس أصاب نفوسهم بالفساد ولكفرهم فلا يقبلون الخير ولا يصيرون إليه وعن ابن عباس أنه فسر

¹ (الأعراف، الآية 71.

² (المائدة، الآية 90.

³ (التوبة، الآية 125

⁴ (يونس، الآية 100

⁵ (الأنعام، الآية 145.

⁶ (الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ج 1، ص 296

⁷ (الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، بتح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت 1990، ص 933

الرجس هنا باللعة والجمهور فسّروا الرجس هنا بالعذاب ومنهم من فسّر الرجس بالسّخط وفسّر الغضب بالعذاب⁽¹⁾

- إن كانت هذه اللفظة غير موجودة في سورة هود بنفس الكيفية فإنه قد أشير إليها بأحد معانيها "اللعة" وهو المعنى الذي أشار إليه ابن عاشور عن ابن عباس في القول السابق، فهذا الوصف الدنيء لصق بهم في أي سورة مهما تغيّرت ألفاظه وإلى يوم القيامة.

- قال تعالى: "واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود"²

وبعدما حصلت اللّعة حصل البعد الذي عبر عنه بـ الغضب في السورة السابقة (الأعراف). إذن يتبين لنا أن معنى الرجس لا يخرج عن إطار الشيء المقيت المذموم الذي يحمل دلالة القذارة والحقارة وبعده مباشرة يأتي معنى الغضب ، غضب الله تعالى على عمل هؤلاء الذين لا حياة فيهم فهم المغضوب عليهم.

"غضب الله هو الإبعاد والعقوبة والتحقير، وهي آثار الغضب في الحوادث لأن حقيقة الغضب انفعال تنشأ عنه كراهية المغضوب عليه وإبعاده وإضراره"³ وقد وقع هذين المعنيين (الرجس- الغضب) على سبيل التتابع في الحدث فبعد أن حصل الرجس فيهم فعلا حق عليهم غضب الله تعالى.

" وتأخير الغضب عن الرجس لأن الرجس وهو خبث نفوسهم قد دل على أن الله فطرهم على خبث بحيث كان استمرارهم على الضلال أمرا جليا. فدل ذلك على أن الله غضب عليهم. فوقوع الرجس والغضب عليهم حاصل في الزمن الماضي بالنسبة لوقت قول هود. واقتترانه بـ"قد" للدلالة على

⁽¹⁾ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 8 ، ص 210 .

⁽²⁾ هود، الآية 60.

⁽³⁾ محمد الطاهر ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، ج 8 ، ص 210

تقريب زمن الماضي من الحال مثل: قد قامت الصلاة⁽¹⁾ ويمكن بعد هذا التحليل أن نوازن بين معاني الألفاظ المستخدمة في السورتين كما يلي:

الأعراف	هود
الرجس	← اللعنة
↓↓	↓↓
الغضب	← البعد

1.3.3.1 / وصف الكافرين - سقوط الوصف:

وقد ورد هذا في وصف الملأ الذين استكبروا من قوم نوح - ع س -

قال تعالى في سورة الأعراف "قال الملأ من قومه إن لنراك في ضلال مبين"².

قال تعالى في سورة هود "فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا"³.

إذن فهم نفس الملأ مع نفس النبي إلا أنه في سورة هود وقع وصفهم بالكفر في حين لم يصفهم بذلك في سورة الأعراف، وتبيان ذلك يعود دائما إلى السياق اللغوي والمعنوي للقصة إذ في سورة هود ذكر عنادهم الشديد بقوة وفصل فيه، فناسب ذلك ذكر الكفر، بينما اختزل قولهم ومحاجاتهم للنبي في سورة الأعراف إلى كلمة واحدة، وهي الضلال فناسب ذلك اختزال الوصف بل وحذفه تماما.

وقد تعرض صاحب التأويل إلى هذه النقطة بالشرح المفصل إذ يقول: «فلا يساءلهم فيما ذكر من الوارد عنهم في الموضوعين وصفوا بالكفر فقال تعالى "فقال الملأ الذين كفروا من قومه" وأما آية

⁽¹⁾ المرجع نفسه ، ج 8 ص 210.

⁽²⁾ الأعراف ، الآية 60.

⁽³⁾ هود ، الآية 27.

الأعراف فقولهم فيها "إنا لنراك في ضلال مبين" ليس كجوابهم في السورة الأخرى لا من جهة الطول ولا من جهة المعنى، لأن لفظ الضلال ليس بنص في الضلال عن الدين لأنه يقال ضل بمعنى تحيّر وجار عن دين أو طريق. ويتسع في إطلاق لفظ الضلال على غير مما ذكرنا..... فلما لم يكن في الوارد في سورة الأعراف من الإطالة في العبارة والإبلاغ فيما قصده من المعنى مثل ما في سورة هود ناسبه الإيجاز وإن لم يوصفوا هنا بالكفر. والله أعلم بما أراد⁽¹⁾

وقد أضاف صاحب الكشف مفهوم آخر لهذا الوصف "الكفر" يتعلق بحادثة تاريخية تعود إلى تلك الفترة وبما أن القرآن الكريم. صادق ودقيق في نقل الأخبار فقد وقع التمييز بين ملأ قوم هود وملأ قوم نوح.

"كان في أشراف قوم هود من آمن به، منهم" مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتنم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن"⁽²⁾

4.3.1/ الملأ - القوم.

إن القارئ لقصص المدونة يجد الإشارة إلى قوم الأنبياء بلفظتي "الملأ والقوم" وفي ذلك تفاوت في الاستخدام ولكل كلمة موضعها الخاص بها. ويبين الجدول التالي عدد مرات ظهور الكلمتين في كل سورة وقصة.

السورة	الأعراف	هود	
القصص/اللفظة	الملأ	القوم	الملأ
نوح	1 مرة	03 مرات	01
			07

⁽¹⁾ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل ص 524-525.

⁽²⁾ الزمخشري، الكشف، ج2 ص 110.

04	/	03	01	هود
03	/	02	01	صالح
03	/	01	/	لوط
06	/	03	02	شعيب
01	01	10	03	موسى
24	02	22	08	المجموع

من خلال الجدول يبدو استخدام لفظة القوم أكثر من الملاء ذلك لأن القوم يقصد به عامة الناس

الذين أرسل إليهم دون تمييز، أما الملاء فهم فئة من هذا القوم. في المعاجم اللغوية " الملاء الجماعة

،وقول الشاعر : وتحدثوا ملاء لتصبح أمنا عذراء لا كهل ولا مولود

أي تشاوروا متماثلين على ذلك ليقتلونا أجمعين لتصبح أمنا كأنها لم تلد ¹ جاء في مفردات

القرآن" الملاء: جماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواء ومنظرا، والنفوس بهاء وجلالا. قال

تعالى: "ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل" ² ، "قالت يا أيها الملاء إني ألقى إلي كتاب كريم" ³

،وغير ذلك من الآيات. يقال: فلان ملء العيون. أي: معظم عند من رآه، كأنه ملاء عينه من

رؤيته" ⁴

¹ (الصحاح ، ج 01،ص 73

² البقرة ، الآية246.

³النمل ، الآية 29.

⁴ (الراغب الأصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن ، ج 01،ص 161.

أما القوم في المعاجم اللغوية فهم "القاف والواو والميم أصلان صحيحان ،يدلّ أحدهما على جماعة ناس وربما استعير في غيرهم والآخر على انتصابٍ أو عزمالقوم ،يقولون جمع امرئٍ ،ولا يكون ذلك إلا للرجال " ¹ وفي الصحاح القوم هم " الرجال دون النساء ،لا واحد له من لفظه .قال زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقال تعالى "ولا يسخر قوم من قوم " ثم قال سبحانه : "ولا نساء من نساء " وربما دخل النساء فيه على سبيل التّبّع ، لأن قوم كل نبي رجال ونساء " ².

وجاءت كتب التفسير لتدعم هذا المعنى وتزيده وضوحا حسب المقام الذي وردت فيه "الملاهم الأشراف والسادة" ⁽³⁾

"الأشراف من قولهم، فلان مليء بكذا، إذا كان مطيقاً له. وقد ملئوا بالأمر لأنهم ملئوا بكفايات الأمور واضلّعوا بها ويتدبيرها. أو لأنهم يتمالئون أو لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة" ⁽⁴⁾

وهو نفس المعنى الذي ذهب إليه ابن عاشور في التحرير والتنوير "هم الجماعة الذين أمرهم واحد ورأيهم واحد لأنهم يمالئ بعضهم بعضا. أي يعاونه ويوافقه. ويطلق الملا على أشراف القوم وقادتهم لأن شأنهم أن يكون رأيهم واحدا عن تشاور. وهذا المعنى هو المناسب في هذه الآية بقرينة "من"

¹ (ابن فارس ،مقاييس اللغة ، ج 05 ،ص 43.

² (الجوهري ، الصحاح ، ج 05 ،ص 2016.

³ (الزمخشري، الكشاف ج2، 108.

⁴ (المرجع نفسه، ج2 ص 367.

الدالة على التبعية أي أن قادة القوم هم الذين تصدوا لمجادلة نوح والمناضلة عن دينهم بمسمع من القوم الذين خاطب جميعهم ⁽¹⁾.

وكون الملاء فئة من القوم، معنى دلت عليه الآيات التالية:

" فقال الملاء الذين كفروا من قومه" ²

"قال الملاء الذين استكبروا من قومه" ³

"قال الملاء من قوم فرعون" ⁴

5.3.1/ الكيل - المكيال.

هذا في قصة شعيب عليه السلام أين أمروا بالعدل في البيع دون نقصان ، وقد كانت شريعتهم البخس في الكيل، فقد ورت الصيغة مختلفة بين الأعراف وهود حيث قال تعالى:

"ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم" ⁵.

"فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم" ⁶

وجاء في المعاجم اللغوية "المِكيال ما يُكَالُ به، حديدًا كان أو خشبًا وكال الدراهم والدنانير:

وزنها عن ابن الأعرابي خاصة؛ وأنشد لشاعر جعل الكَيْلَ وَزْنًا :

قارورة ذات مِسْكَ عند ذي لَطَفٍ من الدَّنَانِيرِ كَالُوهَا بِمِثْقَالِ

فإِما أَن يكون هذا وَضْعًا، وإِما أَن يكون على النسب لأن الكَيْلَ والوزن سواء في معرفة المَقَادِيرِ .

⁽¹⁾ محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 8 ص 190.

⁽²⁾ هود ، الآية 27.

⁽³⁾ الأعراف ، الآية 88.

⁽⁴⁾ الأعراف ، الآية 109.

⁽⁵⁾ هود ، الآية 85.

⁽⁶⁾ الاعراف ، الآية 85.

ويقال: كل هذه الدراهم، يريدون زن. وقال مُرَّة: كُلُّ ما وزن فقد كِيلَ.¹

"الكيل: كيل الطعام. يقال: كلت له الطعام: إذا توليت ذلك له، وكلته الطعام: إذا أعطيته كيلا، واكتلت عليه: أخذت منه كيلا. قال الله تعالى: "ويل للمطففين * الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم"² وذلك إن كان مخصوصا بالكيل فحث على تحري العدل في كل ما وقع فيه أخذ ودفع.³ وقد أشار الزمخشري وبعده ابن عاشور إلى هذين المعنيين على أساس الإشارة إلى ما يكال " المكيال " وآلة الكيل " الكيل " وكلاهما دلالة على إيفاء الوزن الحقيقي لا بخسه.

"أريد بالكيل: آلة الكيل وهو المكيال، أو ما سمي مايكال به الكيل، كما قيل العيش لما يعاش به، أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر"⁽⁴⁾ ويقول ابن عاشور في نفس المعنى "الكيل مصدر، ويطلق على مايكال به، وهو المكيال كقوله تعالى " ونزداد قيل بعير " وهو المراد هنا لمقابلته بالميزان..... ومعنى إيفاء المكيال والميزان أن تكون آلة الكيل وآلة الوزن بمقدار ما يقدر بها من الأشياء المقدرة، وإنما خص هذين التحيلين (الحيلة) بالأمر والنهي المذكورين، لأنهما كانا شائعين عند مدين. ولأن التحيلات في المعاملات المالية تنحصر فيهما..⁽⁵⁾

سبحان الله : لاحظ هذه المناسبة العجيبة ... كيف ترد ألفاظ الكيل والمكيال بهذا الميزان المعجز فتكون في نفس الرقم من الآيات في السورتين (الخامسة والثمانين) كيف لا وقد وزنت بميزان المقسط -عز وجل- رغم أن السورتين ورد فيهما تفاوت في طول القصص أو قصرها حتى تقع بهذا التوافق العجيب .

¹ (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كيل)

² (المطففين ، الآيتين 1 ، 2.

³ (الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، ص114.

⁴ (الزمخشري، الكشاف، ج²، ص120.

⁵ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج⁸، ص244.

2/التعريف والتذكير:

تمهيد:

يعدّ هذا الباب من الأبواب الهامة في الدراسة الأسلوبية الإفرادية ، ذلك أنه من الأساليب التي تختص بالاسم دون غيره ، ونظراً لثراء اللغة العربية بلاغياً فقد تجد اللفظة وهي حالة التعريف تدل على معان مغايرة لتلك التي في حال التذكير، بل إنك تستخدم نفس الكلمة في الخطاب الواحد وتعطيها شيئاً من الدلالات النفسية والاجتماعية والفكرية بين الحين والآخر، فتبدو مختلفة بفضل التنبؤات اللغوية التي تسمح بها اللغة العربية.

ولهذا الباب نظرات للبلاغيين العرب وكذا علماء اللغة والنحو، إذ درسوا في ضوءه مفهوم البنية المرنة التي تتسع لمجالات دلالية مثيرة "وإذا كان تناولهم له تناولاً جزئياً فإنما كانوا يثبتون لنا درسا لغويا وبلاغيا عجيبا وهو أن أي فاعلية للنص كله تكمن في فاعلية وحداته الصغرى (الجملة) وما تقوم وظيفتها عليه. ومن ثم تتراتب الوحدات الكلية في النص والوحدة الصغرى تصبح لديهم بنية معرفية تدخل في بنية العمل الأدبي كلّه ومن ثم فهي بنية فنية بلاغية"⁽¹⁾.

ونظراً لتعدد الدلالات في هذا الباب وبخاصة في القرآن الكريم يدرسه العلماء تحت مبحثين منفصلين (التعريف) - (التذكير)، ولكل منهما الأسباب والأغراض المؤدية إلى استخدامه.

"يعتمد الأسلوب القرآني في كثير من المواضع على تلوين النظم بين التعريف والتذكير تبعاً لما يناسب المقام. فقد نجد الكلمة الواحدة تدور في النص القرآني بين التعريف والتذكير، وربما كان

⁽¹⁾حسين جمعة، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، اتحاد الكتاب العرب (د.ط)، دمشق 2002 ، ص

ذلك بين كلمتين بينهما علاقة ما وقد يظهر اللفظ المعرف وهو يحيل إلى مثله المستعمل بصيغة التذكير، واللام التي للعهد هي التي تحيل إلى ما ليس فيه اللام⁽¹⁾.

1.1.2. التعريف: (لغة واصطلاحاً):

لغة: عَرَفَه الأمر: أعلمه إياه، عرفه بيته، أعلمه بمكانه وعَرَفَه به.

قال تعالى: "وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ"²

وبالتشديد، عَرَفَهَا بعض الحديث وترك بعضه . أنشد سيبويه قائلًا:

وقالوا: تعرّفها المنازل من منى وما كل من وافى من أنا عارف.⁽³⁾

اصطلاحاً: تحديد الشيء بين المتكلم والسامع حتى يعرف الكلام به ويصير مدار الحديث والتفكير بينهما.

وله أهداف تثير في المتلقي أفكاراً ومشاعر، مثلما يثير أسلوبه فيه إحساساً بروح الجمال ومتعته تبعاً لكل قسم من أقسامه، وقد يكون تعريف اسم ما أحق بالتعريف من غيره فالمسند إليه أولى بالتعريف لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً ، ليكون الحكم مفيداً فالاسم في كل أنماطه يتمكن من إسميته الدالة على معنى مجرد من الزمان غالباً بتعريفه⁽⁴⁾.

والمعرفة في كتب النحو أقسام حددها اللغويون كما يلي:

1- الضمير .

2- العلم .

¹ طه رضوان طه رضوان، تلوين الخطاب في القرآن الكريم (دائرة في علم الأسلوب وتحليل النص)، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، مصر 2007، ص 181.

² التحريم، الآية 03.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرف).

⁴ حسين جمعة ، في جمالية الكلمة، ص 117.

3- اسم الإشارة.

4- الاسم الموصول.

5- المعرف بـ أل.

6- المعرف بالإضافة

7- المعرف بالنداء.

ونظرا لاتساع البحث في كل هذه النقاط السبع بالموازاة مع المدونة المطولة بالمقارنة سنختصر عناصر التعريف إلى أربعة ونترك باقي النقاط لباحثين غيرنا قد يتخصصوا في هذا الموضوع ، ونحسبهم يستفيضوا فيه- والله المعين على ذلك.

أما نقاط التعريف المختارة فهي:

1. التعريف بـ"أل"

2. اسم الإشارة

3. اسم العلم.

2.1.2. أسباب التعريف: للتعريف أسباب تدعو إليه، ذكرها علماء اللغة في حالتين مهمتين هما:

1- الإشارة إلى معهود خارجي كقوله تعالى "وليس الذكر كالأنثى"¹

أي الذكر الذي طلبته ليس كالأنثى التي وهبت لها. وإحالة إلى المعنى الخارجي في قولها: **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾** "إني وضعتها أنثى"²

¹ (آل عمران ، الآية 36.

² (آل عمران ، الآية 36.

2- الإشارة إلى معهود ذهني كقوله تعالى "إذ هما في الغار"¹ فكلمة الغار في ذهن المخاطب لأنها تقدمت وهذا خاص بالمعرف بالألف واللام⁽²⁾.

بالإضافة إلى أن التعريف قد يخرج إلى معان كثيرة ومختلفة حسب السياق ،إذ تكون متناقضة في بعض الأحيان ؛ كالتعظيم أو الإهانة، وبالتعريف باسم الإشارة كثيرا ما يدل على التحقير أو الغباوة.

قال تعالى "هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه"³

يدل المعنى هنا على دالتين ،أولاهما التمييز بأكمل الصفات بإحضارها في الذهن في جهة "خلق الله" ثم التعريض بغباوة السامع الذي لا يميز شيئا إلا بالإشارة من جهة أخرى. أما الموصولية (الذي) فكثيرا ما ترد لكرهية ذكر المخصوص باسمه صراحة بل شيئا من صفاته المنكرة.

قال تعالى "فذلك الذي يدع اليتيم"⁴

2.1.3. التعريف ب أل:

يعرف الاسم بدخول "أل" عليه ومن اللغويين من رأى أنها اللام فقط "أل" تمكن النكرة من التعريف نحو(المكتب-الأستاذ- الكتاب) فهي تؤدي شحنة عاطفية داخل التركيب لا نجدها في(مكتب- أستاذ- كتاب) وكثيرا ما تكون موضوعة لمعنى ما....وإذ دخلت على بعض الأسماء ولم تقد معنى ولا تعريفا. لأن زيادتها في مثل هذه الأسماء لازمة. ك : السموأل- الذي- التي- الآن..." فهي جزء من بناء الكلمة ولو سقطت منه لاختل المعنى. بينما إذا سقطت من بعض

¹ (التوبة ، الآية 40.

² (عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة ، ط 1، عمان 1981 ، ص 342.

³ (لقمان الآية 11.

⁴ (الماعون ، الآية 02.

الأسماء الموضوعية للعلم لا يغير منها شيئاً ولا يزيد أو ينقص في المعنى (النعمان - الفضل - العباس..) ولا يكسبها تعريف وهذا ينطبق على كل صفة انتقلت إلى العلمية⁽¹⁾.

والاسم المعروف باللام يعد في نظر النحويين أقرب المعارف إلى النكرة.

يقول ابن يعيش: "قال ألف واللام أبهم المعارف وأقربها من النكرات ولذلك قد نعتت بالنكرة كقولك: أني لأمر بالرجل غيرك فيمنعني وبالرجل مثلك فيعطيني، لأنك لا تقصد رجلاً بعينه"²

التحليل

إن عملية المقارنة بين السورتين لا تظهر الكثير من حالات المعرفة ب"أل" حيث قد تظهر اللفظة مرة واحدة في سورة واحدة إلا البعض منها وقد اخترنا في هذا العنصر دراسة الألفاظ التالية :

الفلك - المأل - التتور - الصبح.

الفلك:

قال تعالى "فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك"³

قال تعالى "واصنع الفلك بأعيننا"⁴

قال تعالى "ويصنع الفلك"⁵.

وردت هذه الكلمة في كلتا السورتين بصيغة التعريف وفي ذلك دلالة على العظمة والإعجاز في الفعل كيف لا وهي السفينة الضخمة التي بنيت في صحراء خالية لا نهر وبحر فيها حتى استهزئ الناس منه وزيادة إلى ذلك فهي صنعت بوحي من الله عز وجل وبرعاية منه فحتماً هي متفردة في الوجود منذ الأزل.

¹ حسين جمعة، في جمالية الكلمة، ص 132.

² طه رضوان طه رضوان، تلوين الخطاب ، ص 181.

³ الأعراف، الآية 64.

⁴ هود، الآية 37.

⁵ هود ، الآية 38.

الملا: وردت في كل حالات ذكرها معرفة "أل" ماعدا آية واحدة (الثامنة والثلاثين من سورة هود).

"وكلما مرّ عليه ملا من قومه سخرّوا منه"¹

وقد سبق تحليل معنى "الملا" بأنهم الأشراف من القوم وأسيادهم. وأما بخصوص تعريف اللفظة فهو شحن لنفس المعنى "فئة من القوم" باعتبار أن الفئة المخولة لمحاكاة النبي هي الطبقة الحاكمة والمسؤولة التي تأبى على نفسها الزوال أمام هذا الدين الجديد.

التنور:

"حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور"²

وقد وردت اللفظة مرتين في القرآن الكريم : الأولى في قصة نوح - عليه السلام - و الثانية في سورة المؤمنون الآية السابعة والعشرين وبصيغة التعريف دائما. "فإذا جاء أمرنا وفار التنور".³ حتى أن المفسرين قد اجتهدوا في معناه فمنهم من يقول أنها كلمة أعجمية لالتقاء النون والراء فيها وقد أنزلت منزل الألفاظ العربية لما عرّفت وتدل على الهلاك، ومنهم من قال أن التنور هو موقد الخبز كان لحواء - عليها السلام - وورثه نوح عن آدم، -عليهما السلام-⁽⁴⁾ وقد يكون تعريفه لأنه كان شيئا منفردا معروفا في ذلك الوقت بوحداية الانتماء إلى سلالة الأنبياء فهو أمر ذو قداسة. مثلما قال عن ناقة صالح-عليه السلام- "ناقة الله" فنسبتها إلى لفظ الجلالة رفع من شأنها- والله أعلم-

واللام في أول اللفظ عند معشر اللغويين تسمى بلام العهد العلمي، وتأتي في مواضع يكون لها معهود معلوم كأن يكون معلوم في ذهن المخاطب.

¹ (هود ، الآية 38).

² (هود ، الآية 40).

³ (المؤمنون ، الآية 27).

⁴ (الآلوسي ، روح المعاني ج 12 ص 51).

الصبح:

قال تعالى "إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب"¹.

تكررت اللفظة في الآية الواحدة بصيغة التعريف ب"أل" وإن القراءة المتمعنة لتوحي بمدى قرب الموعد. وقد ساهم في إقرار الحدث وحصوله الوشيك أربعة أشياء هي:-

1- لفظ الصبح في حد ذاته بعدما كان وقت خروج لوط-عليه السلام - في الليل "فاسرِ بأهلك

بقطع من الليل"²

2- تكرار اللفظة "الصبح.....الصبح".

3- تعريف اللفظة ب"الألف واللام" دلّ على معنى القرب، بعكس لو كانت نكرة فإنها تدل على زمن غير معلوم.

4- لفظة قريب " أليس الصبح بقريب"

4.1.2. اسم الإشارة:

وهو ما دلّ على معين بواسطة إشارة حسية أو معنوية ومنها ما هو للمؤنث ومنها ما هو للمذكر⁽³⁾ وأكثر الإشارات وروداً في السورتين "هذا"-"هذه" والتي تخرج في كل مرة إلى دلالات بلاغية مختلفة. هذا:

1/ جاء للدلالة على الأمر الكبير والعظيم فحملت الإشارة معنى التعجب في التعامل مع الوضع.

مثلاً:

⁽¹⁾ هود، الآية 81.

⁽²⁾ هود، الآية 81.

⁽³⁾ سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، ص 103.

"إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" ¹. هو مشهد من مشاهد يوم القيامة لما يسأل الله عز وجل - المشركين عن سبب إعراضهم فيكبر الأمر في أعينهم من الذهول فيشيرون إلى الأمر ب"هذا" لما غابت عنهم الكلمات من هول الموقف مع أن الزمخشري أشار إلى كراهة مثل هذا القول عن أمر الله ولكنه دلّ في كل الأحوال على الأمر العظيم.

"قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَلَدَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ" ²

ورد اسم الإشارة للدلالة على أمر تعجبت منه زوجة إبراهيم عليه السلام وبصيغة متكررة فكيف يلد العجوز والشيخ.

"وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ" ³.

مجئ الضيوف جعل لوطا -عليه السلام- يتخوف من يوم لا يدري ما يفعل فيه فهو أمر فوق حدود طاقته" إذ لا حيلة له بين القوم الفاسدين.

2/ للدلالة على التحقير واستصغار الأمر، واستبعاد الأشياء.

"يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا" ⁴.

أي لا مجال للتوسط لهم فقد جاء أمر الله الذي لا رجعة فيه.

"فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى" ⁵.

هذه: يمكن الاكتفاء في هذا الاسم بمقابلة موضعين تشابها في كل من سورة الأعراف وسورة هود.

¹ الأعراف، الآية 172.

² هود، الآية 72.

³ هود، الآية 77.

⁴ هود، الآية 76.

⁵ الأعراف، الآية 169.

1/ "هذه ناقة"

ذكرت مرة واحدة في كل سورة ، إذ نجدها في قصة سيدنا صالح -عليه السلام- وقد دلت الآية "هذه ناقة الله"¹ على تشريف الناقة والإشارة إليها كانت على سبيل الرفعة.

2/ "هذه الدنيا"

ذكرت مرة واحدة في سورة الأعراف ، ومرتين في سورة هود -عليه السلام- ، فمرة ذكرت الدنيا بصريح اللفظ ومرة أخرى أُشير إليه فقط :

أما الآية "هذه الدنيا" فقد دلت على تحقير الحياة الدنيا التي تنافس عليها الناس حيث لم يذكرها في الآية الثانية لحقارتها، جاء في ملك التأويل أن ذكر الدنيا وحذفه له علاقة بمسألة الطول والإيجاز في السياق القرآني فذكر في قصة هود "واتبعوا في هذه الدنيا لعنة"² أما في قصة موسى فلم يذكر الدنيا

"واتبعوا في هذه لعنة"³ ، لأن قصة هود في هذه السورة أكثر استيفاء من قصة موسى -عليه السلام-

فناسب الذكر الإطالة وناسب الحذف الإيجاز.⁽⁴⁾

تلك: " وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم"⁵

دل اسم الإشارة دلالة عميقة على معنى البعد والنبذ لقوم عاد الذي أكثروا فسادا في الأرض "إشارة إلى بعد عاد وهلاكها فقد وقع عليها هلاك بعيد ، مملوء باللعة والطرْد، وكيف أن البعد أصبح

¹ (الأعراف ، الآية 73 . هود الآية 64.

² (هود الآية 60.

³ (هود ، الآية 99.

⁴ (ابن الزبير الغرناطي، ملك التأويل ص 658 بالتصرف .

⁵ (هود الآية 59 .

سريعا بعد أن كانوا هنا في مشهد قريب مملوء بالحبيوية والزهو والتكبر والعناد⁽¹⁾.

5.1.2. إسم العلم:

تعريفه: اسم موضع لمعين من غير إحتياج إلى قرينة مثال: خالد، دعد، دمشق.

ومنه الاسم المفرد ذو كلمة واحدة، ومنه المركب مثل: عبد الله، أم حبيبة.⁽²⁾

وقد إرتبطت أسماء الأعلام في القصة القرآنية بالشخصيات التي ترسم الحدث فيها، فيعرضها النص من حيث بيان تفكيرها وأعمالها وحركاتها فيجعل القارئ يحسّ وكأنه يعيش هذه الشخصيات ويعرفها منذ زمن بعيد يألّفها ويألّف طبائعها أو يمقتّها، وهذا مذهب فني محض يعدّ أمراً هاماً في أي عمل أدبي وفني رفيع المستوى.

"فالقرآن حرص على إحداث الترابط الوثيق بين الشخص والحدث مع الوحدة في أخلاقيات الشخصية، فلا تتغير ملامحها أو تبهت صورها، فلا تقوم على وجه واحد دون إضطراب أو تناقض أو تبديل أو تحوير"⁽³⁾

أما عن الأسماء فنجد القرآن الكريم يزوج في فنيّاته بين ذكر الاسم إن إستدعى الأمر ذكره وبين حذفه إن إستدعى ذلك ولم يكن بد من ذكره إذ حذفه أيضاً له دلالة واسعة في معنى الإبهام ليجعل الغرض من القصة هو أخذ العبرة لا الاهتمام بالشخص في حدّ ذاته من يكون ولا كيف يكون.

"لم يعن القرآن برسم الخطوط الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية كما يفعل بعض المولعين بالقص، فيذكرون مثلاً لون الشعر والعينين ... لأن ذلك كله لا يخدم أي غرض ديني من

⁽¹⁾ سيد قطب، في ظلال القرآن ، ص 57.

⁽²⁾ سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر (د.بلد)(د.تاريخ) ، ص 99.

⁽³⁾ فؤاد على رضا، من علوم القرآن، ط2، لبنان، 1983، ص 191.

أغراض القصة القرآنية، وإنما يكشف القرآن عن مزاح الشخصية وعن دوافعها وانفعالاتها وسلوكها من خلال الوصف أو سرد الأحداث بصورة عرضية لم تقصد لذاتها⁽¹⁾.

التحليل:

وكما سبق ذكره في هذه الدراسة فإنّ المدونة هي مجموعة قصصية لجملة من أنبياء الله ورسله والوقائع التي حدثت لهم مع أقوامهم ولذلك فقد ورد تكثيف لأسماء الأنبياء صراحة ولبعض الأقوام.

"نوح - هود- صالح- لوط- شعيب- موسى"

" عاد- ثمود- مدين- آل فرعون"

وهذه الأسماء منها العربي ومنها الأعجمي، قد اجتهد الدارسون في تفكيك معاني هذه الأسماء لربطها بالعبارة الفنية في قصصهم، إلا أن هذا ليس محور بحثنا لأن الخوض فيه، يفضي إلى أقوال ومتاهات كثيرة، فيها أخذ ورد بين العلماء.

إلا أننا نعرض إلى الغرض البلاغي من ذكر الاسم في بعض مواضع الآيات منها:

1. دلالة على القرب والتواضع:

" وإلى عاد أخاهم هوداً"²

" وإلى ثمود أخاهم صالحاً"³

"لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه"⁴

¹ - التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974، ص360.

² هود، الآية 50.

³ هود، الآية 61.

⁴ الأعراف، الآية 59.

" وإلى عاد أخاهم هوداً" ¹.

" وإلى ثمود أخاهم صالحاً" ². إن هذه الأسماء استخدمت للدلالة على بداية الرسالة وعن حاملها الذي هو عضو من هذا القوم الذي أرسل إليهم بل هو أخ لهم بالانتماء، رجل عرفوه وألفوه وعرفوا أخلاقه وطبائعه.

2. دلالة على العناد وعدم التصديق:

"قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كانت من الصادقين" ³

"قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين" ⁴

" قالوا يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين" ⁵

"لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا" ⁶

وقد ردت هذه العبارات في نهاية كل قصة لما تبين عناد القوم وتماديهم في الضلال فجاءهم بعد هذا العذاب مباشرة، ولو كان النداء بـ "يا نبي الله" مثلاً لدلّ ذلك على التصديق والإذعان لأمر الله ولكن كفرهم جعلهم يرونه دائماً بنفس الصورة؛ شخص عادي أو به ضلال أو سفاهة وجنون.

وقد كان صحابة رسول الله ص - ينادونه بشتى كنيات الرفع والعلو الشأن " يا رسول الله

- يا أبا القاسم". أما المشركون فينادونه بـ "يا محمد" سواء أكانوا من أهله "قريش" أو من غيرهم.

¹ (الأعراف، الآية 65).

² (الأعراف، الآية 73).

³ (هود، الآية 32).

⁴ (هود، الآية 53).

⁵ (الأعراف، الآية 77).

⁶ (الأعراف، الآية 88).

3. تسليّة لقلب الرسول -ص- ولكل من آمن :

إن الاسم في كل قصة يعني تكرار مسلسل الدعوة والتكذيب ثم الهلاك على مرّ التاريخ، فلو لم يذكر الاسم لاكتفينا بقصة واحدة فيها إشارة إلى أحداث مجملّة ولكن ذكرها مفصلة مع كل اسم لنبي يعني تكرار حدوث الفعل وفيه تثبيت لكل من تلقى عجرة وعناداً أثناء الدعوة إلى الله، فهو ليس وحيد في أمره إذ الأمثلة قبله أكثر وأشد.

2.2. التنكير :

1.2.2. التعريف اللغوي والاصطلاحي:

لغة: نَكِر الأمر نكيرا وأنكره، نكارا ونُكرا جهله يقال أنكرت الشيء وأنا أنكره إنكارا- ونكرته، والمنكر ضد المعروف، والتناكر: التجاهل⁽¹⁾.

"لقد جئت شيئا نُكرا"²

اصطلاحاً: ما وضع لشيء ، لا بعينه ؛ وحدها ..من حدّ المعرفة ما لم يشر به إلى الخارج إشارة وضعيّة والاحترازاات تفهم من حدّ المعرفة⁽³⁾ أو ما لم يدل على معين من أفراد جنسه⁽⁴⁾.

و لعل الفارق الأساسي بين التعريف والتنكير أن التنكير لا يَعْرِف بأداة معينة، وإنما يكون اللفظ مطلقاً من قيود التعريف أو من المعارف السبعة المذكورة آنفاً، فالتنكير مطلق ويأتي التعريف ليقيد ذلك الإطلاق. ويحدد وجوه اللفظ في دلالاته واستعماله.

وعن دور النكرة الهام في إجلاء المفاهيم يرى الكثير من اللغويين أن العامة يجحفون في حق النكرة فيؤخرونها ويجعلونها للمبهم الغامض.

⁽¹⁾ ابن منظور ، لسان العرب، مادة (نكر)

⁽²⁾ الكهف ، الآية 74.

⁽³⁾ الاستريادي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، القسم الثاني مج01، ص 546..

⁽⁴⁾ حسين جمعة، في جمالية الكلمة ص 151.

"قد يظن ظان أن المعرفة أجلى. فهي من النكرة أولى ويخفي عليه أن الإبهام في مواطن خليك، وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق، وعلة ذلك أن النكرة ليس لمفرد لها مقدار مخصوص، بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه"⁽¹⁾

ومن إعجاز القرآن الكريم في الإبهام أنه أحجم في الكثير من المواضع عن ذكر أسماء الأشخاص والأماكن كي لا يرتبط الحدث بأناس معينين بل العبرة في ذلك أنها صالحة لكل زمان ومكان.

ويقول الدكتور أحمد بدوي في هذا السياق "وقفت طويلاً عند الاسم النكرة، أتبين ما قد يدل عليه التكرير من معنى، ودرست ما ذكر العلماء من معان قالوا أن التكرير يفيدها، وبدا لي من التأمل الطويل أن النكرة يراد واحد من أفراد الجنس ويؤتى بها عندما لا يراد تعيين هذا الفرد"⁽²⁾

"أما التكرير فمجال استخدامه أرحب ودلالته البلاغية أغزر، المتوقع منه أن يفيد التكرير التعميم والإطلاق على خلاف التعريف الذي يفيد التخصيص"⁽³⁾

2.2.2. أسباب التكرير:

لا شك أن التكرير يقوم بدور لا يقوم به التعريف ولذلك وجدا في اللغة العربية، أما عن القرآن الكريم فهو مجال ملاحظة هذه الظواهر بكل خصوصيتها ومعانيها إذ كيف نفسر ورود نفس الكلمة معرفة ب"ال" مرة ومجردة منها مرة أخرى إلا لحكمة ربانية وإعجاز لغوي قرآني ينم عن المعاني البعيدة في النص.

"فالتكرير يقع لفوائد ، ويستعمل لمقاصد لا يمكن للتعريف أن يقوم بها لا من الوجهة اللغوية ولا من الوجهة البلاغية والدلالية- وكلها تستقي من السياق ومن مطابقته لمقتضى الحال والمقام فالوظيفة

⁽¹⁾ الزملكاني ، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد 1974 ، ص 136.

⁽²⁾ أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص 128.

⁽³⁾ الهادي الجطلوي ،"قضايا اللغة في كتب التفسير والمنهج، (التأويل الإعجاز) ط1 دار محمد على الحامي للنشر والتوزيع صفاقس 1998، ص 510.

التي يقوم الاسم النكرة بها سواء وقع مسندا إليه أم مسندا في الجملة أو النص اللغوي لا يمكن أن يقوم بها الاسم المعرفة. فهي تتفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التتكير ذاته.... ومن طبيعته الجالية⁽¹⁾.

وعن الأسباب الداعية إلى التتكير التي نصّ عليها العلماء وجدت أنها قد تطول وقد تقصر حسب كل دارس ورؤيته ولكنها في الأخير تصب في مصب واحد إذ يؤكد الدكتور أحمد بدوي أن "النكرة بعدئذ تفيد معناها مطلقا من كل قيد، أما ما يذكره علماء البلاغة من معان استقيدت من النكرة، فإنها لم تقدمها بطبيعتها، وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه، فكأنما المقام هو الذي يصف النكرة ويحدد معناها"⁽²⁾.

فمن هذه الأسباب ما يلي⁽³⁾:

- 1- إرادة الوحدة : "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى"⁴
- 2- إرادة النوع: "هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب"⁵
- 3- التعظيم: "أعظم من أن يعرف ويعين" فأذنوا بحرب من الله ورسوله"⁶
- 4- التكتير: "إن لنا لأجرا"⁷. أي وافرا جزيلا.
- 5- التحقير "إن نظن إلا ظنا"⁸.

¹ حسين جمعة ، في جمالية الكلمة، ص 151.

² أحمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص 128.

³ عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم ، ص 341.

⁴ القصص ، الآية 20.

⁵ ص ، الآية 49.

⁶ البقرة ، 279.

⁷ الشعراء ، الآية 41 .

⁸ الجاثية ، الآية 325 .

6- التقليل: "ورضوان من الله أكبر" ¹ أي رضوان قليل من بحار رضوان الله.

3.2.2. تحليل المدونة:

وفيما يلي بعض نماذج التكرير في المدونة وما حملته من شحنات دلالية - والله أعلم بذلك-.

1) سلام: قال تعالى "قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِط بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ" ²

"ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام" ³

"ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم" ⁴

وقد ورد لفظ "السلام" في القرآن الكريم متزاوجا بين المعرفة والنكرة. والنكرة في مقام تحية الأنبياء

والرسل عليهم السلام أكثر:

"سلام على إبراهيم" ⁵

"سلام على نوح" ⁶.

"سلام على موسى وهارون" ⁷.

"فقد ابتدأ الله تعالى السلام بلفظ النكرة في كل هذه الآيات الشريفة، لأن (السلام) دعاء وطلب،

والعرب في ألفاظ الدعاء والطلب إنما يأتون بالنكرة إما مرفوعة على الابتداء أو منصوبة على

المصدر، كقولهم على الإنسان ، ويل له وخيبة له، وجدعا له في الدعاء له، سقيا له ورعيا، وكرامة

ومسرة فجاء سلام عليهم، في بدء التحية بلفظ النكرة كما جاءت بقية ألفاظ الدعاء عند العرب" ⁽⁸⁾

¹ (التوبة ، الآية 72 .

² (هود ، الآية 48.

³ (هود، الآية 69.

⁴ (الأعراف ، الآية 46.

⁵ (الصافات، الآية 109.

⁶ (الصافات ، الآية 79.

⁷ (الصافات ، الآية 120.

⁸ (عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، دار المريخ ، الرياض 1983 ، ص 25.

وهو اسم من أسماء الله الحسنى "السلام" الذي أوجب النعم لأوليائه، ومثّاهم بجنات عدن يكفيهم فيها ما يريدون ويشاءون.

"فلهذا نكر لفظ "سلام" الصادر من الله تعالى لرسله وأنبيائه إذ القليل من تحيته يغني عن كل تحية فالنظر دائما يكون إلى المنعم لا إلى الإنعام.

ولله در الشاعر إذ يقول في هذا المعنى

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل⁽¹⁾

/رجل- أناس

"أليس منكم رجل رشيد"² أنه لما ضاق الأمر ب لوط - ع س - ذرعا ناشد ذوي العقول الرشيدة بالتدخل لحل الموضوع- فكيف تخزوني في ضيفي وهذا أمر جلل في عرف العرب منذ القديم ، وكان سؤاله بصفة التكرير "رجل" للدلالة على القلة أي على أن يكون على الأقل رجل واحد عاقل ولكن الأمر دلّ ليس على القلة فقط بل على الانعدام.

وبالمقابل في سورة الأعراف نجد الآية التالية "أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون"³ التي تدل على أن المسلمين وأتباع لوط قلة إذ وبكل خزي جعلوا الطهر تهمة وهم ينسبون الفاحشة إلى أنفسهم في سياق حديثهم عن وعي أو دون وعي منهم.

وبهذا نرى روعة السياق القرآني كيف استخدم التكرير في قضية بلاغية ذات دلالات هامة إذ عكس المعنى في فئتين متناقضتين من حيث الانتماء.

⁽¹⁾ عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، ص 25.

⁽²⁾ هود، الآية 78 .

⁽³⁾ الأعراف، الآية 82.

الأعراف	هود
القلّة	القلّة (الانعدام)
↓	↓
أناس (أتباع لوط)	رجل (المشركين)
↓	↓
لـ الطهر	لـ الرشد

- ملأ:

لقد رأينا في باب التعريف ورود هذه اللفظة معرفة بـ"ال" ما عدا هذا المكان أين دلّت على أن "ملأ" هم نفر قلّة كانوا قد مروا عليه وسخروا منه.

- حجارة - رجس - غضب.

هي ألفاظ وردت في موقع العذاب بصيغة التذكير للدلالة على الإبهام في العدد والكيف هذا الإبهام الذي يجعل احتمال الكثرة والشيوع بلا حسابان أمر لا محالة.

/ آلاء

"فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"¹

نعم الله عز وجل. على عباده لا تعد ولا تحصى فآلاءه في كل مكان أينما التفت المرء وجدها" وقد

زاد في معنى التذكير كل من:

- اللفظ "اذكروا"

- تتكبير لفظ آلاء.

¹ (الأعراف، الآية 74).

/ رحمة:

- "قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي وآتاني رحمة من عنده"¹

وإن دلّت بصيغة التكرير على معنى التقليل فإن قليل من الله كثير فجزء صغير من رحمة الله هو كثير كثير لا يسع كل هذه الأرض . وأيُّ رحمة مهما كانت لا تبلغ مقدار ذرة من رحمة الرحمن .
أليس بعد هذا التحليل كلّه يحق لنا أن نقول كما قال سابقونا في دراسة النص القرآني الحكيم " أن القرآن يتأنق في اختيار الألفاظ ويستخدم كلاً حيث يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً. فالألفاظ فيه قوية عنيفة في مقام التهديد والوعيد رقيقة عذبة في مجال الترغيب والتهديب، وهادئة حسنة في مقام التشريع والتفريع"⁽²⁾.

¹ (هود، الآية 28).

² (ينظر: أحمد أحمد بدوي، بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2005، ص 57 .

الفصل الخامس

الدراسة التركيبية

تمهيد:

ينفرد أسلوب القرآن الكريم بذلك العرض المتنوع في خطاباته، نظرا لاختلاف المخاطبين و أحوالهم و مستوياتهم و يظهر ذلك جليا في القصص القرآني إذ يعطي للنسق القصصي روعة و وضوحا تترك آثارها العميقة في النفس البشرية ، " و هذا الأسلوب إنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ليس من ذلك شيء إلا و هو معجز، و هو الذي قطع العرب دون المعارضة و اعتقلهم عن الكلام فيه و ضربهم بالحجة من أنفسهم ثم هو الذي مثل لهم اليأس قائما لا يتصل به الطمع و صور لهم العجز غالبا لا تتال منه القدرة و هذا يتبين من طرق نظمه و وجوه تركيبه و نسق حروفه في كلماتها و كلماته في جملها و نسق هذه الجمل في جملته ما أذهل العرب عن أنفسهم من هيبة رائعة و روعة مخوفة " ¹.

إذن هي لغته (لغة القرآن الكريم) بكل مستوياتها تصنع الإعجاز المنقطع النظير عبر كل الأزمان. لغة تبقى دوما قمة في التماسك الفني و الحبك المعنوي المعبر عن جماليات الأسلوب الرفيع المتشكل في إطار النظم الصوتي و اللفظي و التركيبي و بهذا فهو البيان الذي يبحث في فنون القول.

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، ص 214.

و قد بحث علمائنا الأجلاء مطولا في موضوعات لها صلة بالتركيب القرآني المعجز نذكر منها:
(الإعجاز - البيان - النظم - علم المعاني) ، و هذه مباحث مفيدة لمن أراد أن يفصل أكثر في
أبواب الإعجاز وكيف نظر القدامى إليها و نكتفي هنا بالإشارة إليها دون التفصيل فيها.

الإعجاز:

و الحقيقة الواضحة أن الحديث عن الإعجاز القرآني ، ضرب من الإعجاز لا يصل الباحث فيه
إلى كشف جانب منه حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سر إعجازها الزمن.¹ ومعناه واضح
من تعريفه اللغوي و استخداماته القرآنية:

لغة:

عن الإمام الجوهري " العجز، الضعف، تقول : عجزت عن كذا أعجز بالكسر عجزا و معجزة و
معجزا بالفتح أيضا على القياس، و عن الحديث (لا تلبثوا بدار المعجزة) أي لا تقيموا ببلدة
يعجزون فيها على الاكتساب و التعيش.... و التعجيز و التثبيط ، و كذلك إذا نسبته إلى العجز و
المعجزة، واحدة معجزات الأنبياء...²

في القرآن:

" إلا عجوزا في الغابرين " ³

" أألد و أنا عجوز " ⁴

¹ (عمار الساسي، " الإعجاز البياني في القرآن الكريم " دراسة نظرية في الآيات المحكمات العبادات و المعاملات ، دار المعارف للإنتاج و التوزيع البلدية، ط1، الجزائر 2003، ج1، ص 29 بتصرف.

² (الإمام الجوهري، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط 03، بيروت 1984، ج2، ص 81.

³ (الأعراف، الآية 45

⁴ (هود، الآية 19.

و العجز سميت كذلك بعجزها عن أداء الكثير من أمورها الدنيوية كالتنقل و المشي، و هي أبسط الأمور ثم القيام برعاية نفسها، فكيف برعاية الآخرين.

" و ما أنتم بمعجزين في الأرض " ¹

" و الذين سعوا في آياتنا معجزين " ².

أي أن يكون المرء عاجزا و غير قادر على إنجاز ما يريد، وقد عرّفه الرماني بقوله "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ؛ والصّرفة والبلاغة الصّادقة عن الأمور المستقبلية ؛ ونقض العادة ؛وقياسه بكل معجزة . " ³ وفي نفس الموضوع يقول الخطابي غير بعيد عن معنى عدم القدرة على الإتيان بمثله "إنه القرآن معجز للخلق ممتعاً عليهم الإتيان بمثله على حال فلا موضع لها ،والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج إلى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر. " ⁴ و يقول الرافعي في هذا المقام " إن الإعجاز شيئان: أحدهما : ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة مزاولته على شدة الإنسان و اتصال عنايته. و ثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن و تقدمه " ⁵.

البيان:

" نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " ⁶

¹ العنكبوت ، الآية 22.

² الحج ، الآية 51.

³ الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ،ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ،ص 75.

⁴ الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 21.

⁵ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ،ص 139.

⁶ الشعراء ، الآية 193 ، 194.

"و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " ¹.

قال الرماني أبو الحسن " البيان في الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع و يسهل على اللسان و تتقبله النفس.... و حتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة " ². أما الخطيب القزويني فيعرفه بقوله " هو علم يتعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه " ³ و في تحديد البيان نشير إلى آراء بعض الباحثين المحدثين في الموضوع بعد أن كان لهم صولات و وقفات على هذا المصطلح منذ بداية الدرس اللغوي العربي:

" إن البيان في حقيقته هو اسم جامع و شامل لكل ما أبان لك عن الأشياء و المعاني دقيقها و خفيها وفق سنن العرب في كلامها و عليه فكل ما خرج عن سنن العرب في كلامها لا يعد بياناً و إن صيغ بأفصح الألفاظ. و حصل ذلك حين صار البيان عندهم حدوداً و قيوداً لا ينبغي تجاوزها و لا تعديتها، لذا كان لزاماً علينا أن نعود إلى اللسان العربي و إلى القرآن الكريم و إلى آراء و نظرات أهل الأصول و أئمة البلاغة و النحو و اللغة ،ليجمع الرأي و يلم بالمبادلة و إلاماً تاماً غير منقوص " ⁴.

و نشير خلاصة إلى قول إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني عن الموضوع " و ذلك لأن هذه المعاني التي هي الاستعارة و الكناية و التمثيل و سائر ضروب المجاز من بعدها و من مقتضيات النظم، و عنها يحدث و بها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم و هي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو، فلا يتصور أن

¹ إبراهيم، الآية 04.

²نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط 02 ، بيروت 1980 ، ص 100.

³ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، دار الكتب العلمية د ط ، بيروت د ت ، ص 215.

⁴ (عمار الساسي ، الاعجاز البياني في القرآن الكريم، ج 1، ص 256.

يكون هاهنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد أُلِفَ مع غيره، فلا ترى أنه قدّر في "اشتعل" من قوله تعالى: "و **اشتعل الرأس شيباً**" أن لا يكون الرأس فاعلاً له و يكون (شيباً) منصوباً عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعاراً و هكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك".¹

و من هذا يتبين لنا أن كلا من الاستعارة و الكناية و التمثيل و كل ضروب المجاز ما هي إلا وسائل لغاية واحدة هي البيان." و بهذا التمثيل من إمام البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني يظهر أن هذه المعاني من استعارة و كناية و مجاز و تمثيل هي في حقيقة أمرها وسائل للبيان و ليست هي البيان كلّها فبها تبين المعاني و تتجلى الأخرى التي لا تحصل إلا بها ، و عليه فالوظيفة بيانية في المستوى التركيبي البلاغي المتغير، و يدلك على ذلك حذفها أو إبدالها بما يقابلها".²

النظم:

و هو أمر لا يقل أهمية على سابقه في الدرس اللغوي العربي منذ نشأته و قد ارتبط بدراسة اللغة القرآنية و لم يكن ليظهر مع الشعر العربي الذي هو ديوان العرب، ذلك لأن القرآن الكريم جاء ليعجز العرب نظماً أيضاً فيما تعارفوا عليه وتباهوا به و تنافسوه، وأما عن القصص الواردة فيه قمة في التناسق المعنوي

و الروح الفنية، لذلك وجدنا نفس القصص تحاك بأساليب شتى في أماكن متنوعة من القرآن الكريم دون أن ينالها خلل في نظمها أو ضعف في تركيبها.

ولعلّ أول ما يجده الباحث عند الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز -بعد المقدمة- هو تعريفه للنظم، فالنظم عنده هو أن تتصل الألفاظ وتتوالى من حيث هي معان وأفكار وليست مجرد حروف

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص 270.

² (عمار الساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ج1 ص 255.

وأصوات ،كما يفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم "معلوم أن ليس النظم سوى عملية تعليق الكلمة بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض..... ومما يجب إحكامه الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط.... فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ريض" مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلمة فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف ما جاء واتفق".¹ إذاً النظم يكون حسب المعاني وهو أيضاً متوقف على التركيب النحوي، إذ يضيف قائلاً : "إعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه"² وبعد هذا يشرح الجرجاني أسباب النظم وحسن حدوثه في أبواب النحو كالمبتدأ والخبر ثم البلاغة كالفصل والوصل أو التقديم والتأخير ..

والخلل في النظم عند الجرجاني يعود إلى استعمال معاني النحو استعمالاً صائباً أو خاطئاً ،وهو بهذا يربط النحو بالبلاغة والمعاني :

"فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظمه أو فساد، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصفة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووحدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"³ وقد حصل الإجماع من طرف اللغويين على روعة النظم القرآني وبلاغته حتى قال أحد المتأخرين : " و روح الترتيب لم تعرف قط في كلام عربي

¹ (عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر مطبعة المدني ،القاهرة 1994، ص49.

² (نفس المرجع السابق ،ص51.

³ (نفس المرجع السابق ،ص55.

غير القرآن، و بها انفرد نظمه و خرج مما يطيقه الناس، و لولاها لم يكن بحيث هو كأنما وضع جملة واحدة، ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين إذ نراه ينظر في التركيب إلى نظم الكلمة، و تأليفها إلى تأليف هذا النظم فمن هنا تعلّق بعضه على بعض، و خرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي صفة إعجازه في جملة التركيب و لولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعاني في النفوس ¹.

علم المعاني:

هو علم من العلوم اللغوية و البلاغية عرفها العرب لما اشتدّ عود الدراسة و التصنيف و هو يتعلق بمباحث معروفة عند البلاغيين مثل (الذكر و الحذف، الفصل و الوصل ، الإيجاز و الإطناب ، القصر، التعريف و التتكير ...).

و يقال بأن الإمام السكاكي كان سباقا في استعمال المصطلح، و أن أوائل البلاغيين استعملوا المصطلح "المعاني" في دراستهم القرآنية و الشعرية "معاني القرآن" "معاني الشعر" و حتى تكون تلك المسميات مجرد عناوين لكتبهم دون أن يكون لهما صلة بإحدى العلوم البلاغية ، إلا أننا نجد ابن فارس في كتابه الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب يضع بابا يسميه - معاني الكلام - يقول فيه " هي عند بعض أهل العلم عشرة : خبر ، و استخبار ، و أمر، و نهي ، و دعاء، و طلب، و عرض ، و تخصيص و تمن، و تعجب " ². «و إشارة ابن فارس تلك جعلت كثيرا من علماء البلاغة يضيفون إليه أنه صاحب الفضل في إطلاق معاني الكلام، على مباحث

¹ (محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصص القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1، الإسكندرية 1981، ص 70.

² (عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف ، ط 03، القاهرة 1978، ص 105.

و الخبر و الإنشاء التي أصبحت فيما بعد بابا من أبواب علم المعاني، فصار بذلك صاحبي من أهم الكتب التي اعتمدها علماء البلاغة في بحث علم المعاني و لاسيما الفصل الخاص بـ "معاني الكلام"، و ربما اطلع الإمام السكاكي على كتابه عامة و هذا الفصل خاصة و استفاد منه «¹».

خلاصة:

و بعد هذه الإطلالة الوجيزة في علوم العربية ،نقول أن هذه المواضيع في كتب العربية قديما و حديثا نالت الاهتمام الكبير و الشرح الوفير الذي يطول فيه الحديث، من أجل الوصول إلى تعيين الحدود المعرفية لكل علم أو من أجل وضع قانون عام يسمح بقراءة كل النصوص، و هذه هي الإشكالية التي تطرحها العلوم اللغوية اليوم في دراسة النصوص و تحليل الخطاب لذلك تعددت المدارس و النظريات التي تبحث في هذا المجال " كالبنوية و التفكيكية، والأسلوبية ، والتداولية....الخ ".

أما المدرسة العربية فإنها تملك في تراثها الزاد و العدة اللازمتين لقراءة النصوص، لكن تنقصها الآليات المناسبة لاستخدام تلك العدة ،و في كل يوم تواجهنا عناوين جديدة في المكتبة العربية تحاول مقارنة النص لغويا، لكننا نجد دائما ميل كفة على أخرى أي موضوع على موضوع آخر كالتركيز على الصوت دون الكلمة أو الكلمة دون التركيب أو التركيب دون البيان و هكذا. و في هذا الموضوع رأي لأحد الدارسين عن البلاغة و تقييمها الذي أدى إلى تشتيت جهود الباحث دون أن يأتي بنتيجة مقنعة، و يقترح في ذلك اقتراحا من أجل لم شمل هذه التفرعات في مسار واحد، و من أجل قراءة أوفر و أقرب لمعاني النص:

¹ (عمار الساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ج1 ص 248. و فيه كلام ينقله عن دلائل الإعجاز للرجاني ص 61.

" إن تقسيم البلاغة إلى معاني و بيان و بديع قتل لروح البيان العربي و إذهاب لرونقه و تعطيل لوظيفته علما أنه و إلى اليوم ما زال الخلاف حادا بين أهل البلاغة في شأن هذا التقسيم حتى صار لكل وجهة هو موليتها لا تتفق بالضرورة مع الوجهة الثانية..... لذا ندعو إلى توحيد هذه الأقسام الثلاثة في علم واحد نسميه (علم البيان الشامل) من غير فصل و لا تقسيم، فالمقامات و المناسبات - برأينا- هي التي تميز بين المعاني و مبانيها المركبة و هي التي تحدد بدقة لكل معنى مبنى و فوق هذا فالبيان لا يستقيم أمره على الذي عرضنا إلا إذا سار وفق الوضع الذي يقتضيه علم النحو و يعمل على قوانينه و أسسه و أصوله...".¹

... إذن فهو بهذا الاقتراح يدعو إلى لم أجزاء الدراسة و صبها في موضوع واحد لكي تأتي بنتائج أفضل.

" إن البيان بهذا المفهوم الشامل هو القادر على التعامل مع القرآن الكريم في آياته المحكمات و هو برأينا الأوفق و الأصلح إلى التعمق في فقه آياته و سبر أغوار إعجازه البياني"²

¹ (عمار الساسي ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، ج1 ، ص 256.

² (المرجع السابق، ج1 ص 256.

1. الفصل و الوصل:

تمهيد :

كان هذا الموضوع و لا يزال من أهم المواضيع البلاغية التي تطرق إليها كل من النحوي و البلاغي بالشرح و التفصيل و الاستنباط، حتى أن الدروس اللغوية العربية اليوم توليه اهتماما بالغاً في باب ما يسمى بـ"الاتساق" في الدراسة النصية **Cohésion** ، و لسانيات النص، ففي المؤلف الشهير **الاتساق في الإنجليزية Cohésion in English** للثنائي مايك هاليداي و رقيه حسن Maik Halliday and Rekaya Hassen نجد باباً خاصاً بموضوع الربط داخل النص و كيفية استخدام أدوات العطف و ما هي الدلالات التي تؤديها في كل مرة " فالنص عند هاليداي وحدة معنوية تختلف عن الجملة لا من حيث الحجم (لأنه لا يشكل مقياساً لتحديد النص) ولكن من حيث الجنس ، والنص لا يتكون من جمل بل يتحقق بها ، وحتى حتى يتحقق بها لابد من وجود روابط تربط هذه الجمل ، وهذه الجمل قبل أن ترتبط عناصر كل منها وهذا المنظور هو الذي يوصله إلى مفهوم النسيج (texture) " ¹.

أما في التراث العربي فإن من دلائل الإعجاز اللغوي- كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني- أن يوضع الربط و العطف في مكانه المناسب فهو من قمة الفصاحة و البلاغة: " إعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى... من أسرار البلاغة ، و مما لا يتأتى تمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص و إلا قوم طبعوا على البلاغة و أتوا فنا من المعرفة في ذوق

¹ (مفتاح بن عروس ،الاتساق النصي :دراسة لظاهرة العائد في العربية ،رسالة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة ،معهد اللغة العربية ، جامعة الجزائر 1996-1997 ، ص 03.

الكلام هم بها أفراد، و قد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل ¹.

إذن فقد جعل الجرجاني التبحر في ثنايا الفصل و الوصل سببا من أسباب التحكم في البلاغة الحقّة وذلك لأنه خاصّة يختص بها الأعراب الخّص الذين فطروا على البلاغة ونشؤا عليها، و السبب في ذلك كما يقول: "لغموضه و دقّة مسلكه، و أنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة".

1.1. الفصل و الوصل لغة و اصطلاحاً:

من الواضح المتفق عليه لدى جمهور العلماء أن الدلالة اللغوية لهاتين الكلمتين قديمة في العربية مقارنة بالدلالة الاصطلاحية و لاشك أن مدلولها في اللغة لا يبتعد كثيرا عن مدلولها في الإصطلاح، كما أنهما " الفصل و الوصل " قد استخدما في عدة علوم منها: الخط العربي و النحو و علم القراءات و البلاغة

و إن اختلفت مواضعها فإنها تعني في النهاية: **بالفصل**: القطع سواء في رسم اللفظ أو في المعنى. و **بالوصل**: الربط سواء بين حروف اللفظ أو بين الألفاظ أو بين معنى و آخر.

2.1.1. الدلالة اللغوية:

الفصل: مصدر الفعل " فَصَلَ " يفصِل (بالكسر) و (فصل) يكون لازما واقعا و إذا كان واقعا فمصدره الفصل و إذا كان لازما فمصدره الفصول ².

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 222.

² ابن منظور ، لسان العرب، مادة (فصل).

و جاء في الصحاح " فصلت الشيء فانفصل أي قطعت فانقطع ،وفصل من الناحية ،أي خرج "¹
 و منه في قوله تعالى "إنه لقول فصل ² أي فاصل، قاطع. و قال تعالى: "و لما فصلت العير" أي
 خرجت قال الزمخشري : " فصل الشاة تفصيلا، قطعها عضوا عضوا ".³

الوصل: جاء في لسان العرب " وصلت الشيء وصلا وصلة و الوصل ضد الهجران، ابن سيده،
 الوصل خلاف الفصل...."و تكرر في الحديث ذكر صلة الرحم قال: ابن الأثير إنه كناية عن
 الإحسان للأقربين من ذوي النسب و الأصهار.⁴

مصدر فعله، وَصَلَ يَصِلُ وصولا من باب وعد ، جاء في تاج العروس " و وصل الحبال و غيرها
 توصيلا وصل بعضها ببعض "و اتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، و ليلة الوصل آخر ليالي الشهر
 لاتصالها بالشهر الآخر، و واصل الصيام مواصلة و وصالا إذا لم يفطر أياما تباعا، و التواصل
 ضد التصارم.⁵

3.1.1. الدلالة الاصطلاحية:

وجد هذا المصطلح في علوم لغوية عدة مرجعها إلى مفهوم واحد هو الاتصال و القرب في الوصل
 و الوقف و القطع في الفصل و قد آثرنا جمعهما في المعنى الاصطلاحي ،لأنها عادة جل العلوم
 في الجمع بين المعنيين في الشرح و الإصطلاح.

علم الخط العربي:و يتمثل في رسم الكلمة حين تكتب موصولة الحروف أو مفصولا بعضها عن
 بعض: " همزة الوصل "، " همزة القطع " ، " علامات الترقيم " ، " الفاصلة " ، " الفصلة " ، " نقطة

¹ (الامام الجوهري ،الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ،تح أحمد عبد الغفور عطار ،دار العلم للملايين
 ج04، ص 1790.

² (الطارق ،الآية 13.

³ (الزمخشري ، أساس البلاغة ص 342 .

⁴ (ابن منظور ، لسان العرب (مادة وصل).

⁵ مرتضى الزبيدي ،تاج العروس في جواهر القاموس ،دار الهداية ، الكويت 1966، ج40، ص207.....

الوقف " ¹ جاء في البرهان للزمخشري فصل بعنوان " في الفصل و الوصل " يتكلم فيه عن وصل الكلمات في الخط: " اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، و المفصول معنى في الوجود يفصل في الخط " إن ما توعدون لآت " ² . لأن حرف " ما " هنا وقع على مفصل، فمنه خير موعود به لأهل الخير ومنه شر موعود به لأهل الشر، فمعنى " ما " مفصول في الوجود و العلم " ³ .

علم النحو:

و يبرز في درس العطف و التوكيد و عطف البيان و الحال و ضمائر الفصل، و ضمائر الوصل و أنواع الجمل و أدوات الربط، و قد فصل الجرجاني في كيفية حصول الظاهرتين سواء في الكلمة المفردة أو الجملة. وهكذا كان سبيل الباحثين من بعده، يعالجون الظاهرة في شتى أنواعها " واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر إليها و نتعرف حالها. " ⁴

علم القراءات:

لقد وجد عند علماء القراءات منذ البداية مصطلحات و معاني تفيد الوقف و الابتداء و القطع و الوصل إذ القراءة تشترط الدلالة و الدلالة تعني احترام مواضع الوقف و الابتداء. يقول الزركشي (ت 794 هـ) في كتابه البرهان " النوع الرابع و العشرون في معرفة الوقف و الابتداء " و هو فن جميل و به يعرف كيف أداء القرآن و يترتب على ذلك فوائد كثيرة

¹ منير سلطان، الفصل و الوصل في القرآن (دراسة في الأسلوب) منشأة المعارف، ط 02 ، الإسكندرية 1997، ص 14.

² الأنعام ، الآية 134.

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج1، ص 417.

⁴ منير سلطان ، الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، ص 223.

و استنباطات غزيرة و به يتبين معاني الآيات و يؤمن الاحتراز في الوقوع في المشكلات، و قد صنف فيه الزجاج قديما كتاب القطع و الاستئناف و ابن الانباري و ابن عباد و الداني و غيرهم، و قد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يتعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده كما يتعلمون القرآن.¹

إذن لقد استأثر علم القراءات و علم الخط العربي بمصطلح " الوقف و الابتداء " و الوقف و الوصل " و " الفصل و الوصل " و يبدو أن : "هذا ما أخر استقلال مصطلح الفصل و الوصل في البلاغة بمفهومه المتعارف عليه، فالاهتمام بقراءة القرآن و كيفية كتابته أسبق من تدوين المصطلحات البلاغية و المؤلفات البلاغية نفسها، و إلى أن استقرت الحال على مصطلح " الفصل و الوصل " عنوانا على ربط المعاني

و قطعها لأغراض بلاغية....، و مرت مرحلة أسميها مرحلة عدم استقرار المصطلح و السبب في ذلك أن النحويين و المفسرين و البلاغيين كانوا متأرجحين بين الأخذ بالمصطلح النحوي " العطف و تركه "

و الأخذ بمصطلح القراءات " الوصل و القطع " و بين شرح الفكرة بغض البصر عن المصطلح، لأن علم القراءات قد استحوذ على الفصل و الوصل و لأن المضمون كان في أذهان هؤلاء العلماء أهم من المصطلح ".²

و إن ما نعينه بالدراسة في هذا المبحث هو أسلوب العطف في الدراسة النحوية و حروف العطف المؤدية إلى ذلك، إذ أنها من أهم أسباب الربط بين الجمل و الألفاظ في النصوص.

¹ (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 342.

² (منير سلطان، الفصل و الوصل في القرآن الكريم ص 20.

2.1. أسلوب الوصل:

حروف الوصل: "حروف العطف على قسمين : أحدهما ما يشترك بين المعطوف و المعطوف عليه مطلقاً أي لفظاً و حكماً ، و هي (الواو) و (ثم) و (الفاء) و (حتى) و (أو) . و الثاني: ما يشترك لفظاً فقط،¹ دون الحكم و هي (بل) و (لا) و (لكن) أما عدد حروف العطف فقد تباينت آراء النحاة فيها فذهب قوم منهم إلى أنها عشرة حروف و هي الواو، و الفاء، ثم، أو ، لكن ، أم، حتى، إما، لا ، بل²

و ذهب قوم إلى أنها تسعة بإسقاط (إما) منها قال ابن عصفور (669هـ) " إن أما ليست بعاطفة في الحقيقة و إنما ذكرت في الجملة لمصاحبتها لها "³ و منهم من أسقط حتى لجعلها ثمانية فقط. و يرى ابن درستويه (347) أن حروف العطف ثلاثة لا غير، هي: "الواو، الفاء، ثم " قال " لأنها تشترك بين ما بعدها و ما قبلها في معنى الحديث و الإعراب، و ليس كذلك البواقي لأنهن يخرجن ما بعدهن من قصة ما قبلهن "⁴ و قد لاقى هذا الكلام استحساناً لدى الكثيرين إذ أن شرط الصلة بين المعطوف و المعطوف عليه ضروري مفرداً كان أم جملة و لذلك فالواو تجمع بين المعطوفات دون شروط و تخرج الفاء و ثم إلى بعض الدلالات البلاغية نشير إليها خلال التحليل. و من هنا فإننا قصرنا دراستنا في حروف الوصل على " الواو - الفاء - ثم - أو " لأسباب هي : - أنها أكثر الحروف استخداماً.

¹ ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ت. ص 225.

² رضي الدين الاستريازي ، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تح يحيى بشير مصري ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية 1996 ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص 1303، 1304 - ابن جني ، اللمع في العربية، تح سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي، عمان 1988، ص 70.

³ المقرب ، لابن عصفور، تح أحمد عبد الستار الجوّاري و عبد الله الجبوري (د. دار) 1972، ط 01، ج 1، ص 229.

⁴ موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ، دار الطباعة المنيرية القاهرة ، د ت، ج 8، ص 89.

- لسهولة المقارنة مع الكثرة.

- لحصول الاشتراك في المعاني.

- لتحديد عناصر البحث.

- شساعة الموضوع في كتب النحو.

لم ترد حتى عاطفة في القرآن الكريم بأسره. لقول السيوطي "وترد حتى عاطفة، ولا أعلمه في القرآن"¹ ومن المحدثين مصطفى حميدة الذي بحث في الموضوع فقال "تتبع مواضع ورود حتى في القرآن الكريم فلاحظت أنها لم تقع عاطفة في أي موضع من تلك المواضع"².

التحليل:

الواو: يعتبر معظم اللغويين الواو رأس حروف العطف إذ تمثل أساس معنى العطف و جوهرة و هو الجمع، و ليس معناه أنها لا تخرج إلى معاني بلاغية أخرى فقد تدل على الجمع ترتيبيا و تعاقبا أو تراخيا أو على معنى السببية و قد استعملها القرآن الكريم في ألطف صورة روعة و دقة بلاغية. و نختار في ذلك بعض الأمثلة من مدونتنا:

فواتح القصص بحرف الواو.

مثال 1: سورة الأعراف : نوح : " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه "³

قصة هود " و إلى عاد أخاهم هودا " ⁴

¹ السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1974، ج1، ص 228.

² مصطفى حميدة أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان ط1، القاهرة 1999 . ص 187.

³ الأعراف، الآية 59.

⁴ الأعراف، الآية 65.

قصة صالح "و إلى ثمود أخاهم صالحا" ¹

قصة لوط "و لوطا إذ قال لقومه" ²

قصة شعيب "و إلى مدين أخاهم شعيبا" ³

قصة موسى "ثم بعثنا من بعدهم موسى" ⁴

إن من بديع التعبير القرآني استخدام أسلوب السرد ،الذي يجعل السامع يذوب في النص من شدة التفاعل مع وقائع كل قصة دون أن يحسّ بذلك الانتقال من قصة إلى أخرى ، أو دون أن يشعر أنه اكتفى بقصة عن غيرها، فالربط بالواو يعمل على تقوية العلاقة بين القصص ماديا و معنويا. إما من جهة البناء المادي العام للقصة و إما من جهة البناء الفكري و الدلالي. و من اللطائف التي يمكن أن نستقيها من فواتح هذه القصص: أن القصة الأولى لا عطف فيها لكونها الأولى موضعا و زمنا:

موضعا: في سورة الأعراف، إذ لا قصة قبلها تروي الصراع بين الحق والباطل و عناء المكابرين و القصص التي جاءت بعدها هي عطف عليها دلالة على التسلسل الزمني و الفعلي.

زمنا: يعتبر نوح عليه السلام: -أبو البشرية الثاني- أول الأنبياء من لاقى عناد قومه المشركين

و كفاحه الطويل معهم كان الأول في تاريخ البشرية جمعا إذ ما يزال مرجعا و مضربا للمثل على مرّ الزمان.

¹ الأعراف، الآية 73.

² الأعراف، الآية 80

³ الأعراف، الآية 85.

⁴ الأعراف، الآية 103.

أما القصة الأخيرة، قصة موسى عليه السلام فعطفت بالحرف " ثم " الذي يدل على التراخي و كأنك تخلص من سلسلة قصص متزامنة و متعاقبة ،لكي تصل إلى القصة الأخيرة في السورة و التي تخرج شيئاً ما عن سابقتها من حيث الحدث و الطول.

أما إذا ما انتقلنا إلى عملية الموازنة بين سورة الأعراف و هود فإنها ستفضي إلى لطائف أخرى في استخدام حروف العطف و الواو بالتحديد فالسورة الثانية هود توظف حرف الواو في كل القصص من بدايتها إلى نهايتها.

سورة هود عليه السلام قصة نوح " و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه"¹

قصة هود " و إلى عاد أخاهم هودا " ².

قصة صالح " و إلى ثمود أخاهم صالحا " ³.

قصة لوط " و لقد جاءت رسلنا لوطا " ⁴

قصة شعيب " و إلى مدين أخاهم شعيباً"⁵

قصة موسى " و لقد أرسلنا موسى بآياتنا"⁶ .

و في ذلك تفسيرات ذكرها صاحب ملاك التأويل عن القصة الأولى بالخصوص، حيث وردت في سورة هود مسبوقة بواو العطف وانعدم وجودها في سورة الأعراف ،و يعود السبب في ذلك لخاصية دلالية في السورة ترتبط بنظام الإحالة المرجعية لما يناسب النص ككل و يحقق عنصر الانسجام فيه، إذ لم يذكر الرسل من قبل في سورة الأعراف ليعطف عليه القصة و ذكرت رسالة محمد -

¹هود ، الآية 25.

² هود ، الآية 50.

³ هود ، الآية 61.

⁴ هود ، الآية 77.

⁵ هود ، الآية 84.

⁶ هود ، الآية 96.

صلى الله عليه وسلم - قبل قصة نوح عليه السلام فناسب ذلك الذكر العطف في أول قصة نوح و هذا التفسير أشار إليه صاحب ملاك التأويل " إن آية الأعراف لم يتقدمها ذكر إرسال و لا أمر بدعاء الخلق و لا جملة يناسبها عطف إرسال الرسل إلى الأمم و دعاء الخلق إلى الإيمان، إنما تقدم قبلها ذكر أصحاب الأعراف ثم قوله تعالى " إن ربكم الله الذي خلق السماوات و الأرض"¹ إلى قوله " لقوم يشكرون "².

ثم ابتدأت قصص الرسل مع أممهم فقال تعالى: " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه " ³. و تتابع قصصهم. أما آية هود فقد تقدم قبلها ذكر رسالة محمد صلى الله عليه و سلم، و بذلك افتتحت السورة قال تعالى : " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله "⁴ استمر ذكر دعائهم و تحذيرهم من التولي و ما يعقبه إن وقع منهم. ثم ذكر تحديه . عليه السلام . إياهم بالقرآن و طالبهم بمعارضته و الإتيان بعشر سور مثله في البلاغة و على النظم و إن كان ما يأتون به مفترى ليكون أسهل عليهم، و لم يعدل بالآي عن هذا الغرض و ما يرجع إليه إلى ذكر إرسال نوح- عليه السلام- فوردت الآية بذلك منسوقة على تقدمها بواو العطف على أتم مناسبة.⁵

" و لما جاء أمرنا نجينا هودا و الذين آمنوا معه برحمة منا و نجيناهم من عذاب غليظ "⁶ لقد ذكرت النجاة مرتين في الآية الكريمة ، سبقت الثانية بواو العطف ولم تسبق الأولى ،و في ذلك غرض بلاغي أشار إليه العلماء ،إذ أن الواو العاطفة هنا دلت على المغايرة في العذاب الذي

¹ الأعراف، الآية 54.

² الأعراف، الآية 58.

³ الأعراف ، الآية 59.

⁴ هود ، الآية 01.

⁵ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ص 511، 512.

⁶ هود ، الآية 58.

نَجِّينَاهُمْ مِنْهُ، فيذكر الشريف (الرضي) أن العطف يقتضي المغايرة، فالنجاة الأولى من " عذاب الدنيا " و النجاة الثانية " من عذاب الآخرة " فدل على أن النجاة من العذاب الأول غير النجاة من العذاب الآخر، و أن الأول عذاب الدنيا و الثاني عذاب الآخرة لأن العطف بالواو يقتضي بذلك، و إلا كان وجه الكلام " فلما جاء أمرنا نجينا هودا و الذين معه برحمة منا من عذاب غليظ " و لم يكن لقوله تعالى " و نَجِّينَاهُمْ " ثانيا معنى.¹

الفاء: و تأتي الفاء في المرتبة الثانية بعد الواو من حيث الاستخدام و الغرض منها الترتيب أيضا و التعقيب.

أمثلة: قصة نوح- عليه السلام- في سورة هود: " فقال المملأ الذين كفروا من قومه " ²

قصة نوح- عليه السلام- في سورة الأعراف: " قال المملأ من قومه إنا لنراك في ضلال

مبين " ³

من الأساليب القرآنية اقتران الجملة الواقعة موقع الجواب و المصدرة بلفظ القول بحرفي الوصل " الواو " أو " الفاء " فتكون معطوفة على ما قبلها بهما، فتخرج هذه التراكيب -حينئذ- عن كونها منزلة الجواب لأنها لا تكون واقعة موقع الجواب إلا إذا كانت مفصولة عما قبلها، مقطوعة منه و بما أن القصص قيد الدراسة مبنية على أسلوب الحوار ففعل القول فيها كثير و الاقتران بالواو أو بالفاء وارد و لكن دخول الفاء على " فقال - فقالوا " يجعل الكلام مرتبا بعضه على بعض و ليس متولدا، بعضه من بعض كما لو كان بدونها، أما مجيء التراكيب القولية مقترنة بالواو فإنها تؤذن

¹ الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 1955م، ص 163.

² هود ، الآية 27..

³ الأعراف ، الآية 60.

باستقلال الكلام من غير أن يشير إلى ترتيب بعضه على بعض لأن الواو - كما هو معروف - تجمع و لا ترتب و لكن أكثر ما نجد لفظ (قال) مفصولا عما قبله في السياقات القرآنية و إن ورد موصولا.¹

و في المثال ورد نفس القول عن نفس القصة بطريقتين مختلفتين، ففي سورة الأعراف ورد القول دون وصل، أما في سورة هود فالقول ورد بحرف الفاء؛ و علّة ذلك أنه في سورة هود دخلت الفاء لتتناسب ما اقتضاه كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مما رواه الكفار جوابا له فكان بناء الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء، و ليس كذلك في سورة الأعراف لأنهم في جوابهم صاروا كالمبتدئين له بالخطاب غير سالكين طريق الجواب لأنهم قالوا "إن لنراك في ضلال مبين". و قال: "يا قوم ليس بي ضلالة" فكان كلامه كالكلام الذي يبتدئ به الإنسان صاحبه لذلك جاء بغير الفاء.²

و قد أشار صاحب ملاك التأويل إلى هذا الأمر " أن الواقع في سورة هود من قوله تعالى مخبرا عن جواب قوم نوح " ما نراك إلا بشرا مثلنا " إلى آخر كلامهم كلام لا يستقل مبتدأ به مبتدأ بمثل هذا و إنما يتكلم بهذا جوابا و لما قال لهم نوح عليه السلام " يا قوم اعبدوا الله ما لكم ما إله غيره " ³ إلى ما عرفهم به مما وصل منه الإعلام بمقامه النبوي جاوبوه بعد أن تعرف صدقه و معرفة حقه بقولهم. " ما نراك إلا بشرا مثلنا " ⁴ ، أي لو كنت تزعم لكنت من جنس الملائكة و لم تكن من جنس البشر. فلبناء هذا الكلام على ما قبله و تمخض الجوابية فيه ورد بالفاء المقتضية السببية

¹ (شكر محمود عبد الله، الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة ، ط 01، الأردن 2009، ص 165.

² (نفس المرجع ص 166.

³ (هود، الآية 51.

⁴ (هود ، الآية 27.

و المبنية للجوابيةأما قوله في سورة الأعراف " قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين " ¹ فإن هذا وإن تضمن الجوابية فإنه كلام يستأنف و يبتدئ بمثله و لا يفتقر إلى ما يبنى عليه فناسب ذلك وروده بغير الفاء، و حصلت الجوابية من حيث المعنى مع رعي ما يناسب في النظم و نظير هذا في وروده بغير الفاء لما ذكر قوله تعالى في قصة هود -عليه السلام-: " قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة و إنا لنظنك من الكاذبين " ². فتأمل جوابهم هنا لما كان الوارد في قصة نوح عليه السلام في أنه يبتدئ بمثله و لا يفتقر إلى ما يبنى عليه كيف ورد بغير الفاء فهذا يزيدك وضوحا فيما قدمناه و الله سبحانه أعلم. ³

مثال 2:

قال تعالى " و إلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ⁴

قال تعالى " و إلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ⁵.

تشابه الأسلوب القرآني في السورتين بحذف حرف العطف الفاء قبل جملة مقول القول ، بينما نفس العبارة نجدها في سورة العنكبوت مسبوقه بالفاء قال تعالى: " و إلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله " ⁶ فاختصاص آية العنكبوت هنا بالفاء دون آيتي الأعراف وهود له علاقة بالبناء النصي ككل و مدى انسجام جميع وحدات النص مع بعضها البعض دون أن يكون هناك خلل أو توظيف الوحدة لغوية في غير محلها. و قد فسّر صاحب الملاك الأمر بالتعليق، تعلق الحرف بما

¹ الأعراف، الآية 60.

² الأعراف، الآية 66

³ ابن الزبير الغرناطي: ملك التأويل ص 520، ص 521.

⁴ الأعراف، الآية 85.

⁵ هود، الآية 84

⁶ العنكبوت، الآية 36.

سبقه إذ في سورة العنكبوت لم يصرح بالإرسال فكان مقدرا منذ البداية - القصة التي قبلها- إبراهيم و لوط عليهما السلام، فانفردت الآية في سورة العنكبوت بذكر الفاء .

أما آية الأعراف و آية هود فإنه لما ذكر في كل واحدة من هاتين السورتين جماعة من الرسل مبينا أخبارهم على وتيلة واحدة من ذكر الرسل و المرسل إليهم و تكرر ذلك، بُدئ بأول قصة على الاستيفاء فقول: لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ، ثم أوجز بعدها فورد بغير الإفصاح بلفظ الإرسال و بغير الفاء ، و التحم و تناسب لاتحاد المقصد في السورتين، و الله أعلم.¹

إذن تبين من خلال هذا الكلام ، أن الفاء قبل القول لها علاقة بما سبق في النص ككل (السورة) و ليس القصة الواحدة فقط ، و هذا من تمام التماسك و الالتحام النصي.

مثال: "فكذبوه فأنجيناه و الذين معه في الفلك " ²

" فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين"³.

إذ كانت الفاء دالة على الترتيب الذي له علاقة بالعنصر الزمني، فهي تخرج أحيانا إلى وظائف أخرى و منها السببية كما يظهر في الآيتين الواردتين على سبيل عطف جملة على جملة . " تقوم الأدوات خلال وظيفة الربط بتخليص المعاني النحوية ففاء العطف في نحو " قام زيد فعمر " تخلص معاني : التشريك و الترتيب و التعقيد على أن في اللسان العربي ظاهرة ينبغي أن توضع دائما في الحسبان تلك هي ظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.⁴ ففاء العطف بوصفها مبنى من مباني العربية، تؤدي أحيانا معنى وظيفيا آخر بالإضافة إلى المعاني التي تؤديها ذلك

¹ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل ، ص 555،556 .

² الأعراف، الآية 64.

³ الأعراف، الآية 175.

⁴ تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ،دار الثقافة ،د ط ،المغرب 1994 ، ص 163، 164.

المعنى هو السببية، على أن أدائها تلك الدلالة لا يخرجها عن كونها عاطفة نحو " نجح الأبناء فسعد الآباء "

مثال 3: قال تعالى في سورة الأعراف: " قال المأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين " ¹

قال تعالى في سورة هود: " فقال المأ الذين كفروا من قومه " ²

و قد وردت هاتان الآيتان في قصة نوح -عليه السلام- بعد الإبلاغ بخبر إرساله و على لسان قومه وكيف جابهوه لكن الذي يختلف هو ورود القول بالفاء في سورة هود و بدون الفاء في سورة الأعراف .

عطف قول المأ من قومه بالفاء على فعل " أرسلنا للإشارة إلى أنهم بادروه بالتكذيب و المجادلة الباطلة لما قال لهم " إني لكم نذير مبين " إلى آخره و لم تقع حكاية ابتداء محاورتهم إياه ب (قال) مجردا عن الفاء كما وقع في الأعراف لأن ابتداء محاورته إياهم هنا (سورة هود) لم يقع بلفظ القول فلم يحك جوابهم بطريقة المحاورات بخلاف آية الأعراف. ³

مثال 4:

قال تعالى " فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه " ⁴.

قال تعالى " و يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و من هو كذاب " ⁵

¹ (الأعراف آية 60).

² (هود ، الآية 27).

³ (محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، مج5 ج12، ص 45).

⁴ (هود، الآية 39).

⁵ (هود، الآية 93).

و في الآية الأولى دخلت الفاء على جملة سوف تعلمون أما الثانية فلم تدخل عليها الفاء و هذا فيما فسرهُ العلماء بالوصل التقديري الذي يكون بدون الفاء، و هذا الذي عرض له الزمخشري في الكشف في شرحه للآيات¹

فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء و نزعها في (سوف تعلمون) قلت إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصول، و نزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا عملت أنت ؟ فقال: " سوف تعلمون " فوصل تارة بالفاء و تارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، و أقوى الوصلين

و أبلغهما الاستئناف و هو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.

ما بين الفاء و الواو:

إذا كانت للفاء دلالتها و للواو دلالتها التي تخرج إليها أيضا، فلماذا نجد نفس التعابير في القرآن الكريم و في نفس القصص تارة بالفاء و تارة أخرى بالواو؟

و من تلك الأمثلة ما يلي:

1. " و لما جاء أمرنا نجينا هودا و الذين امنوا معه برحمة منا "²

2. " و لما جاء أمرنا نجينا شعيبا و الذين امنوا معه برحمة منا " ³

3. " فلما جاء أمرنا نجينا صالحا و الذين امنوا معه برحمة منا " ⁴

¹ (الزمخشري، الكشف، ج2، ص 424.

² هود، الآية 58.

³ هود ، الآية 94.

⁴ هود، الآية 65.

4. " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها " ¹

و هنا جيء بالفاء في موضع يستدعي التعقيب (قصة صالح و لوط عليهما السلام)، و أما الواو في موضع لا يستدعي التعقيب بل التنسيق بين أجزاء النص.

"إن آيتي صالح و لوط ورد فيها ما يقتضي معناه أن يربط بالفاء المقتضية التعقيب، أما قصة صالح منها فتقدمها قوله تعالى " فعفروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام " ². فكأن قد قيل ظلما انقضت، فالموضع للفاء لمقصود التعقيب و مثل هذا من غير فرق قوله تعالى في قصة لوط عليه السلام " إن موعدهم الصبح " ³ ، و لاشك أن المعنى يستدعي تقدير فلما أصبح تحقيقا لصدق الوعيد، و إعقابا لا يتحصل بغير الفاء فهذا يوجب خصوص الفاء بهذين الموضعين، و أما قصة هود عليه السلام، فلم يرد فيها ما يستدعي تعقيبا بل قبلها ما يقتضي أن ينسق ما بعده عليه بواو العطف، و ذلك قوله تعالى مخبرا عن قوم هود. "و يستخلف ربي قوما غيركم و لا تضرونه شيئا" ⁴. ثم قال و لما جاء أمرنا " ⁵ فعطف هذه الجمل بعضها على بعض بما يعطي ذلك و يناسب العطف بالواو و على هذا وردت آية شعيب عليه السلام فورد قبلها و يا قوم اعملوا على مكانتكم" ⁶ مكانتكم" ⁶

ثم بعد ذلك " و ارتقبوني إني معكم رقيب " ⁷ و ليس هذا ما يقتضي تعقيبا بل بابه حمل الآي

بعضها على بعض بحرف التشريك، فجاء كل على ما يناسب، و الله أعلم. ¹

¹ (هود، الآية 82.

² (هود، الآية 65.

³ (هود، الآية 81.

⁴ (هود ، الآية 57

⁵ (هود ، الآية 57.

⁶ (هود، الآية 93.

⁷ (هود، الآية 93.

مثال 4:

قال تعالى "فأنجيناه و الذين معه برحمة منا و قطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا و ما كانوا مؤمنين"²
 قال تعالى: " و لما جاء أمرنا نجينا هودا و الذين آمنوا معه "³

إن نجاة هود عليه السلام من العذاب الحاصل على قومه ورد في سورة الأعراف مسبقا بالفاء أما في سورة هود فلم يحصل العطف بالفاء ، هذا و الله أعلم لأن الفاء دلت على وقوع العذاب بعد حين أما في السورة الثانية فدلّت الأداة "لَمَّا" المسبوقه بالواو على العذاب الذي يأتي فيما بعد و هي أداة استغراق و الاستغراق في اللغة يعبر عن مدة زمنية معينة.

ثم: في مذهب سيبويه و جمهور البصريين أن " ثم " تدل على التشريك مع الترتيب و التراخي في الزمان قال سيبويه " و من ذلك يقصد باب ما أشرك بين الاسمين " مررت برجل ثم بامرأة ، فالمرور هنا مروران و جعلت ثم الأول مبدوءاً به و أشركت بينها في الجر".⁴

قال المبرد " و ثم مثل الفاء إلا أنها أشد تراخيا، تقول ضربت زيدا ثم عمرا و أتيت البيت ثم المسجد".⁵ و تتفق " ثم " في معانيها مع باقي حروف العطف في الربط بل و تزيد في ذلك الترتيب مع التراخي و تخرج إلى دلالات أخرى يحددها السياق.

" إن دراسة الدلالة الزمنية في تراكيب العطف و " ثم " ينبغي أن تكون في ضوء مطالب السياق

¹ ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل ،ص 657، 658.

² الأعراف آية 72.

³ هود ،الآية 58.

⁴ سيبويه ، الكتاب ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط 03، القاهرة 1988 ، ج 1 ص438.

⁵ المبرد، المقتضب ج1، ص 10.

و من خلال الجهة التي تقوم بوظيفة التخصص الزمني متمثلة في القرائن المكانية و الحالية المتاحة في السياق.¹ و قد أورد العلماء و الباحثون شرحا لاستعمال " ثم " في القرآن الكريم و قيل أنها وردت (ثلاثمائة وثمانية وثلاثون 338 مرة). و لم ترد في أي موضع منها عاطفة اسما مفردا على اسم مفرد و إنما جاءت في معظم تلك المواضع (ثلاثمائة وسبعة عشر 317 موضع) عاطفة للجملة و باستقراء مواضع ورود ثم في القرآن الكريم يلحظ أنها جاءت في معظم تلك المواضع دالة على الترتيب و التراخي في الزمان.

أمثلة:

— "وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"²

— "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ

مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"³

— "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ"⁴

التحليل: مثال 1:

قال تعالى: " و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون "⁵

¹ مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط1، القاهرة 1990، ص 155.

² النساء، الآية 112

³ الأنعام، الآية 54

⁴ التوبة، الآية 6.

⁵ هود، الآية 113.

الغرض البلاغي الذي دلت عليه " ثم " هو الاستبعاد ذلك أن نصرته الله مستبعدة مع عدم استجابة الظالمين و حصول العذاب.

مثال 2:

"و يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا و يزدكم قوة إلى قوتكم و لا تتولوا مجرمين"¹

قال تعالى " فاستغفروه ثم توبوا إليه "²

قال تعالى " و استغفروا ربكم ثم توبوا إليه "³

إن التوبة يجب أن تكون تحصيل حاصل بعد الاستغفار و يصلح أن يحدث العكس.

قال الزمخشري: " معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، أو استغفروا و الاستغفار توبة، ثم أخلصوا التوبة، و استقيموا عليها ".⁴

و في هذا الأمر تدرج و ارتقاء في الفعل و تؤدي " ثم " هنا دلالة التفاوت في المرتبة.

" فإن بين توبة العبد، و هي انقطاع العبد إليه بالكلية و بين طلب المغفرة بونا بعيدا ".⁵

مثال 2:

قال الله تعالى: "ثم لأصلبكم أجمةين"⁶.

قال الله تعالى: " و لأصلبكم "¹

⁽¹⁾ هود، الآية 52.

⁽²⁾ هود، الآية 61.

⁽³⁾ هود، الآية 90.

⁽⁴⁾ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 258.

⁽⁵⁾ محمد بن الحسن الاسترياذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح يحيى بشير مصري، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية 1996، قسم 02 مج1، ص1316.

⁽⁶⁾ الأعراف، آية 124.

إن هذا المعنى عبّرت عنه سورة الشعراء و سورة طه بحرف العطف " الواو " و في ذلك دلالة ترتبط بما سبق من الحدث و الشرح في الآيات السالفة.

"أن ثم للتباين و التراخي في الزمان، و يعبر عنه النحويين عن ذلك بالمعنى، و تكون للتباين في الصفات و الأحكام و غير ذلك مما يحمل به ما بعدها على ما قبلها من غير قصد مهلة زمنية بل ليعلم موقع ما يعطف بها و حاله، و أنه لو انفرد لكان كافيا فيما قصد به.²

و قد قصد بهذا التراخي في الزمن تعظيم الحال و تحريكه في النفوس، و مما تقدم في الأعراف تهويل الواقع من فعل السحرة و موقعه في نفوس الحاضرين، و لذلك أنس سبحانه نبيه موسى عليه السلام بقوله " لا تخف إنك أنت الأعلى " ³

و وقع التعبير عما ذكرنا بقوله " و استرهبوهم و جاؤوا بسحر عظيم " ⁴. فناسبه رعيًا لفظاً و تقابلاً نظميًا تهويل ما توعدهم به فرعون، فعطف بـ ثم لتحرز ما قصد فرعون من تعظيم موقع ما توعدهم به ثانياً في قوله " و لأصلبّنكم " عليهم، و أيضا فإن فرعون و ملأه حين رأوا ما جاءت به السحرة و وقع منهم موقعا أطمعهم و تعلق به رجاءهم، ثم لما وقع ما أبطله و أوضح كيدهم فيه و باطلهم الخيالي وجد الملأ لذلك و استشعر فرعون ما حل به و بملاّه، فهول في توعدهم و مقاله تجلدا تصبرا أو تعزية لنفسه عما نزل به، فأرعد و أبرق في تهويله ما توعد به السحرة، فقال " ثم لأصلبّنكم " .

¹ الشعراء، الآية 49/ طه، الآية 71.

² ملاك التأويل، ص 574.

³ طه، الآية 68.

⁴ الأعراف، الآية 116.

فقد تتناسب المتقابلان لفظاً و معنى، و لما ضم الواقع في سورة الشعراء لم يحتج إلى هذا الرعي فعطف بالواو و لم يكن على ما تقرر ليتمكن العكس، و الله أعلم.¹

الفاء و ثم:

و يحصل أن يلتقي في الآية الواحدة حرفان من حروف العطف، و لهذا دلالة قرآنية أشار إليها العلماء حيث أنه يتقدم و يتأخر الواحد منها لأسباب دلالية، فمثلاً وجدنا الفاء و ثم مجتمعتان في بعض آيات سورة هود و بعض آيات سورة الأعراف أحياناً ، ومتاوبتان في الظهور أحياناً أخرى، والسياق وحده كفيلاً بإبراز تلك الفروقات "إن الصوت لا يتحدد معناه كوحدة مستقلة إلا من خلال أثر السياق الوارد في بيان الدلالة وكل صوت في القرآن استعمل في الموضع الذي يناسبه، ولا يمكن الفصل بينه وبين السياق، إنما هما أمران متلازمان"²

سورة هود:

" فكيّدوني جميعاً ثم لا تنظرون " ³.

سورة الأعراف:

" ثم كيّدون جميعاً ثم لا تنظرون " ⁴

¹ (ملاك التأويل، ص 575، 576).

² (حسام محمد عزمي العفوري، جمالية الدلالة الإيحائية في معنى العطف "الفاء و ثم" في آيات خلق الإنسان نموذجاً، مجلة الصوتيات، مخبر الصوتيات العربية الحديثة، جامعة سعد دحلب البليدة 2008، العدد 04، ص 130).

³ (هود، الآية 55).

⁴ (الأعراف، الآية 195).

" و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ¹."

" ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة... فأخذناهم بغتة " ²

" ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون و ملأه فظلموا بها " ³

و عن سر تقديم الفاء عن ثم في سورة هود و تأخيرها في سورة الأعراف قال فاضل السامرائي أن " هذا أغرب شيء و أعجبه " ⁴ و لعل للأمر علاقة بما سبق و الله أعلم، فهو من قبيل رسم خط التناسق و الانسجام في النص لتتناسب فيه المعاني منسجمة مع الألفاظ و يمكن توضيح المعاني الفرقية المؤدية إلى اختلاف توظيف الحرف كما يلي:

سورة الأعراف	سورة هود
◆ المعنى مرتبط بحياة البشرية ككل. ◆ الصراع بين الحق و الباطل على مر العصور ◆ العقاب و التعجيز لجميع من كفر من البشر	◆ المعنى مرتبط بقصة نوح عليه السلام ◆ الصراع بين الحق و الباطل في قصة نوح عليه السلام فقط ◆ العقاب و التعجيز لقوم نوح عليه السلام.

و من هذه المعاني فإن عمر نوح عليه السلام و صراعه مع قومه مهما طال فهو وجيز بالنسبة لعمر البشرية جمعاء، من أجل ذلك فالفاء في سورة هود للترتيب و التعقيب القريب و حرف العطف ثم في بداية آية الأعراف للترتيب مع التراخي دلالة على ما هو أبعد و بعده التعقيب المباشر الذي يدل على التعجيز الذي لا يستدعي انتظار (نهاية البشرية).

¹ الأعراف، الآية 11.

² الأعراف، الآية 95.

³ الأعراف، الآية 103.

⁴ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 244.

أو: و هو حرف ربط و وصل الغرض منه التخيير.

أمثلة: ورد الحرف (أو) بمعنى العطف و التخيير في مدونتنا في مواضع محدودة و معينة ففي

سورة هود نجدها في الآيات : آ 80 / آ 87 / آ 89 سورة الأعراف : نجدها في الآيات : آ 88 / آ

164 / آ 173 / آ 176.

و بهذا يمكن تقسيم توظيف الحرف " أو " في المدونة إلى ثلاثة أقسام حسب القصص الواردة فيها.

(1) قصة لوط عليه السلام:

" قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد "¹

و هو جواب يائس بعد الجهد الذي بذله فيهم و لم يعودوا عن غيهم فتمنى لوط - عليه السلام -

لو: أن له قوة عليهم أو يأوي إلى موضع قوي يحميه منهم و هو دلالة على نهاية الأمر فيهم.

(2) قصة شعيب عليه السلام:

و قد تراوحت الآيات ما بين السورتين كما يلي:

سورة هود:

قال تعالى " قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما

نشاء إنك الحليم الرشيد "².

قال تعالى: " و يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم

صالح و ما قوم لوط منكم ببعيد "³.

سورة الأعراف:

¹ (هود ، الآية 80.

² (هود ، الآية 87.

³ (هود ، الآية 89.

قال تعالى " لنخرجنك يا شعيب و الذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملّتنا "...¹.

إن ورود الحرف " أو " في قصة شعيب - عليه السلام - في أسلوب الحوار المتبادل على أساس الجدل ما بين نبي الله - عليه السلام - و بين القوم الضالين فهم يتساءلون أولاً و باستهزاء عن هذا الذي يخيّرهم ما بين اتباع الدين الجديد و بين ترك دين آبائهم، و طريقة تجارتهم فذلك مستحيل في نظرهم و البون واسع.

ثم يأتي التوعد من الطرفين إن لم يتبع الآخر - شعيب عليه السلام - يحذرهم من مغبة الهلاك مثلما هلك أقوام قبلهم، و هم يتوعدونه بإخراجه من القرية إن لم يعد فيما جاء به - فشتان بين وعيده و وعيدهم.

(3) قصة موسى عليه السلام:

قال تعالى " و إذ قالت أمة منهم لم تعضون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا "...²

قال تعالى " أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل

و كنا ذرية من بعدهم "³

قال تعالى " فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث "⁴

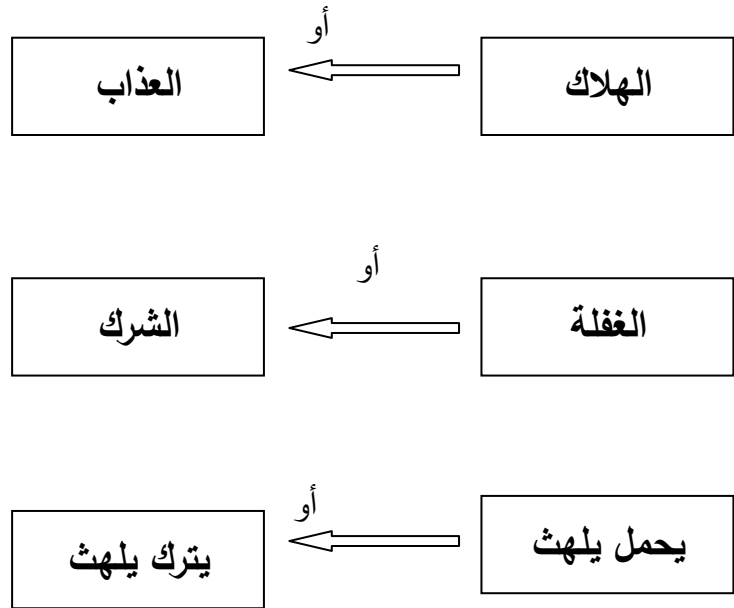
نلاحظ في هذه الآيات أن أسلوب العطف بالتخيير قد ربط بين معنيين متحدين في المعنى و النتيجة إذ الأمر سيان في الحالتين، و هذا يدلّ دلالة قاطعة على أن الأمر في الأخير قد انتهى إلى ما أراده الله عز وجل و لا مفرّ منه إلى حل آخر.

¹ (الأعراف، الآية 88).

² (الأعراف، الآية 164).

³ (الأعراف، آية 172، 173).

⁴ (الأعراف، الآية 176).



و هذا المعنى ينطبق على المواضع الأخرى التي ذكرت فيها " أو " .

3.1. أسلوب الفصل: إذا كان في اللغة العربية ما يوجب الوصل بين الجمل و المفردات لأغراض

لغوية و بلاغية، فإن فيها من الأسباب المؤدية إلى الفصل حين يعترض الجمل التي تترادف و

تجيء بعضها إثر بعض حالات توجب ترك العطف بينها و قد حددها أصحاب البلاغة في خمسة

مواضع تطرقوا إليها بالشرح و التفصيل و التمثيل من الشعر أو من القرآن الكريم،

و الحديث الشريف، و هي:

• كمال الاتصال

- كمال الانقطاع
- شبه كمال الاتصال
- شبه كمال الانقطاع
- التوسط بين الكمالين مع عدم المانع من الوصل و سنعرض لبعض هذه الأنواع الموجودة في المدونة بالشرح و التمثيل:

مثال 1:

قال تعالى " قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح "¹

و تقع هذه الآية في باب شبه كمال الاتصال. و الفصل وقع في الجملة الثانية " إنه عمل غير صالح " التي فصلت عن الجملة الأولى: " إنه ليس من أهلك " ، لأن الجملة الثانية وقعت جوابا لسؤال أشارته الجملة الأولى " و هو كيف لا يكون من أهلي و هو ابني ؟ فكان الجواب عن ذلك: إنه عمل غير صالح فالجملة الثانية مرتبطة بالأولى ارتباطاً وثيقاً كما يربط الجواب بالسؤال و لهذا ترك العطف لأن الجواب لا يعطف على السؤال.² و يشرح السكاكي (626هـ) شبه كمال الاتصال بقوله " يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فتتزل ذلك منزلة الواقع و يطلب بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام السابق لذلك و تنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة إما لتبنيه السامع على موقعه بكلامه أو لإغناؤه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ و هو تقدير السؤال أو ترك

¹ (هود، الآية 46).

(2) عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، ط 3، دار المعارف، القاهرة 1978، ص 333.

العاطف...¹ و يراد بشبه كمال الاتصال أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال مقدر اقتضته الجملة الأولى أوفهم منها ودلت عليه بالفحوى ومعونة القرائن وسياق الأحوال وفي هذه الحالة تفصل الجملة الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال اكتفاء بما بينهما من الربط المعنوي، و يسمى الفصل لذلك استئنافا²

مثال 2: قال الله تعالى: " و لا تخاطبني في الذين ظلموا إنيهم مغرقون".³

أي لا تدع في شأن قومك و استدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إنيهم مغرقون إنيهم محكوم عليهم بالإغراق و قد وجب ذلك و قضي به القضاء و جف القلم، فلا سبيل إلى كفه.⁴ و تقع هذه الآية في باب شبه كمال الاتصال و المسمى بالاستئناف أيضا، و الاستئناف كما يقول العلماء أقوى من الوصل أو هو وصل بغير عطف " لأن الفصل بالاستئناف وصل تقديري خفي و دقيق ".⁵

و في هذه الآية "وصل تقديري" بغير حروف العطف ، و كان الحرف "إن" يقوم مقام حروف العطف.

و يرى عبد القاهر الجرجاني أن ربط الجمل بعضها ببعض بـ (أنّ) أمر عجيب و أنها تغنى غناء الفاء العاطفة في ربط الجملة لما قبلها.⁶

إذن الوصل بـ " أن " بلاغة قرآنية رائعة إذ الفائدة منه إثارة انتباه المتلقي و ربط العلاقة الوثيقة بينه و بين أجزاء الكلام.

¹ السكاكي، مفتاح العلوم ، ط الميمنية ، ص 110.

² شكر محمود عبد الله ، الفصل و الوصل في القرآن الكريم، ص 118.

³ هود ، الآية 37.

⁴ الزمخشري ، الكشاف، ص 371، 372.

⁵ شكر محمود عبد الله، الفصل و الوصل في القرآن الكريم ص 127. و هو ينقل عن عبد الهادي خضير

نيشان، النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع للهجرة ، ص 201، جامعة بغداد 1989.

⁶ الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 211.

" و هكذا فإن التراكيب القرآنية المقطوعة و المستأنفة ب (أن) تتطوي على أسرار بلاغية و نكت بيانية إذا ما تابعنا أحوالها فسندرك منها لطيفا و مسلكا رائعا في التعبير الفني و التركيب المتقن الذي يضمن تلاقي أطرافه عند مقاطعة التي يستأنف عندها بالواو أو بدونها، و في هذا زيادة على الملائمة بين مضامين الكلام".¹ و يقصد بذلك أن هناك توافق بين أجزاء الكلام و ربط متقن تقن في اختيار الحرف المناسب الذي يجعلنا نحس بعذوبة العبارة و سلاسة الأسلوب.

مثال 3:

قال تعالى " قالوا سلاما قال سلام"²

و قد وردت الآية في قصة إبراهيم عليه السلام و حوار مع ضيوفه و كأن القول كان جوابا لسؤال مفاده: ماذا قال إبراهيم (عليه السلام) فقيل: قال: سلام، و واضح من السؤال أنه على شيء عام غير سبب. و هو نوع من أنواع الاستئناف وشبه كمال الاتصال، إذ منه السبب العام للحكم و السبب الخاص للحكم و غير السببين العام و الخاص و تندرج هذه الآية في النوع الثالث منه أي ليس هناك حكم أو سبب للجواب .

¹شكر محمود عبد الله ، الفصل و الوصل في القرآن الكريم ص 168 - 169.

² (هود ، الآية 69).

2. من الأساليب المستخدمة:

1.2. أسلوب النداء:

النداء ظاهرة لغوية غريزية في الإنسان و الحيوان وجدت مع الإنسان منذ عصوره الأولى، حيث لم تتطور آليات اللغة، حينها وجد النداء بشتى الأشكال و الصور " الصراخ المطلق، أصوات معينة، إشارة، إيماء... الخ) و هذا من أجل تلبية الحاجات المختلفة.

و مع مرور الزمن و بفضل التطور اللغوي، اكتسب النداء دلالات بلاغية و جمالية، تألق الإنسان و تفنن في كيفية مخاطبة المنادي في شتى الحالات النفسية، الغزل، المدح، الرثاء، الهجاء... الخ، و بخاصة في اللغة العربية أين وجد العربي نفسه في ببداء و صحراء واسعة كل المجال له لاستخدام صور النداء المتنوعة." إن العربية ظلّت متمسكة بالأصل الدلالي الذي وضع له النداء و كانت ترتقي في الوقت نفسه مع الدلالة المجازية لتكتسب على الدوام رقيا فكريا و نفسيا و اجتماعيا".¹

" ليس من شك أن أسلوب النداء شيء من لوازم العربية الأصلية و هو ألصق ما يكون بالأدب العاطفي تقرأه في الرثاء و في النسيب و مواطن أخرى ".²

¹ (حسين جمعة، جمالية الخبر و الإنشاء، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005، ص 177.

² (إبراهيم السامرائي ، من أساليب القرآن، ص 43.

2.1.2. التعريف اللغوي: و أما عن مفهوم النداء عند قدماء اللغويين فهو كآلاتي : سيبويه: "

إعلم أن النداء هو كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره و المفرد رفع و هو في موضع اسم منصوب ¹.

السيوطي: " و هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو و يصحب في الأكثر الأمر و النهي، والغالب تقدمه نحو " يا أيها الناس اعبدوا ربكم " ² " يا عباد فاتقون " ³ ⁴.

2.1.2. حروف النداء:

و للنداء في العربية حروف مختلفة منها ما يستعمل في نداء القريب و البعيد معان و منها ما يكون للقريب وحده و منها ما يكون للبعيد وحده ، و قد يستعمل ما للبعيد للقريب و العكس لدوافع و أغراض بلاغية و هذه الحروف تارة يكون حذفها ممتعا و تارة يجوز حذفها بكثرة أو بقلّة.

و حروف النداء ثمانية (أ- أي - آ- آي- يا- هيا- أيا- وا).

و أكثر ما يصحب بالأمر و النهي، و إن ورد معه استفهام أو خبر.

و قد عدها بعض النحاة كسيبويه و الزمخشري و ابن يعيش ستة فقط بإسقاط (آ) و (آي).

و لا نريد في هذا البحث التعرض لكل أقسام النداء و فصوله على النحو الذي عرض له النحويون من البناء و الإعراب و أحوال المنادي علما و نكرة مقصودة و غير مقصودة، و مضافا و شبيها بالمضاف وجميع أحرف النداء، و ما هي الحالات التي وردت فيه مع العلم و هو كثير.

¹ (سيبويه ، الكتاب، تح عبد السلام هارون ، ط 1، ج2، ص 182.

² (البقرة ، الآية 21.

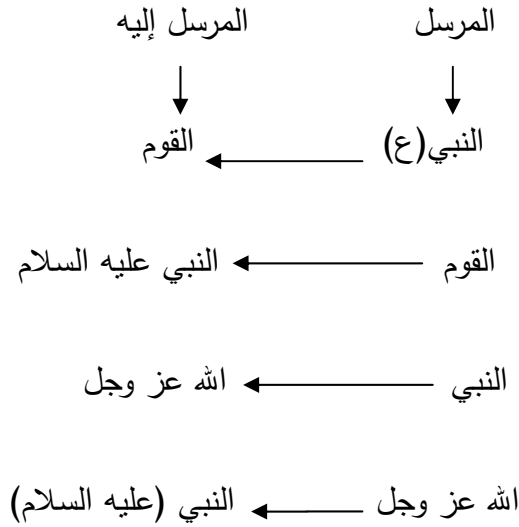
³ (الحجرات ، الآية 01.

⁴ (السيوطي ، معترك الأقران، تح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط 01 ، بيروت لبنان

و لأننا نقتصر على مدونة معلومة سنركز فيها على الاستخدامات الدلالية و البلاغية لهذا الأسلوب ، مع إجراء بعض المقابلات دلت بين السورتين - إن أمكن ذلك - و نشير هنا أن مجمع العلماء يتفقون على أن " يا " هي الحرف الوحيد المستعمل في القرآن بغرض النداء إلا ما كان - أحيانا - من أثر بعض التأويلات التفسيرية للهمزة فمنهم من يجعلها للنداء و منهم من يرفض ذلك. إضافة إلى ذلك فقد نجد النداء في القرآن الكريم بغير حروفه ، إذ هو دعاء و فيه التماس ممن هو أسفل إلى من هو أعلى . جل شأنه . ، في حاجة من الحوائج.

" رب أرني كيف تحيي الموتى " ¹. " رب السجن أحب إلي " ².

و في المدونة التي بين أيدينا أسلوب حوار مكثف بين مستويات مختلفة:



و قد توفر الحوار على أساليب نداء كثيرة أغلبها بحرف النداء " يا " أو بدونه ما عدا قصة لوط في سورة الأعراف و قصة موسى عليه السلام في سورة هود فلم يرد فيهما أي نداء.

و يمكن اختصار صور النداء الواردة كما يلي:

¹البقرة، الآية 260.

²يوسف، الآية 33.

. يا قوم: نداء صدر من طرف كل الأنبياء إلى أقوامهم ما عدا قصة لوط - كما سبق - في سورة الأعراف و قصة موسى عليه السلام في سورة هود.

. نداء النبي باسمه:

سورة الأعراف: يا صالح - يا شعيب - يا موسى.

سورة هود: يا نوح - يا هود - يا صالح - يا إبراهيم - يا لوط - يا شعيب.

. نداء العاقل من غير الأنبياء:

يا بني: قصة نوح عليه السلام في سورة هود.

يا فرعون: آية مائة وأربعة 104 سورة الأعراف (قصة موسى).

. نداء غير العاقل:

يا أرض - يا سماء (آية 44 الرابعة والأربعين من سورة هود).

يا ويلتي (آية 72 الثانية والسبعين من سورة هود).

حذف حرف النداء:

. اسم الجلالة: (ربّ) موسى - عليه السلام - في سورة الأعراف / قصة نوح - عليه السلام - في سورة هود.

. للعاقل: " ابن أمّ " آية 150 مائة وخمسون سورة الأعراف، وهي على لسان هارون في حوار مع أخيه موسى -عليهما السلام -.

التحليل:

قصة نوح عليه السلام ورد نداء من النبي إلى قومه في سورة الأعراف " يا قوم " ¹ عند بداية

الحوار و بالمقابل فهو غير موجود في سورة هود عند بداية الحديث فقد بدأ مباشرة بـ " إني لكم نذير " ²، و عن سبب ذلك يقول صاحب ملاك التأويل أن النداء في سورة الأعراف جرى على الصيغة المعروفة و هو لا يستدعي التساؤل إنما يقع السؤال في سبب سقوط النداء في سورة هود. و وجهه أن ذلك جار مع ما افتتحت به السورة من قوله على لسان نبينا -عليه الصلاة و السلام- " ألا تعبدوا إلا الله " ³ فدعاهم إلى عبادة الله و أن يفردوه بها، و لم ينادهم لأن ذلك لم يكن ليلائهم مطلع السورة إذ لم يجر ذكره عليه السلام منطوقا به فينزل عليه نداؤهم بل قيل له " الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " ⁴ ثم اتبع هذا بأمرهم مبتدئا بحرف العبارة و التفسير و هو أن الحرف الواقع بعد ما يبنى و يحصل منه معنى القول وليس بصريح قول ولا مرادف إلا أنه يفهمه كقوله تعالى : " و انطلق الملاء منهم أن امشوا " ⁵.

فأن " الواقعة حرف عبارة و تفسير المقدرة بأي إنما تأتي بعدما ما يهم القول، فكما يقع بعدها ما يدل على تقدير القول و ليس بقول كذلك يقع بعدما لا يلتئم معه ذكر القول و يكون مع ذلك مغنيا عنه، و منه مطلع هذه السورة بعد التنبيه بالحروف المقطعة فقول:

" كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله " ⁶ كما قيل في آية ص " أن امشوا و اصبروا " ، فليس موضع صريح القول الذي يقصد به الحكاية ، ورد دون صريح القول ،

¹ الأعراف، الآية 59.

² هود ، الآية 25.

³ هود، الآية 02.

⁴ هود، الآية 01.

⁵ ص، الآية 06.

⁶ هود، الآية 01.

ثم وردت قصة نوح- عليه السلام- على هذا المنهج للمناسبة، ثم جيء بقصة هود و صالح -
عليهما السلام - بعد هذا مفتتحين بالقول على ما يجب و الله أعلم.¹

و من هذا القول نفهم بأن الكلام جرى مجرى التناسق على ما سبق إذ ورد القول على لسان نبينا -
صلى الله عليه وسلم - في بداية السورة أي في الآية " أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ
".² و جاء الحديث على لسان نوح عليه السلام بنفس الصيغة و الصورة.

" إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ " .³

دون أن يحصل نداء دلالة على وحدة الرسالة السماوية مع جميع الأنبياء دون أن يحصل النداء و
هي (التوحيد) مع العلم أن الأداة " أن " المستخدمة في قصة نوح عليه السلام تأتي بعد أن يكون
الكلام قد عبّر عنه و صرّح به من قبل و فهم معناه و لهذا تسمى بحرف العبارة و التفسير .

" و يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا " .⁴

قد ورد في هذا المقام تكرار لأسلوب النداء و الصيغة " يَا قَوْمِ " لكن هنا أضيفت الواو العاطفة
و زاد في الآية الموالية النداء المسبوق ب واو العطف " و يَا قَوْمِ " .

و في هذا تأكيد لما في الخطاب و جعله بؤرة الحديث و أما العطف مع النداء فيرجع بعض العلماء
ذلك إلى مغايرة المنادي عندما تغير أسلوب النبي مع القوم إلى الحديث عن الأجر و المال

و الغالب أن العطف و تكرار النداء ورد للتنبيه و التأكيد يقول صاحب التحرير و التنوير " ...

فتعين هنا أن يكون العطف من مقول نوح عليه السلام لا من حكاية الله عنه، ثم يجوز أن يكون

¹ (ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل ص 516، 517.

² (هود، الآية 02.

³ (هود، الآية 25، 26.

⁴ (هود، الآية 29.

تتبيها على اتصال النداءات بعضها ببعض، و أن أحدهما لا يغني عن الآخر و لا يكون ذلك من قبيل الوصل لأن النداء افتتاح كلام فجملته ابتدائية و عطفها إذا عطف مجرد عطف لفظي، و يجوز أن يكون ذلك تفننا عربيا في الكلام عند تكرار النداء استحسانا للمخالفة بين التأكيد و المؤكد، و يجيء نظير هذا قريبا في قصة هود عليه السلام و قصة شعيب عليه السلام.¹

و نادى نوح ابنه و كان في معزل، " يا بني اركب معنا " .²

و أسلوب النداء هنا واضح و صريح إذ يعبر عنه الفعل نادى أولا ثم العبارة " يا بني " و فيه دلالة نفسيه قوية بما في جوف النبي عليه السلام من حرقة و أسى على مصير فلذة كبده إلى آخر لحظة قبل إقلاع السفينة إذ ركب نوح - عليه السلام و من معه " اركب معنا " و لم يبق إلا من كفر، و للركوب هنا دلالة الإيمان و التسليم و التصديق بالرسالة، كما أن " يا بني " كعبارة فيها تصغير و شفقة (يجعله كالصغير في كونه محل الرحمة و الشفقة).³

و ما زاد المشهد عاطفية و أسى النداء الثاني الموجه لرب العزة " و نادى نوح ربه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي " .⁴ هذه المرة يحذف حرف النداء في جملة مقول القول " رب " فالله عز وجل أقرب قريب و سامع مجيب فلا حواجز بين العبد و ربه، ثم يأتي نداء يصدر هذه المرة من مصدر آخر أعلى ليقرّ كلمة الفصل في موضوع الابن، قال تعالى " قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم " .⁵

⁽¹⁾ محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير و التتوير، مج 05، ص 54.

⁽²⁾ هود، الآية 42.

⁽³⁾ ابن عاشور، التحرير و التتوير ، مج 05، ص 76.

⁽⁴⁾ هود، الآية 45.

⁽⁵⁾ هود، الآية 46.

و قيل " يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي".¹

قيل أنها نداء على سبيل المجاز نداء لغير العاقل، و يقول أصحاب اللغة بأنه لا ينادى إلا العاقل المميز الذي تتأتى إجابته و يتحقق إقباله أما غيره فلداغ بلاغي، إلا أن لبعض السلف رأياً تستريح إليه النفس و هو أن النداء في الآيات على وجه الحقيقة لا المجاز إذ من الممكن أن يكون الله جلت قدرته قد خلق لهذه المناديات حال الخطاب تمييزاً، فلم يقع النداء إلا لمميز.²

فالأرض و السماء وردتا نكرة إلا أن النداء عرّفهما فهي مقصودة بعينها و لذاتها.

" أي ما كان نكرة قبل النداء و عرض له التعريف بالنداء بسبب قصده بعينه و هو ما يسمى بالنكرة المقصودة"³

" قال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين "⁴

النداء موجه إلى رأس الكفر و رأس القوم على عكس النداء الموجه " يا قوم " من قبل لأن فرعون قال للناس اعبدوني " أنا ربكم الأعلى ". وإضعاف مكانته التي يدعيها يوضحها هذا الأسلوب الذي يقابل بين اسم العبد الذليل الحقير " فرعون " ومن هو أعظم (رب العالمين) يعني تغيير وجهة العبادة من الشخص الواحد من البشر إلى عبادة رب البشر.

" قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني "⁵

هو نداء محذوف الأداة دلّ دلالة قوية على صلة القرابة الحاصلة بين الأخوين. منادى بحذف حرف النداء، و النداء بهذا الوصف للترقيق و الاستشفاع و حذف حرف النداء لإظهار ما صاحب

¹ (هود ، الآية 44.

² (إبراهيم حسن إبراهيم، أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة، 1978، ص 30.

³ (إبراهيم حسن إبراهيم، أسرار النداء في لغة القرآن الكريم ، ص 62.

⁴ (الأعراف ، الآية 104.

⁵ (الأعراف، الآية 105.

هارون من الرعب و الاضطراب ، أو لأن كلامه هذا وقع بعد كلام سبقه فيه حرف النداء و هو المحكي في سورة طه " قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي " ¹.

و قد قرأت الميم في " أم " بالفتح في بعض القراءات و عن سبب ذلك قال صاحب التحرير و التنوير " و فتح الميم في " ابن أم " قراءة نافع ، و ابن كثير ، و أبي عمرو و حفص بن عاصم و هي مشهورة في المنادى المضاف إلى أم أو عم، و ذلك بحذف ياء المتكلم و تعويض ألف عنها في آخر المنادى، لم يحذف ذلك الألف تخفيفاً، و يجوز بقاء كسرة الميم على الأصل، و هي لغة مشهورة أيضاً و بها قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي، و أبو بكر على عاصم و خلف. ²

خلاصة: إنّ النظرة الشاملة و المتفحصة لكيفية استخدام أسلوب النداء في المدونة (سورة الأعراف، سورة هود) يجد تناسقا من حيث البناء العام للسورتين الذي أشرنا إليه في الفصل التمهيدي، فالنداء المفصل في أسلوب الحوار ورد في قصة واحدة من كل سورة .

* قصة نوح - عليه السلام - في سورة هود.

* قصة موسى - عليه السلام - في سورة الأعراف.

و بهذا يكون في كل قصة نداء بالحرف " يا " و نداء بدونه من عدة مستويات و هي:

¹ (ابن عاشور، التحرير و التنوير، مج 04، ج 09، ص 116.

² (ابن عاشور، التحرير و التنوير، مج 04، ج 09، ص 117.

النبي-عليه السلام - ← قومه (العموم)

القوم ← النبي-عليه السلام -

النبي -عليه السلام ← الله عز وجل

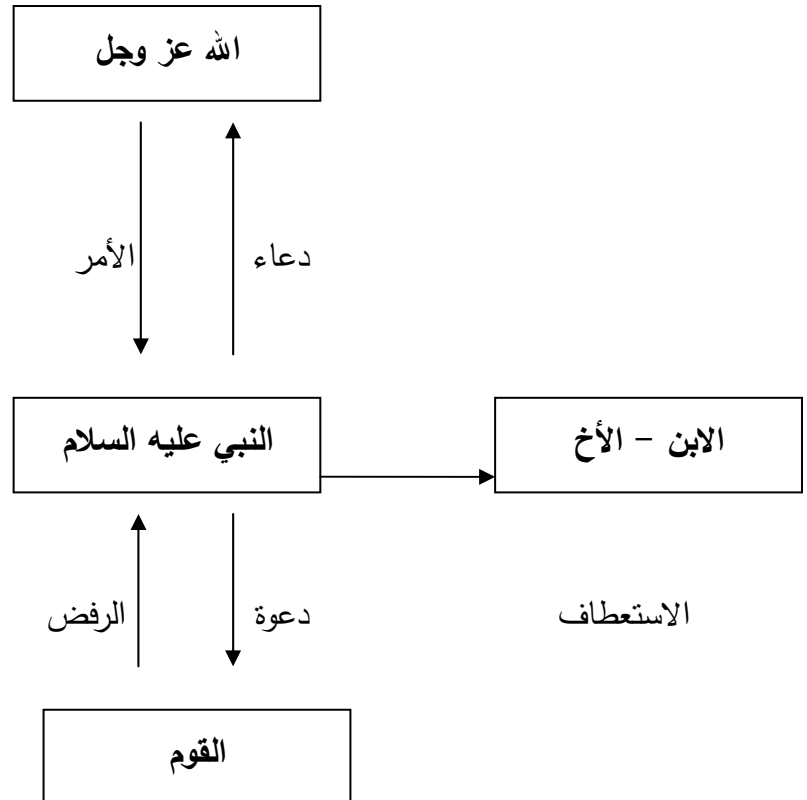
الله عز وجل ← النبي-عليه السلام -

النبي -عليه السلام - ← المقربين (الابن - الأخ) التخصيص

النبي-عليه السلام - ← الله - عز وجل-

و الملاحظ أن هذا التسلسل يبين كيفية تعاقب الأحداث في القصص و نوضحها فيما يلي بهذا

المخطط



2.2 أسلوب الاستفهام:

إن أسلوب الحوار الذي بني عليه قصص القرآن الكريم جعل التراكيب القرآنية متنوعة في إنشائها. فمنها الأمر النهي والطلب والاستفهام.....الخ. أما أسلوب الاستفهام فيعد من مقومات القصص القرآني لما فيه من حاجة وإنكار، خاصة في الحوار الذي يدور بين الأنبياء وأقوامهم، إذ تمتزج الحجة والإقناع بالنعيم أو بالوعد والوعيد.

والاستفهام " هو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار، وقيل الاستخبار ما سبق أولاً و لم يفهم حق الفهم. فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً حكاة ابن فارس في فقه اللغة " ¹

" و الاستفهام هو طلب حصول الشيء في الذهن، نحو: أتحرك الأرض؟ أينمو الجماد؟.....

ومن الاستفهام ما يكون سؤالاً عما لا تعلمه لتعلمه فيخص باسم الاستفهام، ومنه ما يكون سؤالاً عما تعلمه ليقر لك به، فيسمى تقريراً. ²

1.2.2. أدواته:

وأدوات الاستفهام هي: الهمزة، وهل، وما، وأي، وما، ومن، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان ويخرج أسلوب الاستفهام إلى معان بلاغية كثيرة، استناداً لما استخدمته العرب في كلامها فأخرجته عن حقيقته لمعان أخرى وأشربته تلك المعاني. قال بعض الأئمة: " وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام وإنما يقع في خطاب الله تعالى على معنى أن المخاطب عند علم ذلك الإثبات أو النفي حاصل " ³

¹ (السيوطي، معترك الأقران ، ص 327.

² (محمود السيد حسن المصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، مؤسسة شباب الجامعة، ط 01، الاسكندرية 1981 ص 253.

³ (السيوطي، ، معترك الأقران ، ص 328.

وسنحاول في هذا المقام أن نعرض بعض صور الاستفهام كما وردت في المدونة بالتحليل اللغوي والبلاغي ثم المقابلة- إن توفر الأسلوب بصورة تقابليه في السورتين-.

2.2.2 التحليل: لقد قمنا أولاً بعملية حصر وجرد لمجمل أساليب الاستفهام، الوارد في كل سورة

على حدى ليظهر بعد ذلك جيداً، و بصورة تقابليه كيفية استخدام الأدوات في المدونة :

الأعراف	هود
نوح: " أوعجبتم أن جاءكم... آ 63	" رأيتم إن كنت على..... آ 38
هود: " أفلا تتقون" آ 65	" من ينصرني من الله" آ 30
" أو عجبتم أن جاءكم" آ 69	✓
" قالوا أجبنا لنعبد الله وحده" آ 70	
" أتجادلونني في أسماء سميتوها" آ 71	
صالح: " أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه"	" أتتهانا أن نعبد... آ 62
75	" رأيتم ... فمن ينصرني... آ 63 .
" أألد و أنا عجوز" آ 72.	
	" أتعجبين من أمر الله" آ 73.
	" أليس منكم رجل رشيد" آ 78.
لوط: " أتأتون الفاحشة" آ 80	" أليس الصبح بقريب" آ 81.

"أصلواتك تأمرك..." آ 87.

"أرأيتم إن كنت..." آ 88.

"أرهطي أعزّ عليكم..." آ 92.

شعيب: "أو لو كنّا كارهين" آ 88

"فكيف آسى على قوم كافرين" آ

93

"أفأمن أهل القرى..." آ 97

"أوأمن أهل القرى..." آ 98

"أفأمنوا، مكر الله..." آ 99

"أو لم يهد للذين يرثون..." آ 100

موسى: "أتذر موسى وقومه ليفسدوا في

الأرض..." آ 127 .

"هل يجزون إلا ما كانوا..." آ 147

"أعجلتم أمر ربكم..." آ 150 .

"ألست بربكم... قالوا... بلى..."

آ 172 .

"أو تقولون... أفتهلكنا..." آ 173 .

و من خلال ما سبق فإن الأدوات المستخدمة للاستفهام هي:

- الهمزة، كيف، هل، من .

وأكثرها وروداً الهمزة وفي أنماط مختلفة كما يلي:

1 - الهمزة + الواو + الفعل (أوعجبتم)

2 - الهمزة + الفاء + الفعل (أفأمن)

3 - الهمزة + الفاء + أداة النفي + الفعل (أفلا تتقون)

4 - الهمزة + الفعل (أتعلمون)

5 - الهمزة + الواو + أداة الشرط + الفعل (أولو كنا) الأعراف 88

6 - الهمزة + الاسم (مضاف + مضاف إليه)

دراسة بعض الأمثلة:

المثال 1 : " قال يا قوم رأيتم إن كنت على بيّنة من ربي و آتاني رحمة من عنده فعميت عليكم

أنلزمكموها و أنتم لها كارهون" ¹

أرأيتم - أنلزمكموها و في هذا حوار بين النبي عليه السلام وقومه بعد أن كفروا بما جاء به من

الحق، فلا إلزام لكم ولا إكراه في أن تتبعوا هذا الدين، و تحمّل الجملة معاني الدعوة الى التأمل

البريء الخالي من الكراهية والعداوة الذي سيُظهر لهم حتماً صدق هذا النبي وما جاء به.

و أما عن الاستفهام وكيفية تركيبه في هذا المقام ليدل دلالة على معنى التقرير فقد أشار إلى ذلك

ابن عاشور قائلاً " وهو استفهام تقريرى إذا كان فعل الرؤية غير عامل في مفرد فهو تقرير على

مضمون الجملة السادة مسد مفعولي (رأيتم) ولذلك كان معناه آيلاً إلى معنى أخبروني، ولكنه لا

¹ (هود، الآية 28.

يستعمل إلا في طلب من حاله إلى حال من يجحد الخبر. وجملة " إن كنت على بيّنة..."

معتزلة بين فعل (رأيتم) وما سد مسد مفعوليه. والاستفهام في " أنلزمكموها " إنكاري، أي لا

نكرهم على قبولها فعلق الإلزام بضمير البيّنة أو الرحمة¹

وقد جاء ذكر هذه الآية في كتب التفاسير مع الشرح المطول لما لها فيها من المعاني المتعددة على

كل المستويات (الصوتي، الصرفي، البلاغي)

" أما قوله (أنلزمكموها، ففيه ثلاث مضمرات، ضمير المتكلم و ضمير الغائب، وضمير

المخاطب²

المقابلة:

و بمقابلة قصة نوح في سورة هود بنظيرتها في سورة الأعراف فنجد آية واحدة في الاستفهام وهي:

" أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون " ³

و هو استفهام إنكاري لتعجبهم من أن يكون النبي و المرسل من الله بشر مثلهم.

" وانتقل إلى كشف الخطأ في شبهتهم فعطف على كلامه قوله " أو عجبتم " مفتتحا الجملة

بالاستفهام الإنكاري بعد واو العطف وهذا مشعر بأنهم أحالوا أن يكون رسولا، مستدلين بأنه بشر

مثلهم....واختير الاستفهام دون أن يقول: لا عجب.. إشارة إلى احتمال وقوع ذلك منهم مما يتردد

ظن العاقل بالعقلاء.⁴

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير المجلد 5 ج 12 ص 51.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطابع الشعب، 1969 ج 30 ص 84، 26

³ الأعراف ، الآية 63 .

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير المجلد 4 ج 8 ص 195.

والاستفهام الإنكاري كثير في قصص الأنبياء لما يحمله من معاني المجادلة والحوار بين مصدق ومنكر بالدين، والأنبياء . عليهم السلام . زودهم الله عز وجل بالأساليب البلاغية والحجج المقنعة التي يجابهون بها كل أنواع العقول.

" والرسل الذين يتصفون بالبلاغة والنصح والأمانة ينبغي أن يكونوا كذلك مع أقوامهم، تراهم يستندون الى الحجج العقلية والبراهين المنطقية من أجل أن تثمر جهودهم في دعوتهم الى الله"¹

مثال 2 :

" أليس الصبح بقريب" ²

" ألسنت بربكم...." ³

جاء في كتب اللغة أن « الإنكار نفي.... ونفي النفي إثبات» ⁴، وأما عن الآية الأولى فقد ورد في قصة لوط عليه السلام على لسان الملائكة جواباً لسؤال ضمني في نفس لوط . عليه السلام . لما رأى في نفسه استبطاء العذاب ، إذن فهو استفهام الغرض منه التقرير والتأكيد على ما هو منفي:

ليس الصبح بقريب ← فالصبح قريب حتما.

" والاستفهام تقريرى، ولذلك يقع في مثله لتقرير على النفي إرخاءً للعنان مع المخاطب المقرر ليعرف خطأه، وإنما قالوا ذلك في أول الليل".⁵

وأما عن الآية الثانية فمعنى النفي فيها المسبوق بالاستفهام هو إشهاد للخلائق على أنفسهم، ويضيف صاحب التحرير والتنوير توضيح المقال بقوله: « والاستفهام تقريرى، ومثله يقال في تقرير

¹ محمد السيد حسن مصطفى، الاعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص 270.

(2) هود ، الآية 81 .

(3) الأعراف ، الآية 172

(4) السيوطي، ، معترك الأقران ، ص 330.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير مج 5 ج 12 ص 134.

من يظن به الإنكار أو ينزل منزلة ذلك فلذلك يقرر على النفي استدراجاً له حتى إذا كان عاقداً، قلبه على النفي ظن أن المقرر يطلبه منه فإقدام على الجواب بالنفي. فأما إذا لم يكن عاقداً قلبه عليه فإنه يجب بإبطال النفي فيتحقق أنه بريء من نفي ذلك»¹

مثال 3 : " هل يجزون إلا ما كانوا يعملون...." ².

وهو الأسلوب الوحيد في السورتين الذي استخدم الأداة "هل" للاستفهام وقد ذكر علماء اللغة أن مثل أساليب الاستفهام هذه التي نلحق بها أداة الاستثناء "إلا" مشربة بمعاني النفي. « وورود "هل" لمعنى النفي أثبتته في معنى اللبيب استعمالاً تابعا قال «أن يراد بالاستفهام بها النفي ولذلك دخلت على الخبر بعدها "إلا" نحو «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»، والباء في قوله: ألا هل أخو عيش لذيق بدائم...»³

وقد تبين أن استخدام "هل" هو الأنسب في هذا الموضع لما لها من دلالات تخرج إليها (الإنكار) لا تخرج إليها الهمزة.

« ويراد الاستفهام بـ "هل" النفي، يشعر بأن ثمة استفهام لكنه مجازي لا حقيقي...ولعل أصل ذلك أنه استفهام عن النفي لقصد التقرير بالنفي والتقدير: هل لا تجزون إلا ما كنتم تعلمون. فلما اقترن به الاستثناء غالبا وحرف الزائد في النفي في بعض المواضع حذفوا النافي وأشربوا حرف الاستفهام معنى النفي اعتمادا على القرينة فصار مفاد الكلام نفيا وانسلخت «هل» عن الاستفهام فصارت مفيدة النفي»⁴

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مج 4 ج 09 ص 168.

(2) الأعراف، الآية 147.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير المجلد 08 ج 19 ص 54.

⁴ (نفس المرجع السابق، مج 08 ج 19 ص 54.

مثال 4 : " فكيف آسى على قوم كافرين " ¹

واستخدام « كيف هذا المقام منفرد في كلتا السورتين إذ لم يرد سوى هذا الاستفهام بهذه الصيغ، لكن الغرض البلاغي منه لا يخرج عن الإطار العام للسورة فهو استفهام إنكاري « لأنه كما أبلغهم ونصح لهم وأعرضوا عنه، فقد استحقوا غضب من يغضب لله، وهو الرسول ويرى استحقاقهم العقاب فكيف يحزن عليهم مما أصابهم من العقوبة » ²

مثال 5 : " أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد " ³ وهو استفهام إنكاري توبيخي وقد ذكرت كتب التفسير بالتفصيل عظم فعل قوم لوط الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين رغم ما سبق ذكره من أفعال شنيعة في أقوام مرت قبلهم « قوم-نوح- / قوم هود/ قوم صالح إلا أن عملهم كان منافيا لطبيعة الفطرة البشرية فاستلزم هذا الاستفهام الذي يحمل معاني الإنكار وعظيم التوبيخ.

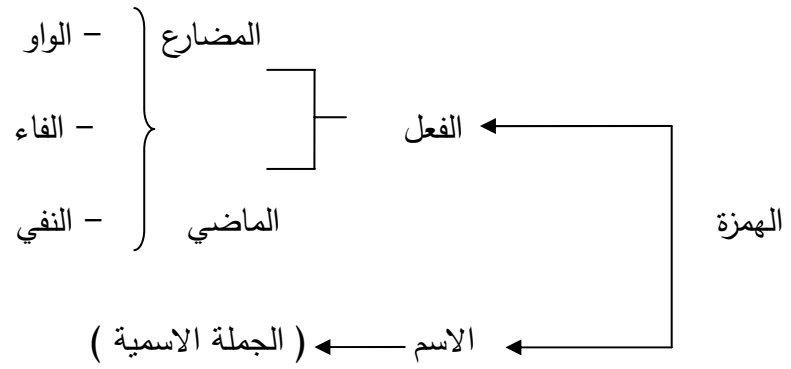
خلاصة:

من خلال هذه العينات المذكورة عن أسلوب الاستفهام ، تبين لنا أن للهمزة مكانة واسعة في التعابير القرآنية ، وإن كانت تخرج لأغراض بلاغية مختلفة حسب سياق الآية، كما أن استخدام الهمزة في تراكيب مغايرة يجعلها تبدو كخيوط النسيج المركبة بإحكام وانسجام رغم اختلاف الأغراض.

¹ (الأعراف ، الآية 93.

² (ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مج 4 ج 09 ص 15.

³ (الأعراف ، الآية 80.



ثم نقول أخيراً أن الاستفهام في هذه المدونة لم يخرج في العموم عن معاني (النفى - الإنكار -
 التهكم) وهو ما يعكس بصورة حقيقية طبيعة القصص الواردة ، وما حصل فيها من عنت وجدال
 بين الحق والباطل.

الفصل السادس

الدراسة البلاغية

تمهيد :

لقد جرت العادة في الفصول الماضية التعرض إلى ماهية موضوع الفصل (الصوت - المفردة - التركيب) وعلى منوال ذلك يكون من العدل أيضا التعرض لموضوع البلاغة بشيء من الشرح والتفصيل.

لكنّا وجدنا موضوع البلاغة يطول الحديث عنه في المؤلفات القديمة والحديثة، خاصة قديما حيث تفصلّ التصانيف لكل عالم من علماء البلاغة بابا ، تعرض لآرائه ووجهات نظره في قضايا البلاغة المتعددة (الجاحظ - قدامة بن جعفر - ابن سنان الخفاجي - عبد القاهر الجرجاني - السكاكي - حازم القرطاجني. وأما عن اهتماماتهم فيمكننا أن نصنّفهم كمايلي: الجاحظ بالبيان و قدامة بن جعفر بشعرية البلاغة و ابن سنان الخفاجي ببلاغة الفصاحة و عبد القاهر الجرجاني بنحو الشعر، و السكاكي ببلاغة العامة وأما حازم القرطاجني فببلاغة الصورة الأدبية و ابن البناء المراكشي بالبلاغة الجديدة¹

وقد سبق لنا في ثنايا هذا البحث (الفصل التركيبي) التعرض بالشرح الموجز لبعض القضايا التي لها علاقة بموضوع البلاغة ك (البيان - المعاني - النظم -) وهذا ما يمثل النظرية الأسلوبية الحديثة التي تربط بين أبواب اللغة والبلاغة ؛ فتمزج البلاغة بالنحو والصوت والمفردة والتركيب ، لتجعل كل المستويات اللغوية ذات أهمية -ودون إغفال أيّ جزء -من أجل الوصول إلى فهم حيثيات النص واستجلاء الدلالات البعيدة فيه. لذلك فالبلاغة بحر شاسع متعدد المشارب والأطراف لا يمكن أن

¹ (للتفصيل أكثر في هذه القضايا والمصطلحات يراجع عمر أوكان (اللغة -والخطاب) أفريقيا الشرق المغرب

تحصل لأحد إلا بعد طول البحث و التقصّي " وكيف يظن الإنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب ، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاد الأعمار فيها أو إنما يبلغ الإنسان منها ما في قوته أن يبلغه ، ألا ترى أن كثيرا من العلوم قد نفذ فيها قوم في أزمنة لا تستغرق إلا جزءا يسيرا من العمر"¹

ومن هذا الكلام يظهر اتساع مجال هذا العلم كمفهوم ، فلا نستطيع حصره وتقييده بكلمات قليلة أو سريعة موجزة . ويضيف حازم القرطاجني كلاما يدلّ على اتساع وعمق هذا العلم وهو يشير إلى عميد الشعر العربي قديما وحديثا، (المتنبى) الذي لم يتحكم بآليات البلاغة وفنونها إلا بعد زمن طويل في المزاولة والدراسة : " وهذا أبو الطيب وهو إمام في الشعر لم يستقم شعره إلا من مزاولة الصناعة عشرين سنة، ثم زاولها بعد ذلك زمنا طويلا، وتوفي وهو يصيب فيها ويخطئ وهذا ليس مختصا به وحده، بل كل إمام ناظم أو ناثر هذه غايته، إذا كانت هذه الصناعة تنتشعب وجوه النظر فيها إلى ما لا يحصى كثرة فقلما يتأتى تحصيلها بأمرها والعلم بجميع قوانينها لذلك و سائرها من العلوم ممكن أن يتحصل كلّ أو جلّه"²

جاء في لسان العرب "بَلَّغَ الشيءَ يَبْلُغُ بُلُوغًا وَبَلَاغًا: وَصَلَ وَانْتَهَى..... وَالبَلَاغَةُ: الفَصَاحَةُ. وَالبَلُّغُ وَالبَلِّغُ: البَلِّغُ من الرجال. وَرجلٌ بَلِيغٌ وَبَلِّغٌ: حَسَنُ الكلامِ فَصِيحُهُ يَبْلُغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، وَالْجَمْعُ بَلْغَاءٌ، وَقَدْ بَلَّغَ، بِالضَّمِّ، بَلَاغَةً أَيْ صَارَ بَلِيغًا"³

¹ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 88.

² حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص 88.

³ ابن منظور ،لسان العرب مادة (بلغ) ص 311.

وفي الصحاح بلغت المكان بلوغا :وصلت إليه ، وكذلك إذا شارفت عليه ومنه قوله تعالى "فإذا بلغن أجلهن " أي قاربنه وبلغ الغلام أدرك . والإبلاغ الإيصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ .
وباللاغ أيضا الكفاية ¹

وفي مفتاح العلوم: " هي بلوغُ المتكلم في تأدية المعاني حداً ، له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها" ²

وفي المثل السائر: " مدار البلاغة كلها استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجبة لبلوغ غرض المخاطب بها" ³

وفي الإيضاح : " البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها ، فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ⁴ وما وصلت البلاغة إلى هذه المعاني و المفاهيم إلا بعد قراءة وبلورة لأفكار وجهود المتقدمين أمثال: الجاحظ و ابن سنان الخفاجي و عبد القاهر الجرجاني.
هذا عن بلاغة كلام البشر، فماذا عن بلاغة كلام ربّ البشر -جلّ وعلا- ؟

"إن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً إنسانياً البتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد.. ولقد أحسّ العرب بهذا المعنى و استيقننه بلغاؤهم.. ولولاه ما أقحموا ولا تقطعوا من دونه، لأنهم رأوه جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة" ⁵ . إذن بلاغة القرآن أمر

¹ (الإمام الجوهري، الصحاح ، ج 04، ص1312

² (السكاكي، مفتاح العلوم ، تح عبد الحميد الهنداوي ،دار الكتب العلمية ، د ط ، لبنان د ت ، ص 29.

³ (ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، دار الكتب العلمية، د ط ، لبنان د ت، ص74.

⁴ (الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، دار الكتب العلمية ، لبنان د ت ، ص12، 13.

⁵ (مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط06، ص 332.

محصل منذ البداية أثبتته العرب الخلص الأوائل الذين عايشوا النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-، وزادها تفسيراً وشرحاً علماء اللغة المتقدمين منهم والمتأخرين.

وأما عن أبواب البلاغة فهي متنوعة ومتشعبة ، ومحاولة الإمام بجميع أجزائها لأمر يطول الحديث فيه، لذلك حاولنا تحديد موضوع الدراسة في بعض العناصر التي نراها بارزة في مدونة البحث والتي نحسب أنها قد تعطي بعض النتائج الوثيقة الصلة بالدراسة التقابلية. ومن خلال ذلك قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين هما (التقديم والتأخير ، الصور البيانية) و سنحاول تتبع الظواهر البلاغية الموجودة في النص، متتبعين في ذلك آراء علماء اللغة والتفسير والباحثين الذين كان لهم كبير الأثر في الدرس القرآني والبلاغي - والله المعين على ذلك-.

1. التقديم والتأخير

1.1. المفهوم :

إنه من الأبواب المعروفة جداً في كتب البلاغة والنقد إذ لا تكاد تخلو أي دراسة لغوية نقدية من الإشارة إلى هذا العنصر لما له من بالغ الأثر في الكلام بالتأثير في الملتقى والسماع ، كيف لا وهو الذي قال عنه إمام البلاغيين الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) تلك المقولة الشهيرة التي ما فتئت تتكرر في كل كتاب يتكلم عن هذا الموضوع :

"هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه وبفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"¹

وقد أظهر هذا الفن البلاغي قدرة المتكلم العربي الأصيل على شحن الكلام بإيحاءات دلالية لمجرد التلاعب بمواقع الوحدات اللغوية "وتعلم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته؟ وكيف يزداد المعنى

¹ (الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

من غير أن يزداد في اللفظ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى¹.

كما أن هذه المزية كانت سمة بارزة في كلام العرب يحصل بها التأخر في النظم إذ هي دلالة على التحكم في مقاليد الألفاظ، فهي طريقة تنتقل الألفاظ بها من ذهن الملقى إلى ذهن المتلقي مرتبة بالطريقة التي أرادها ناظمها حسب أهميتها "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم وهم ببيانه أعنى" ولهذا الباب البلاغي أهمية بالغة إذ لا يتم تقديم كلام على نية التأخير أو تأخيره على نية التقديم عبثاً، بل لبواعث موجبة تخرج الكلام في صورة أبلغ وأفصح².

ثم إن العدول في التقديم والتأخير مقيد بأمن اللبس ووضوح المعنى ، فتقديم لفظة أو تأخيرها لا يحدث خلافاً نحوياً أو فجوة إعرابية ، وهذا الأمر لا ينبغي إلا لصاحب العلم الغزير والإمام الوفير بمفردات اللغة وأسرار تركيبها.

وتتضح أهمية هذا التركيب في القرآن الكريم بصورة جلية، فلا نجده استُخدم عرضاً على محض الصدفة التي يقتضيها الأسلوب، بل لحكم ربانية بالغة القصد والتأثير ، وليس كما يرد في بعض كلام الشعراء ما يكون تأخيراً أو تقديماً مراعاة للوزن والقافية فقط ، وهذا ليس من القرآن الكريم في شيء، إذ تجده من قبيل ما يقتضيه السياق والمعنى ثم الموسيقى والتنغيم من بعد ذلك فيؤثر في السامع تأثيراً واضحاً .

كما أن الباحثين في علوم القرآن لم يتوقفوا في دراسة الظاهرة عند حدود التقديم على سبيل الاهتمام بل تتبعوا الأساليب الواردة وذكروا الحكم المترتبة عليه وما الأسباب الداعية إليه وبذلك ربطوه (التقديم والتأخير) بأبعاد دلالية تخدم الجو العام في السورة أو الآية أو الأبعاد الفقهية والشرعية، فمثلاً ورد

¹(المرجع السابق، ص 288).

²(عبد الرحمن بودرع، منهاج السياق في فهم النص، كتاب الأمة (د ط)، قطر 2006، ص 67).

القول في تفسير الآية التالية " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم " ¹ لقد رزق الأولاد على رزق الآباء أي أن الله يرزقهم ويوفر لهم حاجتهم قبل أن يأتوا كما يرزق بعد ذلك الآباء ، و قيل أن هذا الخطاب للأغنياء الذين يقتلون أولادهم مخافة أن يفتقروا (خشية إملاق) في مكان آخر من القرآن الكريم نجد قوله تعالى: " ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم " ² هنا قدّم رزق الآباء على رزق الأولاد لحكمة ذكرها المفسرون؛ أن الخطاب في الآية موجّه إلى الفقراء المقلّين (من إملاق) أي لا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر فالله يرزقكم أنتم ويرزق أولادكم. ³ فقوله تعالى "خشية إملاق" فقر متوقع أما الآية الأخرى "من إملاق" فهو فقر حاصل واقع، والفرق بين الآيتين إنما هو الفرق بين معنيين سببهما تقديم اللفظ أو تأخيره.

إذن لكل كلمة في الجملة العربية موقعها الخاص بها حسب القاعدة اللغوية فمثلاً:

- الفعل يتقدم على الفاعل.
- المبتدأ يتقدم على الخبر.
- الفاعل يتقدم على المفعول به.
- المتمّمات تتأخر (الظرف- الجار والمجرور- الحال..)
- الصفة تتقدم على الموصوف.

وإذا كان هذا هو الأصل فلماذا إذن يحدث أحياناً تغيير للكلمة عن موضعها، وما المزية في ذلك في اللغة العربية عامة وفي القرآن الكريم خاصة ؟.

قد أشار العلماء الأوائل على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم إلى الأغراض الفنية للتقديم والتأخير فأصحاب البلاغة نظروا إليه من زاوية أسلوبية تعبيرية ، تكشف عن دلالاته مثل عبد القاهر

¹(الإسراء، الآية 31.

²(الأنعام، الآية 151.

³(ينظر: الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ج 3 ، ص 285.

الجرجاني في دلائل الإعجاز و الزركشي في البرهان ، وعلماء النحو نظروا إليه من زاوية نحوية إعرابية تتصل بشروط التقديم التأخير وجوازه وجوبه وامتناعه، ومثال ذلك سيبويه في الكتاب وأبو العباس المبرد في المقتضب.

"أما الزركشي في البرهان فقد تحدث بشيء من التفصيل عن التقديم والتأخير، وذكر أنواعه وأسبابه ومقتضياته وحاول ما أمكن أن يستقصي كل ما ورد في القرآن الكريم من آيات فيها تقديم وتأخير وقد بين من مقتضياته في القرآن ما يربو على خمسة وعشرين سببا"¹

وفي بحثنا هذا نود اختصار هذا المبحث في عنصرين هامين فقط إذ لا يسعنا التطرق إلى كل ما عرضه الأولون في مصنفاتهم، وهذان العنصران هما إيجاز شامل لما ورد تفصيله عند بعضهم مثل: الجرجاني وهما:

1- تقديم المعمول على العامل.

2- تقديم لفظ على آخر.

وهذا لأسباب هي: - لكي نحيط المدونة بالدراسة ولا نفصلها تفصيلا مما قد يذهب الهدف الرئيسي للبحث أو يبعدنا عنه.

- العنصران محوران: أولهما نحوي وثانيهما بلاغي ويصبان في مصب واحد هو الدلالة.

2.1. تقديم المعمول على العامل:

تتألف الجملة العربية كما أشار النحاة من ركنين أساسيين ومن فضلة ، الركنان هما المسند والمسند إليه وهما عمدة الكلام، أما المسند إليه فقصوره في الاسم فقط وأما المسند فيكون اسما وفعلا بينما لا يكون الفعل إلا مسندا.

¹ (عبد الجليل عبد الرحيم ، لغة القرآن الكريم، ص 332.

"والأصل في الجملة التي مسندها فعل أن يتقدم الفعل نحو " يقدم أخوك " ، ولا يتقدم المسند إليه إلا لسبب؛ فإن قلت " أخوك قادم" أو " يقدم أخوك" فقد جريت على الأصل وليس لأحد أن يسألك لماذا قدمت "أخوك" في الجملة الأولى وأخرته في الجملة الثانية فإن قدّمت الخبر في الجملة الأولى فقلت "قادم أخوك" أو قدّمت المسند إليه في الجملة الثانية فقلت "أخوك يقدم" فقد دخلت في باب التقديم والتأخير ولا بد أن تكون فعلت ذلك لسبب اقتضاه المقام ويدخل ذلك في باب العناية والاهتمام الذي تتعدد أسبابه وأنواعه".¹

ومن أجل الولوج في تحليل أنواع التقديم والتأخير الواردة في المدونة، نشير إلى أننا سنبدأ من أكثر الحالات وروداً وهي تقديم الجار والمجرور أي الفضلة كما يسميها النحاة ، و منه إلى باقي الأنواع.

1.2.1. تقديم الجار والمجرور

"فإن جئت بالفضلة معها كانت الفضلة بكل أنواعها متأخرة في الكلام فنقول مثلاً " أخوك قادم من الموصل" ، فالجار والمجرور "قيد أو فضله حقه أن يكون بعد المسند والمسند إليه فإن قدمته عن مكانه دخل ذلك في باب التقديم والتأخير ويكون ذلك إلا لسبب"²

وأهم تلك الأسباب التي ذكرها النحاة "الحصر (القصر) على الأغلب ثم الاهتمام والعناية.

التحليل:

مثال 1:

قال تعالى "على الله توكلنا"³

قال تعالى "عليه توكلت وإليه أنيب"⁴

¹ (فاضل السامرائي، الجملة العربية، ص 35.

² (فاضل السامرائي، الجملة العربية ، ص 35.

³ (الأعراف، الآية 89.

⁴ (هود ، الآية 88.

وردت الصيغتان في السورتين في قصة واحدة ،هي قصة شعيب-عليه السلام- في مقام مجادلته لقومه وتهديدهم له بمحاربتة إن لم يكف عما هو فيه، فحصل تقدم الجار والمجرور الدال على لفظ الجلالة "على الله" على فعل التوكل "فقدم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص وذلك لأن التوكل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده"¹

مثال 2:

" وإليه يرجع الأمر كله".²

وردت هذه الآية في ختام سورة هود للدلالة على أن الله وحده يكون الرجوع إليه ، فبعد عرض سلسلة من الأحداث والصراع بين الحق والباطل لا يكون الفوز في الأخير إلا بالرجوع إلى مصدر واحد هو رب العزة -جل وعلا - فإليه ترجع كل الأمور وبمقابلة أسلوب التقديم والتأخير هذا بسورة الأعراف وجدنا أن نهاية السورة أيضا هي خضوع لله "ويسبحونه وله يسجدون"³ ، فالجار والمجرور دل على المصدر الذي منه جاء الإنسان وإليه يعود.

والأصل في الجار والمجرور أن يتأخر كما أشار أصحاب النحو إلى ذلك، فهو فضلة والفضلة تتأخر بكل أنواعها ، "مرتبة العمدة قبل مرتبة الفضلة، ومرتبة المبتدأ قبل مرتبة الخبر، ومرتبة ما يصل إليه الفعل بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر وإن كانا فضلتين..."⁴.

¹فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني ، ص 49.

² (هود ، الآية 123.

³ الأعراف، الآية 206.

⁴ (الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية ،مصر 1957 ،ج1 ص301.

2.2.1. تقديم الخبر على المبتدأ:

وقد ذكر النحاة هذا الموضوع في باب الحديث عن الأصول فلكل أمر أصل ثم يتبعه فرع، ويقول

ابن عقيل: "الأصل تقديم المبتدأ و تأخير الخبر"¹

وانطلق الاسترياذي من تعليل تقديم المبتدأ على الخبر بكونه "محكوما عليه والخبر حكم ، ولا بد من

وجود المحكوم عليه قبل الحكم، فجعل ذكره في اللفظ أيضا قبل ذكر الحكم"²

وأما حال المبتدأ و الخبر من حيث التقديم والتأخير فقد حددنا جوانب التحليل في عنصرين من ناحية

الخبر وهما:

- الخبر المقدم اسم مفرد.

- الخبر المقدم شبه جملة.

أ - الخبر المقدم اسم مفرد:

إن الجرد المفصل لحالات ورود الخبر مقدم في صورة الأفراد أفرزت إلى وجود

حالتين أي واحدة في كل سورة وهما:

- "وباطل ما كانوا يعملون"³

- "إنه مصيبيها ما أصابهم"⁴

الآية الأولى: ورد تقديم المسند "باطل" وهو الخبر المقدم على المسند إليه "ما" اسم موصول مبتدأ

مؤخر.

¹ بهاء الدين عبد الله ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب العربية ، ج1 ، ص 310.

² رضي الدين الاسترياذي، شرح الرضى لكافية ابن الحاجب ،تح محمد بن إبراهيم الحفظي وبحبي بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،الرياض 1996، ط1، ج1، ص 292.

³ الأعراف ، الآية 139.

⁴ هود ، الآية 81.

وهذا في مقام الحديث عن فعل بني إسرائيل لما جاوز الله بهم البحر ونجّاهم من قوم فرعون وكان ذلك يوما مشهودا إلا أنهم لما رأوا قوما يعبدون أصناما لهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناما كذلك ؛ ومن ذلك حق وصف عملهم بالباطل ومن قبل ذلك بالتبشير " متبر " وحصول التقديم في المسند ورد على سبيل التخصص أي ما يحق إلا البطلان كوصف لعملهم والإخبار بالمصدر يفيد مبالغة في بطلانه لأن المقام مقام التوبيخ والمبالغة في الإنكار"¹

وجاء في الإيضاح " وأما تقديمه _يعني المسند_ فإما لتخصيصه بالمسند إليه كقوله تعالى " لكم دينكم ولي دين " الكافرون الآية 06. "²

وجاء في الطراز " فقولنا زيد منطلق إخبار لمن يجهل انطلاقه. وقولنا منطلق زيد إخبار لمن يعرف زيدا وينكر انطلاقه فتقديمه اهتمام بالتعريف بانطلاقه"³

وإذا ما قابلنا هذا المعنى في سورة هود فإننا لا نجد ذكر هؤلاء القوم أو قصة مجاوزة البحر لأنها لا تفصل في القصة بل نجد إشارات عامة إلى جزاء الظالمين ومن تبعهم ومنها هذه الآيات التي يتوعد الله - عز وجل - فيها :

"ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ"⁴

وفي هذه الآيات نجد تقديم الخبر شبه الجملة " ومنها قائم و حصيد " وسيرد التحليل في العنصر اللاحق " تقديم الخبر شبه الجملة".

¹ (الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج 04 ج 09 ص 83.

² (أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو ، تح مازن مبارك ، مطبعة المدني، مصر 1959 ، ج1 ص101

³ (يحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، مطبعة المقتطف، مصر، 1914. ج2 ص31.

⁴ (سورة هود، الآية 100، 101.

الآية الثانية:

"إنه مصيبيها ما أصابهم"

وقد ورد ذكر هذه الآية في قصة لوط - عليه السلام - وبالتحديد حين الحديث عن امرأته، فإن العذاب الذي لحق القوم الظالمين لحقها هي أيضا لأنها على ملتهم ودينهم.

أما فيما يخص تقديم المسند "مصيبيها" الخبر المقدم على المبدأ المؤخر (المسند إليه) "ما" فلم تشر معظم التفاسير إلى هذا التقديم ولم تتوقف عنده مثل (التحرير والتنوير - مفاتيح العيب - الكشف - تفسير النسفي)

ربما هذا يعود - والله أعلم - إلى المعنى الواضح في أسباب التقديم في كون العذاب يصيبها (الزوجة) هي أيضا ويختص بها كما أصاب القوم، و رغم كونها من اهل لوط - عليه السلام - فإن العذاب يصيبها حتما لما كفرت وليس في الأمر محاباة للأهل والأقارب ، فإن من ظلم لقي عذابه وإن كان من المقربين ولذا كان تقديم المسند على سبيل الاختصاص.

أما وجه مقابلة الحدث في سورة الأعراف فقد ورد المعنى بصيغة أخرى غير صيغة الإصابة فيحشرها في معنى الغابرين "الهالكين".

"فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين"¹

لكن اللافت للنظر أن أسلوب الاستيلاء تكرر في كلتا الآيتين ليدل على معنى الحصر والقصر في وقوع العذاب على زوجة لوط - عليه السلام -.

¹(الأعراف، الآية 83).

ب - الخبر المقدم شبه جملة.

من المعلوم أن المبتدأ إذا كان نكرة لا يقدم وليس له مسوغ في الابتداء، حينها يجب تقديم الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً مثلاً " في المحفظة قلم"، " فتقدم الخبر هنا واجب وليس لأمر بلاغي ولا يسأل عن الغرض من هذا التقديم وإنما يسأل عن سبب تقديمه إذا كان المبتدأ صالحاً لأن يبتدأ به"¹ ويرتبط التقديم والتأخير هنا بدرجة معرفة السامع للخبر فقولنا زيد في الدار إخبار أولي وذهن المخاطب خال من كل معرفة ، أما " في الدار زيد" فلأن السامع ينكر أن يكون زيد في الدار ، أو يظن أنه في مكان آخر فيكون تأكيد وجوده في الدار من باب الاختصاص.

فالاختصاص إذن من أهم أغراض تقديم الظرف والجار والمجرور .

جاء في الاتقان " كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر ، سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً ولهذا قيل في " إياك نعبد وإياك نستعين"² معناه نخصك بالعبادة والاستعانة وفي " لإلى الله تحشرون"³ ، معناه إليه لا إلى غيره"⁴

ونشير هنا إلى قضية مهمة هي: أن الخبر إذا كان شبه جملة يقدّره النحاة بخبر محذوف تتعلق به شبه الجملة وهو عند أكثرهم الفعل (استقرّ)أو (كان) وعند قسم آخر (كائن أو مستقر).

"والذي يقدر الفعل يقول: إنما يحسن تقدير الفعل لأنه أصل العمل، وهو هنا عامل في الظرف أو في المجرور والذي يقدر الاسم يرى أن الأصل في الخبر أن يكون مفرداً وذهب قسم إلى أن هذا قسم قائم برأسه، ولا يتعلق بشيء"⁵ ومن أمثلة ذلك في مدونتنا ما يلي:

¹ فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو، ج 1، ص 140.

² (الفاصلة، الآية 05.

³ (آل عمران ، الآية 158.

⁴ الزركشي، الإتقان في علوم القرآن ، ج 2 ص 51.

⁵ (شرح ابن عقيل، دار إحياء الكتب العربية، ج 1 ص 211.

سورة الأعراف

1- " وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"¹

2- "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون"²

3- "واعبدوا الله ما لكم من إله غيره"³

في الآية الأولى قدمت شبه الجملة " في ذلكم " المتعلقة بالخبر المحذوف وبلاء مبتدأ مؤخر. وذكرت الآية في مقام الحديث عن نجاة قوم موسى من بطش فرعون وآله، و أما "ذلك" فيقول الزمخشري أنها إشارة إلى " الإنجاء أو العذاب " وأما البلاء فهي النعمة أو المحنة"⁴ وهذا اعتبارا لما سبق من الآية وفيها إشارة إلى النجاة من البطش.

" وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسوموكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم"⁵

أما الآية الثانية وهي في نفس القصة (موسى -عليه السلام-) وقد دلّ تقديم الخبر (شبه الجملة) من قوم على المبتدأ المؤخر أمة أن الذين ذكروا فيهم استثناء واختصاص بشيء معين وهو الهداية من دون جميع القوم فوقع التقديم لغرض الاختصاص.

"فهذا تخصيص لظاهرة العموم الذي في قوله " واتخذ قوم موسى " قصد به الاحتراس لئلا يتوهم أن ذلك قد عمله قوم موسى كلهم، وللتنبية على دفع هذا التوهم قدم من قوم موسى على متعلقه"⁶

وهناك تقديم آخر لشبه الجملة في نفس الآية " به يعدلون " فهو للاهتمام والعناية ومراعاة الفاصلة.

¹ (الأعراف، الآية 141).

² (الأعراف، الآية 159).

³ (الأعراف، الآية 59).

⁴ (الزمخشري، الكشاف، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ط 01، بيروت 2005، ج 02 ص 142).

⁵ (الأعراف، الآية 14 ، 15).

⁶ (ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مج 04 الجزء 09 ص 142).

"وتقديم المجرور في قوله " وبه يعدلون " للاهتمام به ولرعاية الفاصلة"¹

وقد ذكر في الطراز أن من بين أسباب التقديم في شبه الجملة -إضافة إلى الاهتمام والعناية

(الاختصاص) و هو مراعاة الوزن والفاصلة.

"..أي أن يكون تقديمه من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي في التسجيع وهذا كقوله تعالى: " وجوه

يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" القيامة 22-23. ليطابق قوله (باسرة) وفاقرة".²

سورة هود:

1- "قل إن افتريته فعليّ إجرامي"³

2- "باسم الله مجراها"⁴

3- "اعبدوا الله مالككم من إله غيره"⁵

4- "لقد علمت ما لنا في بناتك من حق"⁶

5- "منها قائم وحصيد" ⁷

6- "منهم شقي وسعيد"⁸

7- "مالككم من دون الله من أولياء"⁹

¹(ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج 04 الجزء 09 ص 142.

²(يحيى بن حمزة العلوي ، الطراز ، ج 2 ص 70 - 71.

³(هود، الآية 35..

⁴(هود، الآية 41.

⁵(هود، الآية 50.

⁶(هود، الآية 79.

⁷(هود، الآية 100.

⁸(هود، الآية 105.

⁹(هود، الآية 113.

كل الآيات -وما تحته سطر- بالتحديد شبه جملة متعلقة بالخبر المحذوف المقدم وقد دلت المعاني فيها على الاختصاص، وهذا نفس ما دلت عليه أشباه الجمل المتقدمة في سورة الأعراف.

وأما ما يخص ترتيب الألفاظ في (قائم و حصيد)، (شقي وسعيد) فسيأتي التفصيل فيها في العنصر اللاحق (تقديم لفظ على آخر).

ملاحظة:

جعلنا في هذا العنصر الجمل المبدوء بالحرف "ما" النافية جزءاً منه وهي حرف مشبه بـ "ليس" ولم نجعلها في عنصر النواسخ ، وهذا يعود أولاً إلى أن النحاة يختلفون في اعتبار "ما" عاملة أولاً فهي عاملة عمل ليس على لغة أهل الحجاز - علماً أن لغة تميم لا تعملها - وإنّ كليهما تدخل على المبتدأ والخبر، وإن كانت "ما" لا تختص بالدخول على الجمل الاسمية وكلتاهما لنفي الحال، ويقوي هذه المشابهة بينهما دخول الباء في خبرها كما تدخل في خبر ليس¹

"والجمل المبدوء بـ "ليس" فعلية والجمل المنفية بـ ما اسمية ، و الجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية"² ولذلك تعاملنا مع الأداة "ما" في الجمل-كما جاء في كتب إعراب القرآن*- على أنها نافية وما بعدها مبتدأ و خبره مقدّم محذوف تعلّق به الجار والمجرور .

ومن المعاني الإضافية لـ "ما" أنها أكد الحروف في النفي "وهي أكد من ليس فإنها تقع جواباً للقسم وتقول : (والله ما هو بمنطلق) بخلاف ليس"³

¹ ابن يعيش، شرح المفصل ،ج1، ص 108

²فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو، ج 1، ص 230

*أنظر (ابن سيده) (محي الدين الدرويش) (محمد دعاس) تحت هذا العنوان.

³ فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو، ج 4، ص 568.

3.2.1. تقديم خبر النواسخ على اسمها

الأصل في باب النواسخ أن يؤتى بالفعل الناقص فاسمه فخبره كأن تقول " كان الجو صافيا" شأن الفعل والفاعل والمفعول به وإذا جاء التركيب على غير هذا النظم كان لذلك سببا يقتضيه المقام والسياق والأرجح هو الاهتمام والعناية لأن العرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم به أعنى، وكذلك فهو يرتبط بالمتلقي وما يعرفه من خبر أو ما كان خالي الذهن منه.

جاء في مغني اللبيب " فإن كان المخاطب يعلم أحدهما دون الآخر فالمعلوم الاسم والمجهول الخبر"¹

أما السامرائي فيذكر في كتابه معاني النحو بعد طول عرض لآراء الأولين خلاصة مفادها: " والذي نراه صوابا في هذا أن المعنى هو الذي يعين الاسم من الخبر، فالذي أردت أن تخبر عنه تجعله اسما للفعل الناقص والذي أردت أن تخبر به تجعله خبرا وليس لك أن تجعل ما شئت منهما اسما أو خبرا وليس المعنى واحدا "².

ومن أمثلة تقديم خبر النواسخ في مدونتنا ما يلي:

سورة الأعراف:

1- " ما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوه من قريبتكم"³

2- " كيف كان عاقبة المجرمين"⁴

الآية الأولى ورد ذكرها في قصة لوط - عليه السلام - وخبر كان " جواب" مقدم على اسمها " أن قالوا" و لذلك ورد الخبر (جواب) منصوبا .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذا التقديم ورد على الاستعمال السليم للتركيب.

¹ ابن هشام الانصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح عبد اللطيف محمد الخطيب ، التراث العربي ، الكويت 2002، ج 2 ص 452.

² فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج 1 ص 226.

³ الأعراف، الآية 82.

⁴ الأعراف، الآية 84.

" وانتصب قوله " جواب " على أنه خبر " كان " مقدّم على اسمها الواقع بعد أداة الاستثناء المفرغ وهذا هو الاستعمال الفصيح في مثل هذا التركيب إذا كان أحد معمولي كان منسبكا (مركبا) من " أن والفعل" ¹ .

أما الآية الثانية فقد تكررت وبنفس الصيغة في قصة " شعيب عليه السلام " من نفس السورة الآية (86) السادسة والثمانين (فلم نشأ تكرار ذلك) ، والتقديم حصل في خبر كان " كيف " وتأخر اسمها "عاقبة" وقد دلّ الفعل الناقص في هذه الآية على حال المجرمين ونهايتهم، واتّضح الأمر لما تصدر اسم الاستفهام " كيف " الجملة إذ يحمل معنى الاستفهام على الحال؛ التأكيد على أمر حتمي.

" والنحاة يعربونها خبرا للمبتدأ في نحو كيف أنت وخبرا للفعل الناقص في نحو كيف كنت " ²

سورة هود:

1- "فلا تسألني ما ليس لك به علم".³

2- "أليس منكم رجل رشيد".⁴

3- "لو أن لي بكم قوة".⁵

4- "إن في ذلك لآية".⁶

ذكرت الآية الأولى في قصة نوح -عليه السلام- و تتعلق بطلب النجاة للابن، ولكن إرادة الله -عز وجل- كانت غير ذلك، فينهاه أن يسأل عن أمر لا يعلمه قد جرى فيه حكم الله ، والخبر المقدم هنا هو الاسم الموصول "ما" خبر ليس.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، مج 04 ج 08 قسم 02 ص 235.

(²) مغني اللبيب ، ج 1 ص 205.

(³) هود، الآية 46 .

(⁴) هود، الآية 78.

(⁵) هود، الآية 80.

(⁶) هود، الآية 103.

وبما أن السؤال ورد في أسلوب نهى فخير ليس يذكر قبلها مطابقة للأصل في الاستعمال ونجده هنا

أشد قربا والتصاقا بأسلوب النفي إذ قدم "لا تسألني" عن "ما"

وليس ترد لنفي حال من الأحوال:

" وهذا الفعل يستعمل في العربية لنفي الحال عند الإطلاق وإذا قيد فبحسب ذلك التقييد تقول ليس زيد

قائما أي الآن ، وقال تعالى " ألا يوم تأتيهم ليس مصروفا عنهم " ¹. أي في المستقبل وليس

صحيحا ما ذهب إليه بعض النحاة من أنها لا تنفي إلا الحال " ²

أما ابن عقيل فيرى أن ليس " تدخل على الجمل الإسمية فتنتفيها وتكون لنفي الحال عند الإطلاق

نحو (ليس أخوك حاضرا) أي الآن وان قيدت كانت بحسب ذلك القيد ³

وبمقابلة المعنى في سورة الأعراف فإن مثل هذا الحوار لم يرد ذكره أو ذكر شيء من أخبار ابنه لأن

المقام في سورة الأعراف أن تذكر عموم القصة فنجد هذا المعنى بصيغة عموم العذاب لكل من

عصى "وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين" ⁴

وأما استخدام ليس وخبرها المقدم (شبه الجملة) في الآية الثانية فقد وقع بعد حرف الاستفهام (الهمزة)

وهذا السياق يفسره النحاة لغرض تقريرى فأنت لا تستفهم في نفي إلا بعد ثبوت الأمر وتقرره

" وقيل لا يختص بالنفي بل يقع بعد الإثبات والنفي لأن المقصود بالتقرير " حملك المخاطب على

الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر ثبوته أو نفيه" ⁵

وقد دل تقديم الخبر (منكم) بمعموله "ليس" على الإقرار باستحالة أن يكون فيهم الرجل الرشيد

¹ (هود ، الآية 85

² موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري ، دار الطباعة المنيرية القاهرة ، د ت، ج 7 ، ص 112

³ شرح ابن عقيل ، ج 1 ، ص 111.

⁴ الأعراف، الآية 64.

⁵ مغني اللبيب ج 1 ص 18.

وأما الآيتان الثالثة والرابعة فيتقدم خبر الحرفين المشبهين بالفعل (أن- إن) سبق في الآية الأولى بحرف شرط "لو" والغرض منها التمني ، إذ ذكرت على لسان لوط -عليه السلام- لما اشتد عليه بطش قومه فتمنى لو كان له قوة.

" ولو مستعملة في التمني وهذا أقصى ما أمكنه في تغيير هذا المنكر"¹

وجاء خبر إن "لي" مقدما للاهتمام والعناية بأمر الشخص الضعيف المفتقر إلى السند الذي يعينه على شدة البلاء.

أما أن في الآية الرابعة فالمعنى فيها التوكيد وهي مؤكدة مرتين بأن وباللام "إن في ذلك لآية" والتقديم زيادة في تأكيد الاهتمام والاختصاص.

4.2.1. تقديم المفعول به:

الأصل أن يتقدم الفاعل على المفعول نحو قولك أكرم زيد خالدا ، فهذا هو التعبير الطبيعي في اللغة وإن حدث أي تغيير في هذه الصورة فإنما يحدث لغرض معين يريده الملقى (المتكلم) أن يصل إلى المتلقي.

وقد ذكر النحاة مواطن كثيرة لحالات الوجوب والجواز لهذا التقديم وليس المقام هنا لحصر تلك الحالات وتحليلها إذ الكلام يطول ، وإنما سنعرض للحالات الواردة في مدونتنا ونقوم بتحليلها:

سورة الأعراف:

1- " وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "²

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج 05 ج 12 ص 130.

² الأعراف، الآية 160.

تقدم المفعول به "أنفسهم" على جملة الفعل والفاعل "يظلمون" والواضح من سياق الآية أنه حدث ظلم معيّن سبق ذكره بصيغة النفي "ما ظلمونا" وإنما قدّم المفعول به "أنفسهم" للدلالة على أنهم المعنيون بالظلم لا غيرهم.

وأحداث هذه القصة واقعة في الجزء الخاص بسيدنا موسى - عليه السلام - وما لاقاه من جحود اليهود فبعدما أنزل عليهم المن والسلوى عادوا ككل مرة يكفرون وما بكفروهم هذا يظلمون أحدا إن الظلم واقع على أنفسهم بالتحديد فناسب المعنى تقديم الأنفس.

سورة هود:

"وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دأرهم جاثمين"¹

"وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دأرهم جاثمين"²

ورد التعبير في قصتي صالح وشعيب -عليهما السلام- وقد تقدّم فيه ذكر المفعول به "الذين" على الفاعل الصيحة المؤخر، وتقديم المفعول في هذا المقام بغرض الدلالة على الاختصاص أي المخصوص بالفعل وهو شبه جملة (مضاف ومضاف إليه) إذ أضيف الاسم الموصول إلى ما يوضحه ويوضح فعله وهو الظلم.

خلاصة تقديم المفعول على العامل:

إن الظاهرة ككل حضورها قليل في المدونة وهو أمر لغوي طبيعي جدا، لأنها لو كثرت لربما أصبحت قاعدة تطغى على الأسلوب الصريح ، ولكن ظهوره - التقديم والتأخير - من حين لآخر يجعله ملفتا للانتباه ويحسّ القارئ حينها برونق أسلوبه مميز. وفيما يخص تقديم المفعول به ما بين السورتين مثلا فإنها ليست إلا نقاط طفيفة في النص لا تكاد تظهر فروقات لغوية كبيرة.

¹ (هود، الآية 67).

² (هود، الآية 94).

ومع ذلك فيمكن أن نشير إلى بعض الاستنتاجات بعد التحليل السابق وهي كما يلي :

●. أن التقديم في الوحدات بين السورتين هو زيادة في المعنى وتوضيح لبعض

الجزئيات لم تذكر في الموضع المقابل مثلا تقديم اللفظة (مصيبها) في قصة لوط -

عليه السلام - وزاد في الدلالة أسلوب القصر.

●. أن التقديم والتأخير ما بين السورتين يتراوح ما بين الانتقال في الإشارة من الجزء

إلى الكل وفي المقابل ينتقل من الكل إلى الجزء مثلا معنى النجاة كان خاصا في

قصة موسى -عليه السلام - (سورة الأعراف)وعاما في نفس القصة من السورة الثانية

(سورة هود-عليه السلام-).

●تكرار صيغة التقديم والتأخير بعينها في بعض القصص جاء لتقوية المعنى مثلا

تقديم خبر النواسخ في (كيف كان عاقبة الجرمين).

●تقوية أسلوب التقديم ببعض الصيغ كالاستفهام والتمني وأدوات التوكيد والنفي مثلا

(أليس منكم ...) (لو أن ...) (إن في ذلك).

3.1.3.1. تقديم لفظ على آخر:

لقد وجدنا الألفاظ في الكلام عامة يقدّم بعضها على بعض بمقتضى الحال أو السياق فتدل اللفظة

المقدمة على معنى معين لم تكن لتؤديه وهي متأخرة، وكذلك هي الألفاظ في القرآن الكريم فإنما

تقديمها الذي قد يبدو عشوائيا ليس إلا لدلالة مقصودة فإذا كان الجمع تبديليا(واو) كما يدل ذلك في

علم الرياضيات والمنطق فالواو بين الألفاظ المرتبة للترتيب (الجمع والترتيب) ولا يحسن أن نغيّر من

ترتيبها فمثلا المواضع التي ذكرت على الترتيب (السماء والأرض) دلّت على أسبقية السماء في

الخلق على الأرض وأن هذا الموضع كان الاهتمام فيه بالسماء أكثر من الأرض ولا يصلح أن تكون

الأرض والسماء بهذا الترتيب في هذه الآيات.

وبالمقابل هناك مواضع أخرى تقدّم الأرض فيها على السماء لمناسبتها سياق الآيات فيكون الاهتمام بالأرض أكثر من السماء وكلّ من معجزات خلق الله - عز وجل - " إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول بجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام فما كانت به عنايتك أكبر قدّمته في الكلام والعناية باللفظة لا يكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخر في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك".¹

وعن هذا العنصر حاولنا استنباط بعض ما ورد في مدونتنا من أنواع تقديم الألفاظ عن بعضها البعض بصفة عامة ثم نعرض لخلاصة تقابليه بين السورتين .

1.3.1. التحليل:

سورة الأعراف:

1- "والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"² وردت الآية في قصة موسى - عليه السلام - ذكرت هذه الآية أفعالا متتالية الحدوث لا يمكن تقديم بعضها عن بعض فالذين عملوا السيئات ثم جاءت بعد ذلك توبتهم وإيمانهم كافأهم الله عز وجل بالمغفرة والرحمة؛ المغفرة على الإساءة ، والرحمة بأن هداهم للإيمان.

ويمكن أن نلخص تتابع الأحداث في المخطط التالي:



¹ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني ص 51 - 52.

² الأعراف، الآية 153.

وقد قيل عن سبب التقديم والتأخير في هذه الآية أنه يحدث لسبب هو " لتحقيق ما بعده واستغنائه هو عنه في تصويره" ¹ ، أي لكل سبب مسبب والنتائج تحصيل حاصل فالتوبة لا تكون إلا بعد ذنب وإساءة ولا يمكن لها أن تكون بعد الإيمان.

2- "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون" ²

في هذه الآية الكريمة ورد ذكر "نتق الجبل" مقدما على الجار والمجرور المتعلق ببني إسرائيل للاهتمام بأمر الجبل في هذه السورة ، إذ لم يرد ذكره في سور القرآن الكريم أين ذكرت القصة كما أن ذكر الجبل في هذه الصورة تناسب مع الجو العام للقصص الواردة بمعنى القوة والدعوة والتهليل والتعظيم لعذاب المشركين.. وفيه إخافة وتهديد كبيرين ولذلك ذكر الجبل في آية سورة الأعراف لأن الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والاقتلاع وعادة ما تذكر الجبال في القرآن في موقع التهويل والتعظيم" ³

ونشير أنه لم يرد تفصيل في قصة موسى عليه السلام أو ذكر للجبل وما جاء من أمر بني إسرائيل في سورة هود-عليه السلام-.

3- " من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فأولئك هم الخاسرون" ⁴

وقد جرت عادة القرآن الكريم أن يذكر ما من شأنه التلاؤم والسياق، ومنه هذه الآية حيث قدمت الهداية على الضلال إذ تلاعت مع ما قبلها وبعدها من آيات:

¹ محمد كريم الكواز ، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص 309.

² الأعراف، الآية 171.

³ فاضل صالح السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني، ص 35.

⁴ الأعراف، الآية 178.

قبلها: " وإذا قالت أمة منهم لما تعضون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً"¹

" فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب

بئس بما كانوا يفسقون"²

" وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك و بلوناهم بالحسنات والسيئات

لعلهم يرجعون"³

بعدها : " وممن خلقنا أمة يدعون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا

يعلمون " "⁴

" قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء"⁵

ويمكن أن نرسم ترتيب هذه الأفعال من ناحية تقديم النفع على الضرر، وجعل آية الهداية نقطة

الالتقاء وقمة الحدث كما يلي بشكل هرمي ينزل بنفس الطريقة التي صعد بها:

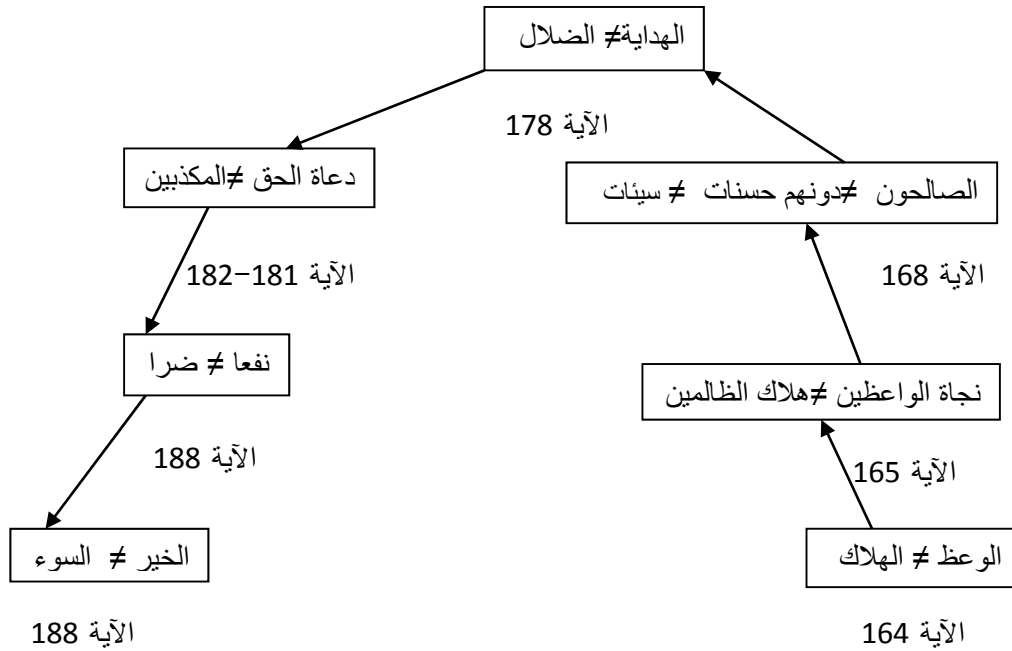
¹ (الأعراف، الآية 164.

² (الأعراف، الآية 165.

³ (الأعراف، الآية 168.

⁴ (الأعراف، الآية 181-182.

⁵ (الأعراف، الآية 188.



وبمقابلة هذا المعنى في سورة هود عليه السلام وفي قصة موسى - عليه السلام - بالتحديد نجد أن

هذا المعنى يزداد تأكيداً (لتقديم النفع على الضرر) وعلى هذا جاء قول النبي (ص) حكاية عن الله

تعالى: "إن رحمتي سبقت غضبي" وقوله تعالى في سورة هود "إن الحسنات يذهب السيئات"¹

ومواضع كثيرة من القرآن الكريم تقدم الرحمة على العذاب إلا في مواضع معينة اقتضت الحكمة فيها

تقديم ذكر العذاب على المغفرة بقصد الترهيب والزجر.*

"يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد"²

وقد تناسب تقديم الشقي على السعيد لأسباب دلالية سياقية ثم لأسباب صوتية.

أولاً: أسباب صوتية للمحافظة على الفاصلة الدالة مع المد ووقعها في آخر الآيات وهو ما حدث قبل

وبعد هذه الآية. وليست الفاصلة والتوافق الصوتي هو السبب الوحيد بل السبب الدلالي أعمق.

¹ هود، الآية 114.

* للتفصيل أنظر فاضل صالح السامرائي التعبير القرآني ص 60-61.

² هود، الآية 105.

ثانياً: لأسباب دلالية ومنها التخويف والترهيب لأن القصة دلت على معاني النكران والجحود ثم مباشرة بعد ذكر فرعون ذكرت القيامة والنار وعذابها وكل ما جاء في السياق هو الحديث عن وعيدهم وعقابهم

" وسبب ذلك أن الكلام قبل هذه الآية على ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الأولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير"¹

3-تقديم الجن على الإنس وتقديم البصر على السمع:

" ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل"²

في هذه الآية وردت ثنائيات يقدم فيها لفظ على آخر، يختلف ترتيبها في القرآن الكريم بأسره من موضع لآخر هما :

- (الجن = الإنس).

-(البصر = السمع)

وعلى اعتبار السياق الذي ترد فيه الآية يتم هذا الترتيب ففي هذا الموضع يقدم الجن على الإنس على اعتبار أن ما ذكر بعد ذلك من قلوب وعيون وآذان من خصائص الإنس والجن:

" وقد قدّم الجن على الإنس في الذكر ، ليتعيّن كون الصفات الواردة من بعد صفات الإنس وبقرينه قوله "أولئك كالأنعام" "³.

¹ محمد كريم الكواز، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص 311 ، وهو ينقل عن المثل السائر ج 2 ص 333.

² الأعراف، الآية 179.

³ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير مج 04 ج 09 ص 183.

وقد ورد نفس المعنى في سورة هود -عليه السلام- إذ قدّمت الجن على الإنسان في دخول جهنم وهذا قد يدل والله أعلم على العدد الكثير بالأسبقية في الدخول أو على العمل السيء ونسبته بالأسبقية إلى من يدخل جهنم. "لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"¹

وخلاصة القول أن تقديم الجن على الإنسان لأسباب هي :

-الأسبقية في الخلق.

-الأسبقية في فعل المنكرات.

-الأسبقية في العذاب.

ويلخص هذا قوله تعالى:

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".² "وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ"³

" إن القرآن الكريم يقدم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام فقد يكون سياق الكلام مثلاً- متدرجا حسب القدم والأولوية في الوجود فيرتب ذكر الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا"⁴

(البصر = السمع) :

يعتبر تقديم البصر على السمع من الحالات القليلة في القرآن الكريم إذ يكاد يكون تقديم السمع على البصر من الاطراد*

¹ هود، الآية 119.

² الذاريات، الآية 56.

³ الحجر، الآية 27.

⁴ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 53.

* للمزيد من التفصيل أنظر الخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية عبد العظيم المطعني ج 2 ص 106 وما بعدها.

وفي هذه الآية يشبههم الله -عز وجل- "الذين يدخلون النار" بالأنعام إذ الأصل في قلب الإنسان أن يفقه ولسمعه أن يسمع ولبصره أن يبصر ويتدبر في بدائع صنع الخالق عز وجل ولما انتهى عنهم ذلك قدم البصر عن السمع إذ بصرهم ورؤياهم للأشياء كرؤية الأنعام إليها لا يختلف بل الذي يفترض أن يختلف هو التدبر و التفقه والسمع من أسباب ذلك.

"شبههم بالأنعام فأخر السمع ليكون مجاورا لتشبيههم بها ، لأن الأنعام لا تختلف رؤيتها للأشياء عن رؤية الإنسان لها، وإنما يقع التخالف في السمع إذ لا يميز الحيوان بين النصح وغيره من الأقوال ولا تثمر فيه النذر" ¹

ونجد المعنى بهذا الترتيب في نفس السورة في الآية التالية:

"ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنتظرون" ²

وهذه الآية وردت لترد على من اتخذوا الأصنام آلهة ففي المرة الأولى يجعلها -عز وجل- نداً لهم ثم يفضل العابد على المعبود من الأصنام في المرة الثانية "استهزاء بهم أي قصار أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فأن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم، ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال: ألهم أرجل يمشون بها" ³

¹ عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، ص 112.

² الأعراف، الآية 195.

³ الكشف ج 2 ص 178.

وعن ترتيب أعضاء الجسم فهو على سبيل الترقى من الأسفل إلى أعلى "قبدأ بأسفل عضو وترقى إلى الأعلى ووصف أرجلهم بالمشي وهو دون البطش إذ أن البطش تناول وأخذ بشدة فجاء بالأدنى مع الأدنى وبالأعلى مع الأعلى"¹

¹ (محمد كريم الكواز ، الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ص 311).

2.التصوير البياني :

1.2.المفهوم :

لقد ثبت لنا في فصول هذا البحث المختلفة المواضيع (صوت و صرف و تركيب)عظم الإعجاز القرآني فيها ، فلا تكاد ترد الفاصلة فيه إلا لغرض دلالي يتلاءم وينسجم مع الإطار العام للقصة أو القصص ككل، وكذا اللفظ والجملة.

وبما أن القرآن الكريم هو كتاب تشريع وأحكام ، فقد ضم إلى جانب ذلك بلاغة لم تتأت ولن تتأتى لأحد قبله أو بعده ، ثم إن القول بتلك المداخل اللغوية الجيدة الحيك فيه هل هو كاف في أمر البلاغة والتأثير فكيف كان يقال عنه زمن قريش أنه سحر وأن محمداً (ص) ساحر وهو المعروف بينهم بالصادق الأمين ؟لاشك أن للجانب التصويري والبياني فيه دور في ذلك ؟

- فما المقصود بالصورة البيانية وبالتصوير البياني ؟ وماذا يعملان في الآية إضافة إلى

العناصر السالفة الذكر من (صوت و صرف و تركيب)؟

ودونما التعمق في البحث البياني وما جاءت به البلاغة العربية الموروثة نشير فقط إلى بعض المفاهيم والتعاريف الواردة هنا وهناك من أجل بسط أرضية العمل التطبيقي و الولوج إلى تحليل المدونة قيد الدراسة .المهم أن الاتفاق حصل على أن الألفاظ و العبارات لا يمكنها أن تؤدي نفس الدلالات التي تؤديها الصورة فبينهما فرق كبير، من ظروف النشأة وأسبابها ومفهوم الصورة و البيان ثم ما جاءت به الدراسة الحديثة من مصطلحات ومفاهيم جديدة من خيال وتخيل مقابلة لمفهوم الصورة .

قال الجرجاني : " واعلم أن المجاز على ضربين مجاز على طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى المعقول ، فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا : اليد مجاز ، النعمة والأسد مجاز في الانسان وكل ما ليس بالسبع المعروف ، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة ، لأننا أردنا

أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وصفت له ابتداءً في اللغة وأوقعها على غير ذلك، إما تشبيها وإما لصلة وملابسة بين ما نقله إليه وما نقله عنها¹

ثم يواصل حديثه في التفرقة بين الكلام الذي هو أصل في اللغة (طريق اللغة) أو الكلام الذي هو مجاز على طريق المعقول .

"ومتى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة"² وقد عاد الجرجاني إلى المقولة المشهورة للجاحظ في كون المعاني معروفة لدى الجميع وإنما يحصل التفاضل في حسن الصياغة وجودة السبك . " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك "³ مع العلم أن الشعر هو ديوان العرب وكلامها الذي تتفاخر فيما بينها القبائل أساسه حسن الصورة وجمالها "إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير"⁴

وبهذا يكون للجاحظ الفضل والسبق في فهم و تذوق أمر الصور البيانية بجمالها وتأثيرها في المعنى حيث تحول الكلام العادي إلى كلام مرموق يتنافس به الأدباء ويتفاضلون.

- وأما الآيات التي تحتوي الصور البيانية يدرجها القدامى تحت باب المجاز وأحياناً أخرى

تحت عنوان الآيات المتشابهات (المحكم والمتشابه) وهي الآيات التي تستدعي طول تفكير

وتمن من ألهمهم الله نصيب من المعرفة والعلم من أجل أن يظلّ القرآن الكريم محل تفكير

وبحث وامعان نظر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 112.

² المرجع نفسه ، ص 112.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 48.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 48.

"إن المتشابه من الآيات ليس هو الغامض بل هو الذي يعجز عامة البشر من العلماء عن فهمه، لأن فهم المتشابه يقتضي رسوخاً في العلم"¹

"وهذا يعني أن مجازات القرآن التي غالباً ما تقترب بالآيات المتشابهات هي تذكير للناس بوجوب السعي إلى الراسخين في العلم"² وعلى هذا التأسيس تكون مجازات القرآن هي الآيات المتشابهات التي يعجز عن فهم معانيها العلماء بعقلهم والعارفون بعلمهم ، ولا يتيسر فهمها إلا للراسخين ، وسر ذلك كي تبقى معجزة القرآن قائمة ، إذ لو كانت معاني القرآن كلها محكمة وكلها واضحة لسقط في التاريخية ومن ثم سرت عليه قوانين الزوال وبما أن القرآن أزلي سرمدي فإن فهم متشابهه هو السر في ديمومة بقائه هادياً"³ .

وقد تنبه المحدثون من الدارسين الى أهمية الصورة البيانية في الكلام فأفردوا لها كتباً بعينها حيث يشير أحمد موسى الى ذلك الاختلاف الواضح بين أن يكون الكلام مجرد تحميل للكلمات أو حمل للدلالات والصور :

- "ولا ريب أن هناك فرقاً بين أن تفيض الكلمات بالمعاني والمقاصد ، وأن تفيض بها الأحداث والصور ، فرق بين ما يدل عليه لفظ الشجاعة ، وما تدل عليه صورة الأسد ببطشه واقدامه وبأسه وشِدَّتِه"⁴ .

- أما سيّد قطب فيرى أن دراسة الصورة البيانية في القرآن عند القدامى مرت بمراحل هي:

¹ الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تح على محمود مقلد ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1984 ص 10 .

² المرجع نفسه ص 11 .

³ المرجع نفسه ص 12 .

⁴ (محمد أبو موسى ، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مكتبة وهبة ، ط 03 ، القاهرة 1993، ص 07 .

1- عصر الصحابة :الانبهار الى حدّ الدهشة، مع التخرج من مسّ هذا السحر الالهي والاكتفاء بما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

2- عصر التابعين : اقتصر على توضيح المعنى اللغوي الذي فهموه في الآية بأقصر لفظ.

3-أواخر القرن الثاني : عرف التفسير في مباحث فقهية وجدلية ونحوية وصرفية وخلقية وفلسفية وتاريخية وأسطورية ¹ .

ثم أشار الى " رجل متأخر - نوعا ما - كان يقع له بين الحين والحين شيء من التوفيق في إدراك بعض مواضع الجمال الفني في القرآن هو الزمخشري ² إذن فقراءة الصورة البيانية في كتب القدامى لم تشف قلب سيّد قطب الذواقة إلى الخيال ، وإعادة تصوير الوقائع والحوادث بحلّة منمّقة جميلة يجعلك تعيش الموضوع المراد .

وبقي البحث الجمالي بعيدا عن مراده وحقيقة أمره : "بقي الباحثون في البلاغة وفي إعجاز القرآن ، وكان المنتظر أن يصل هؤلاء -وقد حُلّي بينهم وبين البحث في صميم العمل الفني في القرآن - أن يصلوا إلى ما لم يصل إليه المفسرون ولكنهم شغلوا أنفسهم بمباحث عقيمة حول "اللفظ و المعنى " أيهما تكمن فيه البلاغة ، ومنهم من غلبت عليه روح القواعد البلاغية فأفسد الجمال الكلي المنسق ،و المنصرف عنه الى التقسيم والتبويب ،ووصلوا في هذا وذلك في بعض الأحيان الى درجة الاسفاف لا تطاق ³ .

مع العلم أنه لا يلغي الفضل العظيم لإمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني في هذا الأمر - وكيف ذلك - اذ جمع بين البلاغة والاعجاز في أبحاثه وبلغ درجة عالية من التوفيق كانت ولا تزال المرجع والانطلاقة إلى كل من أراد أن يبحث في شتى مواضيع اللغة والقرآن اذ يقول عنه " لقد أوشك أن

¹ سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق ،ط16، القاهرة 2002 ص 27.

² سيد قطب ، نفس المرجع ،ص28.

³ سيّد قطب ، نفس المرجع ،ص 29.

يصل إلى شيء كبير في كتابه " دلائل الاعجاز لو لا أن قصة "المعاني والألفاظ" ظلت تحايل له من أول الكتاب الى آخره ، فصرفته عن كثير مما كان وشيكا أن يصل إليه ، ولكنه على الرغم من ذلك كله كان أنفذ حسا من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم حتى في العصر الحديث"¹.

و نشير أخيراً إلى مفهوم التصوير عند سيّد قطب -الذي يعدّ من المتميّزين حديثاً في هذا الباب - فلا يكاد يتبادر إسمه إلى الأذهان أولاً عن غيره إذا ما ذكر هذا المصطلح "التصوير الفني في القرآن" حيث يقول في تعريفه : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الانساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد....."².

وفي هذا العنصر من البحث نود أن يكون العمل والدراسة تتبعا واستجلاء لأمر الصورة والصيغة التي جاءت بها في القصص المعنية بالدراسة ومقابلتها بين بعضها البعض وكيف أثّرت في رسم الدلالة وهل حدث تكرار أم تنوع أم إضافة في الصورة ؟.

2.2. التحليل :

لقد كان أمامنا خياران إثنان في كيفية تقديم هذا المبحث ، فإما أن: نأخذ كل قصة على حدة ونتتبع نوع الصورة الموجودة فيها ونقابلها بنظيرتها في الجهة المقابلة . وإما أن:

نأخذ الصورة ونبيّن نوعها (استعارة أو كناية أو تشبيها) وندرسها من الجهتين (في السورتين) .

آثرنا في البداية الخيار الثاني (نوع الصورة) إهتماماً منا بأمر الصورة الفنية على سبيل التقديم ، إذ هي موضوع الدراسة لكن وجدنا انفسنا أمام مزيج من الصور وليس صورة واحدة فقط ، فالآية الواحدة

¹ (سيّد قطب ، نفس المرجع ، ص 31.

² (سيّد قطب ، نفس المرجع ، ص 36.

قد تحوي في نفس الوقت (استعارة و كناية و تشبيها)، لذلك عدنا بعد عناء البحث إلى الخيار الأول إذ نأخذ القصة الواحدة من السورة الأولى ونحيطها بالتحليل من جميع جوانبها الفنية ، ثم نصل إلى مقابلتها بالقصة نفسها في السورة الثانية لنخرج في الأخير بحوصلة في التحليل .

1.2.2. قصة نوح عليه السلام :

في سورة الأعراف :

ذكرت قصة نوح -عليه السلام- في هذا المكان بطريقة مقتضبة مركزة على أمر مهم وهو العبودية لله الواحد الأحد ، والتجرد من كل تبعية بالخضوع لأي بشر كان ، ومن هنا لم ترد أي صورة بيانية في القصة تستدعي الوقوف عندها إلا بعض المجازات المرسلة في قوله تعالى :

"إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"¹

فقد جعل الضلال ظرفا والضلال ليس ظرفا يحل فيه الانسان لأنه معنى من المعاني ، وانما يحل في مكانه ، وفي الصحاح : "ضَلَّ الشيء يَضِلُّ ضَلالاً ، أي ضاع وهلك ، والضلال ضد الرشاد "² وقد ورد المعنى للدلالة على المبالغة في الضياع والابتعاد عن سبيل الرشاد، إذ كيف يصنع سفينة بأرض ليس بها بحر ولا ماء " فاستعمال الضلال في مكانه مجاز مرسل أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته الحالية وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها "³ ومثل هذه التعابير المجازية تصنع جواً جديداً لم يألفه السامع في الواقع الحقيقي ، بل متخيلاً ، حتى وكأنه يراه رأي العين ، وبهذا أصبح معنى الضلال في نظر المكذبين كلُّ حال نوح - عليه السلام - يحيط به من كلِّ اتجاه، و المجاز هو " كلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقت له في وَضْع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز وإن شئت قلت: كلُّ كلمة جُرِّتَ بها ما وقعت

⁽¹⁾ الأعراف ، الآية 60.

⁽²⁾ الجوهرى ، الصحاح ، ج 04، ص 1748.

⁽³⁾ محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه دار اليمامة للطبع و النشر و التوزيع ، دون طبعة، دمشق 1980 ج 3 ص 376.

به في وَضْع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضِعاً، لملاحظة بين ما تُجَوِّز بها إليه، وبين أصلها الذي وُضِعَتْ له فيوضع واضعها، فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن¹

في سورة هود - عليه السلام - :

من أعظم الصور التي نجدها هنا هي صورة الطوفان والغرق ،والسفينة تتماوج بالفتة الناجية فوق طوفان أمواجه عالية عاتية لا نجاة منها إلا على ظهر السفينة قال تعالى :

"وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (41) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (42) قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين"².

هذه الآيات والتي بعدها تصور مشهد بداية الطوفان وحدثه وصورة المغرقين منهم وقد ورد في الآيات تشبيه معجز تناسق وانسجم والصورة العامة للحادثة "موج كالجبال"، إذن الموج ارتفع وعلا علو الجبال وهو تشبيه مرسل توفّر على ثلاثة عناصر من أجزاء التشبيه (مشبه - مشبه به - الأداة) ويبقى وجه الشبه ليفهم ضمناً من الصورة وهو العلو ، لكن ما سيأتي في الآيات اللاحقة سيكون تعجيز لأمر ما (النجاة) صنعة التشبيه سابقاً وذلك في قول ابن نوح -عليه السلام- إنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء وعلى هذا جرت العادة أن يلجأ المرء إلى مكان مرتفع لينجو من الغرق أثناء الطوفان - لكن - السياق أورد أن الأمواج لم تترك شيئاً يابساً يظهر فهي التهمت حتى الجبال، كيف لا وهي "موج كالجبال".

¹(عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،ص105.

²(هود ،الآيات 41،42،43.

"وهذا التشبيه يبرز آثار قدرة الله في حماية عباده المؤمنين وسط هذا الخضم الزاخر الموار ،أي توحى شواهد بالهلاك المبين ،كما يبرز آثار هذه القدرة في تسخير هذا الكائن الذي هدى سيدنا نوح - عليه السلام -إلى صنعه واتقانه إلى ما عم الأرض من الطوفان الذي ارتفعت وتراكت أمواجه ، ومع ذلك فقد أحسّ ركبوه الاطمئنان والأمان والثقة بقدرته تعالى على انجائهم"¹

" وتشبيهات القرآن الكريم حيّة حقيقيّة واضحة وليست على سبيل التشبيه والتصوير فقط و"إننا بعد آلاف السنين لنمسك أنفاسنا ونحن نتابع السياق والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد وهي تجري بهم في موج كالجبال ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء ، والفتى ابنه المغرور يأبى إجابة الدعاء والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء وكأن لم يكن دعاء ولا جواب ."²

وبعدها يأتي مشهد آخر يصور انتهاء العقاب وزوال الهول بالاستواء على الجودي وهو أيضا منظر عظيم في تكرار الجبل للمرة الثالثة .ليكون نجاة هذه المرة للسفينة بأكملها (الجودي جبل بأرض الجزيرة استوت

عليه السفينة عند إنتهاء الطوفان)³ . وقبل ذلك حصل النداء لآيتين عظيمتين من آيات الله الكونية (الأرض والسماء) وهي استعارة مكنية لأنها تؤمر بأن تفعل ما يفعله الانسان العاقل المميّز (إبلي ماءك وأقعلي) ثم إن في الآية مجاز مرسل في يا سماء أقلعي والحقيقة يا مطر السماء اقلعي والعلاقة في هذا المجاز السببية ، لأن الماء سبب المطر أو المحلية لأنها محلها بما يتجمع فيها من

¹ (دخيل الله بن محمد الصحفي ، سورة هود عليه السلام(دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية)رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة 1993 ،ص 241"

² (سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 04 ج 12 ص 1878 .

³ (محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن و بيانه، ج 04 ص 359.

سحب " ¹ وكذا نفس القول يقال في الأرض حين نوديت لتبلع "إضافة الماء الى الأرض مجاز أيضا تشبيهاً لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك " ²

وفيها إشارة هامة الى أن أصل بداية الماء كان من الأرض لا من السماء على سبيل الإعجاز ويدل على ذلك القول السابق "وفار التتور" لذلك جاءت الصورة بذكر الماء في الأرض وعدم إعادة ذكره في السماء

" يا أرضِ ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي " ونشير هنا إلى أن لهذه الآية فضائل كثيرة ودلائل عظيمة إستفاض المفسرون واللغويون والبلاغيون في شرح مزاياها ما لا يتسع المقام بذكرها جميعا * .

2.2.2. قصة هود عليه السلام :

سورة الأعراف :

"إنا لنراك في سفاهة" ³

"يا قوم ليس بي سفاهة" ⁴

والسفاهة هي الجهالة وخفة الحلم وسخافة العقل جاء في لسان العرب :

"سفه السفه والسفاه والسفاهة ، خفة الحلم وقيل نقيض الحلم ، وأصله الخفة والحركة وقيل الجهل وهو قريب بعضه من بعض" ⁵ وقد جعلت السفاهة موضعاً يحلّ في الانسان وهي ليست إلا معنى فكريا

¹ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج 4 ص 367.

² محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج 4 ص 367.

*أنظر محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن وبيانه ، ج3 ص 360.... 370

³ الأعراف، الآية 66

⁴ الأعراف، الآية 67.

⁵ ابن منظور لسان العرب مادة (سفه).

هذا على سبيل المجاز المرسل . " واضح أن الضرف هنا أثار صورة حية لهذا الضال الذي صار منغمسا في ضلاله مستغرقا فيه ، لا يكاد يبصر شيئا من نور الحقيقة ¹

سورة هود عليه السلام :

لم ترد صور بيانية في هذا المقام وبقيت السورة تحقق نفس المعاني الماضية توحيد العبودية لله الواحد الاحد ما عدا ما تبين لنا في هذه الآية "ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب عظيم" ². وهذه استعارة لأن العذاب في الحقيقة لا يوصف بالغلط ولا بالدقة... لأن الألم الذي يلحق الحي في قلبه أو جسمه وإنما وصفه سبحانه وتعالى بالغلط على طريقة كلام العرب لأنهم يصفون الأمر الهين بالضئولة و الدقة كما يصفون الأمر الشاق بالغلط والشدة حملا لذلك على عرضهم في المراعاة للشيء الغليظ الكثيف وقلة الحفل بالشيء الدقيق الضئيل ³..

وقد يكون المراد بعذاب غليظ هنا صفة عذاب الآخرة، وعذاب الآخرة إنما يقع بالآلات المستعظمة والأعيان المستعظمة مثل مقامع الحديد والحجارة المحمأة .

"قوصف سبحانه العذاب بالغلط لأنه واقع بالأشياء الغليظة والآلات الثقيلة فيكون ذلك مجازاً من هذا الوجه" ⁴. ودلّ على ذلك تكرار التجية باللفظ لأن الأولى غير الثانية فالأولى للدنيا والثانية للآخرة - والله أعلم - . والاستعارة عند أصحاب اللغة هي: "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" ⁵

¹ (محمد أبو موسى ،التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان) ،ص225.

² (هود، الآية 58.

³ (الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ص 106.

⁴ (الشريف الرضي ، تلخيص البيان ص 107 .

⁵ (الرماني والخطابي والجرجاني ،ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص 162.

3.2.2. قصة صالح عليه السلام :

سورة الاعراف :

يعرض القرآن الكريم في بداية الصورة إلى مشهد مثير يبين حجم النعيم والرفاهية التي كان عليها قوم صالح عليه السلام وهي نعمة من الله وفضل منه يقارنها في الأخير بحجم العذاب الذي وقع عليهم فأبادهم اباداً لم يبق لهم بعدها أثر ، فقد رسم لنا صورة القصور والسهول وجبال منها البيوت .

"واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً تختون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين"¹. وتأتي صورة العذاب الحاصل بعد أن كذبوا نبيهم واغترؤا بما هم فيه من نعيم أن عذبهم الله بالرجفة .

"فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين"². وهذه استعارة المراد بها اهلاكهم بالرجفة كما يقال أخذ الله من مأمنه بمعنى عاقبه الله وأهلكه وذلك أن المعاقب في الشاهد يكون مأخوذاً مدفوعاً ومزلزلاً متعتعاً³ . وعن مشهد الهلاك وكيفية تصويره يري سيد قطب أنه كان شعوراً مقابل شعور أي إحساس نفسي (أ) بالتبجح والاستهتار مقابل إحساس نفسي (ب). بالرجفة والفرع "والرجفة والجثوم ، جزاء مقابل للعتو و التبجح فالرجفة يصاحبها الفرع و الجثوم مشهد للعجز عن الحراك وما أجدر العاتي أن يرتجف وما أجدر المعتدي أن يعجز جزاء وفاقاً في المصير وفي التعبير عن هذا المصير بالتصوير"⁴.

وعن معنى الجثوم يقول أبو عبيدة في المجاز " جاثمين أي بعضهم على بعض جثوم ،وله موضع آخر جثوم على الركب ، قال جرير :

¹ الأعراف الآية 74.

² الأعراف ، الآية 78.

³ الشريف الرضى ، تلخيص البيان ص 74

⁴ (سيد قطب، في ظلال القرآن مج 03 ج 08 ص 1314).

عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحدأ الجنوم¹.

وفي المقاييس "الجيم والثاء والميم أصل صحيح يدلّ على تجمع الشيء ، فالجنثان شخص الإنسان ، وجثم إذا لطئ بالأرض ، وجثم الطائر يجثم وفي الحديث : "نهى عن المُجَثِّمة " وهي المصبور على الموت² : وجاء في الصحاح " جثم الطائر ، أي تلبد بالأرض يجثم ويجثم جثوما ، وكذلك الإنسان . قال الراجز :

إذا الكماة جثموا على الركب تَبَجَّتْ ياعَمْرُو تُبْجُجُ الْمُحَنِّطُ³

وبهذا تكون الصورة واضحة عن الحالة التي كان عليها القوم بعد أن حلّ فيهم العذاب فهو جمود إلى حدّ الموت لا حراك بعده ، و هي صورة مريعة مذهلة .

سورة هود عليه السلام :

يستغني القرآن الكريم في هذه السورة عن رسم صورة النعيم والرفاهية الواردة آنفا في سورة الأعراف ويركز على صورة المجادلة التي حدثت بين صالح وقومه الى أن يصل إلى تصوير العذاب وهو مشهد تساوت فيه النتيجة أي "الجنوم " .

ولكن هذه المرة يذكر لنا جانبا من العذاب لم يذكر في السورة السابقة وهو الصيحة (صوت الصاعقة) "فقد كانت مينة ثمود مينة مخزية وكان مشهدهم جاثمين في دورهم بعد الصاعقة المدوية التي تركتهم موتى على هيئتهم مشهدا مخزيا⁴ .

" وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين⁵

فتلك الصيحة بعثت بالرجفة في قلوبهم ليكتمل تصوير صورة العذاب فهي :

¹ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، تح محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، ط ، القاهرة 1954 ، ج 01 ، ص 218

² ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 01 ، ص 505 .

³ الجوهرى ، الصحاح ، مج 05 ص 1882 .

⁴ سيّد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 04 ج 12 ص 1909

⁵ هود ، الآية 67 .

صيحة + رجفة + جثوم = هلاك

والرجفة هي "إضطراب الأرض وإرتجاجها فتكون من حوادث سماوية كالرياح العاصفة الصواعق وتكون من أسباب أرضية كالزلازل فالرجفة اسم للحالة الحاصلة وقد سمّاها في سورة هود بالصيحة فعلمنا أن الذي أصاب ثمود هو صاعقة أو صواعق متتالية ، رجفت أرضهم وأهلكتهم صعقين، و يحتمل أن تقارنها زلزال الأرضية"¹

4.2.2. قصة لوط عليه السلام :

سورة الأعراف :

تدخل هذه السورة مباشرة في تصوير مشهد آخر من مشاهد الأقوام الغابرة الضالة بعد انتهاء مشهد هلاك ثمود وبصورة سريعة مختصرة وقبل أن ينتهي في نفس القارئ إحساس الرهبة من الرجفة ، ومن ذهنه منظر الهلاك يأتي مشهد المطر الغزير الذي أهلك قوما أجزموا .

سورة هود :

تفتح القصة بالإشارة إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع ضيفيه ومجادلتهم في أمر قوم لوط وإضافة إلى ذلك فالسورة ترسم لنا كناية عن سر المقابلة بين قصة لوط (العذاب) وجانباً من قصة ابراهيم (البشرى) عليهما السلام .

ويتوالى صعود الأحداث الى أن تصل إلى قمة العقدة في تصوير شدة الحرج الذي وقع فيه لوط - عليه السلام- وقوة البلاء الذي لا مخرج منه حيث قال : "لو أنّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد"². والصورة هنا استعارة فالإنسان عادة يلجأ إلى ركن من البناء الحصين المنيع ليجد فيه الأمن والأمان أو ركن من الجبل الشديد العظيم .

¹ (ابن عاشور، التحرير و التتوير، مج 4 ج 8 قسم 2 ص 227.

² (هود ، الآية 80.

والمراد هنا على إختلاف ما جاء به المفسّرون إمّا ان يكون (الركن) القبيلة ذات البأس وكانت تلکم قوة للفرد آنذاك ، أو كلام وجهه إلى الفتية الضيوف (الملائكة) الذين كانوا صغار صباح الوجه ولكنهم في نظره ليسوا بأهل بأس ولا قوّة فالتفت إليهم يتمنى أن لو كانوا أهل قوة فيجد بهم قوة أو ركن شديد يحتمي به من ذلك التهديد ¹ وجاء في تلخيص البيان أن المعنى فيه حذف زاد من قوة العبارة في تصوير نوع الوعيد "والحذف ها هنا أبلغ لأنه يوهم المتوعد بعظيم الجزاء وبغليظ النكال ويصرف وهمه إلى ضروب العقاب ولا يقف النكال ويصرف وهمه الى ضروب العقاب ، ولا يقف به عند جنس من أجناس المخوفات المتوقّعات" ². كما أن في الأمر كناية إلى ما يوثق من شديد العون الذي يلقاه من رب العزة - عز وجل - وأراد زيادة العون من قبيلته : "وذلك أن لوطا عليه السلام إنما أراد الأعوان من قومه والأركان المستند إليه من قبيلته ، وهو يعلم أن له من معونة الله سبحانه وتعالى أشد الأركان وأعز الأعوان" ³ ، وعن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وهو يتلوا هذه الآيات : "يغفر الله للوط لقد كان يؤوي إلى ركن شديد" ⁴ .

وما بقي من وصف صورة العذاب استعارة جميلة رسمت صفة الحجارة مادة العذاب (مسومة):

"مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد" ⁵.

وهذه الصورة تدل على أن الحجارة كانت معلمة مرسومة "أي معلمة بالسيماء وكانت عليها أمثال الخواتيم" ⁶ " السومة بالضم : العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضاً...والخيل المسومة

¹ (سيد قطب ، في ظلال القرآن، مج 04 ج 12 ص 1914

² (الشريف الرضى، تلخيص البيان ص 107.

³ نفس المرجع ص 108.

⁴ (رواه أبو هريرة ،ابن حجر العسقلاني ،فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،دار المعرفة ،بيروت 1973 ، مج 06 ،ص415.

⁵ (هود، الآية 83.

⁶ (أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ج 01 ص 297 .

المعلّمة...وقوله تعالى " مسؤمين " قال الأخفش: يكون مُعلّمين ويكون مُرسَلين¹ وتدل هذه الاستعارة على وجه شبه حاصل ما بين فرس الحروب وحجارة العذاب فالتسويم عند العرب هو "العلامات التي يعلم بها الفرسان والأفراس في الحرب للتمييز بين الشعارات والتعريف بين الجماعات قال تعالى : "يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين " ². وقال تعالى : "والخيل المسؤمة³ والمعنى أنه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حرباً لهم وعواناً عليهم وصفها بوصف رجال الحرب وخیولهم فكانها رسالة من عند اللهوقد قال بعضهم أن تلك الحجارة كانت على الحقيقة معلّمة بعلامات تدل على أنها عدت للعذاب وأفردت للعقاب وذلك أملاً للقلوب⁴ وعند مقابلة المعنى المعنى بين السورتين نجد أن العذاب كان بالمطر في السورة الأولى وتكتمل الصورة في السورة الثانية بالتوضيح أن المطر كان بالحجارة المسؤمة في السورة الثانية ولا تباين ولا تعارض بين المعنيين فالحجارة من شدتها وكثرتها كانت كالمطر الذي ينزل من السماء بقوة ليس ماءً هذه المرة بل حجارة فلاحظ قطرة الماء كلما ازداد سمكها وسرعتها تحوّلت إلى عذاب في الأخير كان فعلاً حجارة لا برد ولا ثلوج وقد أعطى سيّد قطب صورة جميلة معبّرة عن كثرة الحجارة المسؤمة قائلاً :

"مسؤمة عند ربك ... كما تسوم الماشية أي تربي وتطلق بكثرة ، فكأنما هذه الحجارة مرباه، ومطلقة لتتمو وتتكاثر لوقت الحاجة ، وهو تصوير عجيب يلقي ظلّه في الحسّ ولا يفصح عنه التفسير كما يفصح عنه هذا الظل الذي يليقه⁵ .

¹(الجوهري ،الصاح ، ج 05 ص1955.

²(آل عمران ،الآية 125

³(آل عمران ، الآية 14

⁴(الشريف الرضي ، تلخيص البيان ،ص 108

⁵(سيد قطب ، في ظلال القرآن مج 04 ج12 ص1915.

5.2.2. قصة شعيب عليه السلام :

سورة الأعراف :

تبدأ القصة منذ البداية بنفس الأسلوب السابق في القصص وهو الدعوة إلى التوحيد و التحذير من العذاب الشديد ولا تظهر الصور البيانية إلا في نهاية القصة والتعليق عليها ، فصورة العذاب هنا تشابهت مع قصة صالح -عليه السلام -فهي بالرجفة التي زلزلت كل ما على الأرض فأردتهم جاثمين.

" ولا تبخسوا الناس أشياءهم " ¹

وهي صورة مجازية تصور عظم الضلال الذي كان عليه قوم شعيب -عليه السلام - وهي أمراض اجتماعية تتعلق بالمعاملات التجارية. قال أبو عبيدة عن الآية " مجازه :لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تتقصوها " ²

" لنخرجنك يا شعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودنَّ في ملتنا " ³

وهي صورة أخرى توحى باختلاف الملتين نوفيها إichاء إلى أن شعيباً -عليه السلام - كان فيهم ومنهم ولكنه لم يكن منهم إذ هذا من قبل المجاز وهو نوع صادر على أساس التغليب " أدخل شعيب في العودة إلى ملتهم نعم أنه لم يكن فيها قط ،وعاد تغليباً للأكثر " ⁴ والواضح أن صور المجاز كثيرة في التعبيرات العربية لا يمكن حصرها في بعض العناصر ،إذ تبقى الغالبية منها سياقية تتحدد من خلال السياق و المقام " والقاعدة أنه متى وجد الكلام الصادر عن يعتد بكلامه مستعملاً في غير

¹الأعراف ،الآية

²أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ج 01 ص214.

³الأعراف ،الآية 88.

⁴أحمد سيد الهاشمي ،جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) ،تح يوسف الصميلي المكنبة العصرية ،صيدا بيروت 1999 ، ص215.

معناه الاصلي المعروف له وضعاً طلب المراد بالتأمل الصادق مستعينا بالقرائن وسياق المقال حتى ينجلي له وجه العدول ،وهذا ما يسمى بإخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .¹

سورة هود - عليه السلام .

تظهر أوّل استعارة في أسلوب الوعيد وفي بداية القصة قال تعالى :

"وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط"².

وهذه استعارة وصف فيها اليوم بصفة من صفات الأشياء المحسوسة (الاحاطة) وهو ليس كذلك. والتعليل لذلك -والله أعلم- أن إحاطة ذلك اليوم وهو يوم القيامة جاء في كونه "كالسياج المضروب بينهم وبين الخلاص من العذاب والافلات من العقاب"³. وتذكر القصة في صلب الموضوع بعض

الصور البيانية قبل الوصول إلى صورة العذاب نذكر منها قوله تعالى :

"أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نشاء"⁴

وهذه استعارة لأن الصلاة لا يصح منها الأمر على الحقيقة وإنما أطلق عليها ذلك لأنها بمنزلة الأمر بالخير والنهي عن الشر وقد قيل المراد بذلك دينك يأمرك بهذا أي في شريعتك ودينك لأمر بهذا فإذا كان ذلك في عقد الدين حس أن يضاف الأمر به إلى الدين ...⁵

قال تعالى : " أرهطي أعزّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا "⁶. إنها صورة بيانية دقيقة التعبير التعبير حيث تفصح عن فعل شنيع يصدر من القوم باتجاه رب العزة (ظهريا). فهم يعرضون عن سماع الذكر إلى أمرهم أرادوه كان خسرانا لهم وأين المفر من الله -العلي -المحيط بكل شيء."

¹ أحمد سيد الهاشمي ، نفس المرجع ص 212.

² (هود ، الآية 84.

³ (الشريف الرضي ، تلخيص البيان ص 109

⁴ (هود ، الآية 87

⁵ (الشريف الرضي ، تلخيص البيان ص 110.

⁶ (هود الآية 92.

مجازه ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه ،ويقال :للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها : ظهرت حاجتي وجعلتها ظهريّة أي خلف ظهرك ؛وقال : - وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر - أي من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم ¹ وعن نوع الصورة وقيمتها البلاغية يقول الرضي "وهذه استعارة لأن الله سبحانه لا يجوز عليه أن يجعل ظهرياً على الحقيقة فالمراد أنكم جعلتم أمر الله سبحانه وراء ظهوركم - وهذا المعروف في لسان لعرب أن يقول الرجل منهم لمن أغفل قضاء حاجته أو ثنى عطفاً عن عدله وعتابه جعلت حاجتي وراء ظهرك وتركت مقالي دبر أذنك اي لم تعن حاجتي ولم تصنع الى معانتي".² ويصف سيّد قطب هذه الصورة بقوله :

"وهي صورة حسية للترك والإعراض تزيد في شناعة فعلتهم ، وهم يتركون الله ويعرضون عنه وهو من خلقهم وهو رازقهم وممتّعهم بالخير الذي هم فيه فهو البطر وجحود النعمة.....والاحاطة أقصى الصور الحسية للعلم بالشيء والقدرة عليه ³.

- وفي الأخير يأتي مشهد العذاب والذي سبق وأن ذكرناه في السورة الأولى (الأعراف) فإذا كان رجفة في الأولى فهو صيحة في هذه المرة * وهكذا يكون العذاب نفسه الذي حل بآل ثمود .

"وأخذت الذين ظلوا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين"⁴

وهي استعارة لأن الأخذ يكون بالأشياء المحسوسة ،وهذه استعارة لأن حقيقة الأخذ إنما توصف بها الأجسام والصيحة عرض من الأعراض ، لأنها بعض الأصوات إلا أنها أقوى للأسماع صكا وقرعاً ، وأبلغ في القلوب وجلاً وروعاً ، والمراد أن إهلاكهم لما كان عن الصيحة حسن أن يقال أنها أخذتهم بمعنى ذهبت بنفوسهم وأتت على جميعهم ⁵.

¹ أبو عبيدة ،مجاز القرآن ،ج01 ص298.

² الشريف الرضي ، تلخيص البيان ،ص 110.

³ سيد قطب ، في ظلال القرآن ،ص 103

⁴هود الآية 94 .

⁵ الشريف الرضي ، تلخيص البيان، ص 110 - 111.

6.2.2. قصة موسى عليه السلام :

سورة الأعراف :

تعتبر قصة موسى عليه السلام أطول ما ورد من قصص في سورة الأعراف، فقد كانت أكثر تفصيلاً هنا من أي موضع آخر في القرآن ، مع العلم أنها تكررت كثيراً وفي غير ما موضع ، لذلك فإنّ الصور البيانية التي نرصدها فيها أكثر من تلك الموجودة في القصص الأخرى أو في نفس القصة من سورة - هود عليه السلام - .

1- "ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين" ¹.

وتصور هذه الآية وما جاء قبلها وبعدها مناظرة بين الحق والباطل، فتجعلك ترى مشهد الحيّة واليد البيضاء وسجود السحرة وكأنك حاضراً هناك ، وأما الصورة البيانية في الآية فهو الإزالة التي لم تكن حقيقية بنزع اليد واستئصالها من مكانها المعهود في الجسد بل حدث الإخراج من الجيب ولكن وجه النزع كان في السرعة والإسراع في حركة الإخراج ، من موضع كانت مستقرة فيه وقد قيل كأنّ موسى -عليه السلام- مدّ يده كثيراً لكي يتمكن الجميع من رؤيتها . " نزع يده ،أخرج يده فإذا هي بيضاء ...ولكنها كانت آية لأنه كان آدم " ²

فكأنه أخرج يده مبالغاً في بسطها وإظهارها لتتمكن العيون من رؤيتها فبعدت المسافة بينها وبين أختها " ³.

2- "ألا إنما طائرهم عند الله" ⁴.

ويقصد بالطائر (الطيرة- و التطير).وقد جاء السياق على ما عرف من كلام العرب أنها تتقاعل

¹ (الأعراف، الآية 108).

² (أبو عبيدة ،مجاز القرآن ،ج01 ص225).

³ (الشريف الرضي ، تلخيص البيان، ص 75).

⁴ (الأعراف، الآية 131).

بالطائر الذي يجيء من جهة اليمين وتسميه السانح، وتتشاءم بالطائر الذي يجيء من جهة الشمال وتسمية البارح، والطائر في الآية كناية عن الضر و النفع الذي يحذرونه أو يرجونه إنما يأتي من عند الله تعالى فليرج المرء النفع في طاعته لله وليصرف الضر عنه بترك معصيته.

وفي هذا التعبير يقول أبو عبيدة "مجاره :إنما طائرهم ،وتزاد "ألا" للتنبيه والتوكيد ، ومجاز "طائرهم ":
حظهم ونصيبهم"¹

3- " فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً " ²

الصورة في "التجلي" لجلالته عز وجل - وهو صورة مهيبه توحى بمعاني الرهبة والخشية في القلوب اذا ما رأت الجبل يدكّ أمامها دكاً والجبل قبلاً يدل على الصلابة و الشموخ وليس هو بشيء أمام جلالته - عز وجل - ، وعن معنى التجلي يقول الرضى "وهذه استعارة على أحد وجهي التأويل ، وهو أن يكون المعنى فلما حقق تعالى بمعرفته لحاضري الجبل بالآيات التي أحدثها في الجبل زالت عنهم في العلم بحقيقة عوارض الشبه وخواالج الريب وكأن معرفته سبحانه تجلت لهم من غطاء أو برزت لهم من حجاب ، وأما التأويل الآخر هو أن يقدر في الكلام محذوف هو سلطانه أو أمره سبحانه، و يكون تقدير الكلام فلما تجلّى أمر ربه أو سلطان ربه للجبل، و يكون ذلك قوله "جاء ربك" أي جاء ملائكة ربك أو أمر ربك أو عقاب ربك وهذه استعارة من وجه آخر، وهو من حيث وصف الأمر أو السلطان بالتجلي وإنما المتجلي حاملها

و الوارد بهما "³. أما عن معنى "جعله دكاً" فيقول أبو عبيدة "أي مستويّاً مع وجه الأرض، وهو مصدر جعله صفة ،ويقال ناقة دكّاء اي ذاهبة السنام مستويّاً ظهرها أملس ، وكذلك أرض دكّاء ،قال الأغلب :

¹(أبو عبيدة ، مجاز القرآن ،ج01 ص226.

² (الأعراف الآية 143.

³ (الشريف الرضي ، تلخص البيان، ص 76 -77.

هل غير غار دكَّ غاراً فانهدم¹

4- "لما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلّوا"².

تعبّر لفظة "سقط" على الحسرة والندم فيجعل الأمر الذي تشبّث القلب به غواية يسقط ويذهب حسرة على أمر لم يحصل عليه وهو الأحق بالأخذ لا شيء بين يديه. "يقال لكل من ندم وعجز عن الشيء ونحو ذلك :سقط في يد فلان"³

قال محي الدين درويش أن العبارة كناية "عن الندم فإن العادة أن الانسان إذا ندم على شيء عضّ بفمه على أصابعه فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم فأطلق اسم اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية"⁴.

يقول محي الدرويش في شرح الصورة البيانية في هذه الآية : " أنه على تفسير الزجاج استعارة تمثيلية لأنه شبه حال الندم في القلب بحال الشيء في اليد"⁵

وقد جاء في التحرير والتنوير أن "الكلمة أجراها القرآن مجرى المثل اذ انظمت على ايجار بديع وكناية واستعارة فان اليد تستعار للقوة والنصرة...وأما الكناية فهي في بعض أجزاء المركب وهو سقط في اليد"⁶

وأما عن استخدام هذه اللفظة عند العرب فلم تكن موجودة من قبل ويبين ذلك قول اللغويين : "قال أبو مروان اللغوي : قول العرب : سقط في يده مما أعياني معناه وقال الواحدي قد بان من أقوال المفسرين وأهل اللغة أن سقط في يده : ندم وأنه يستعمل في صفة النادم فأما القول في مأخذه وأصله

¹ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ج1 ص228.

² الأعراف، الآية149.

³ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ج1 ص228

⁴ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن ج3 ص459.

⁵ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن ج3 ص459

⁶ محمد الطاهر ابن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، مج 4 ج 9 ص 111،112.

فلم أر لأحد من أئمة اللغة شيئاً أرتضيه فيه وقال الزجاج وهذه اللفظة لم تسمع قبل القرآن ولم تعرفها العرب في النظم والنثر جاهلية وإسلاماً¹ .

1- "ولما سكت عن موسى الغضب"²

وفي هذه الآية يرد الغضب الذي من الحالات النفسية والمعنوية التي تصيب الإنسان أمراً مشخصاً وكأنه بشر يتكلم ويصمت. والمعنى في مجاز القرآن "أي سكن لأن كل كاف عن شيء فقد سكت عنه أي كف عنه وسكن ، ومنه : سكت فلم ينطق"³ ، وعن القيمة الجمالية لهذه الصورة ودوره في صنع إحدى روائع التعبير القرآني بالتشخيص، يعبر الشريف الرضي قائلاً: "والتعبير القرآني يشخص الغضب فكأنما هو حي وكأنما هو مسلط على موسى يدفعه ويحركه حتى إذا سكت عنه وتركه لشأنه عاد موسى إلى نفسه"⁴. وهذه استعارة شبه في الغضب بالإنسان الذي يتكلم غاضباً ويحدث ضجيجاً وصخباً وإذا ما سكت كفّ صخبه فحذف المشبه وترك وجه الشبه السكوت ، "وإنما قيل سكت لأن الغضب ان أبدا يكثر خصامه ويعلوا كلامه وإذا سكن غضبه زالت عنه تلك الصفة"⁵. ويمكن أن نشير نشير إلى استعارتين في السياق هما :

- "استعارة تصريحية تبعية: بتشبيه السكون بالسكوت .

- استعارة مكنية : في تشبيه الغضب بإنسان ناطق يغري موسى ويقول له : قل لقومك كذا وكذا"⁶

1- "ورحمتي وسعت كل شيء"⁷

¹ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن ج3، ص 456.

² الأعراف ، الآية 145.

³ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ج1 ص 229.

⁴ سيد قطب، في ظلال القرآن مج 1 ج 09 ص 1376.

⁵ الشريف الرضي، تلخيص البيان ص 77 .

⁶ محي الدين الدرويش ، إعراب القرآن ص 461 - 462

⁷ الأعراف، الآية 156.

جعلت الرحمة معنى مشخّصاً وصفت بالاتساع، وهذا لتدلّ على رحمة الله التي تشمل كل الموجودات .

2- " ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم"¹

" و الإصر : النّقل الذي ألزمه الله بني إسرائيل في فرائضهم وأحكامهم ، ووضعه عن المسلمين .ولذلك قيل للعهد : إصر"² قد أشار الأولون إلى كونها استعارة " الأغلال تحريم الله عليهم كثيراً مما أطلقه لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعله أغلالاً لأن التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد فاستعير"³ هذه استعارة والمراد بها وضع التكاليف الشاقة عنهم لتحريم التصرف في السبوت والأكل من اللحم المتصل بالعروق وما يجري هذا مما وردت شريعة نبينا (صلى الله عليه وسلم) وال بطرح كله وتخفيف ثقله لان ذلك مشبه بالأثقال الباهظة والأغلال اللازمة"⁴.

3- "وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ضلّه"⁵.

والنتق هو الجذب الشديد حتى الاقتلاع "نتق الشيء جذبه ونزعه حتى يسترخي"⁶ وجاء في المقاييس المقاييس أن "النون والتاء أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلمه من أصله ، تقول العرب : نتقت الغرب من البئر : جذبته"⁷ وقد أضاف ابن منظور للمعاني السابقة معنى الرّفْع "أي زعزعناه ورفعناه ... وقال الفراء في ذلك : رفع الجبل على عسكرهم فرسخاً في فرسخ ، وونتقنا رفعنا"⁸ وجاء في مجاز

⁽¹⁾ الأعراف ، الآية 157 .

⁽²⁾ ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تح السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، ط 02 ، القاهرة 1973 ، ص 148.

⁽³⁾ ابن قتيبة ، نفس المرجع السابق ، ص 148.

⁽⁴⁾ الشريف الرضي ، تلخيص البيان ، ص 78.

⁽⁵⁾ الأعراف ، الآية 171 .

⁽⁶⁾ الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ج 02 ص 174 .

⁽⁷⁾ ابن فارس ، مقاييس اللغة ، ج 05 ص 387.

⁽⁸⁾ ابن منظور ، لسان العرب مادة (نتق)

القرآن لأبي عبدة أن النثق هو الرفع -في شرح معنى هذه الآية" أي رفعنا فوقهم ،وقال العجاج : -
ينتق أقتاد الشليل نتقا - أي يرفعه عن ظهره ¹.

وفي السياق تشبيه مرسل ذكر المشبه والمشبه به ويفهم وجه الشبه ضمناً "تشبيه مرسل وفائدته هنا إخراج مالم تجريه العادة إلى ما جرت به العادة ² وهذه العلامة التي أظهرها الله -عز وجل لبني إسرائيل إذ نتق الجبل (رفعه) حتى أصبح كالضلة (السحابة) . هي صورة مريضة هائلة لجبل يصبح كالسحاب وهي الفرصة السانحة لأخذ الميثاق بالطاعة والعبادة أمام هذه المعجزة. "إنه ميثاق لا ينسى فقد أخذ في ظرف لا ينسى أخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلّه وظنوا أنّه واقع بهم ولقد كانوا متعاسين عن إعطاء الميثاق فأعطوه في ظل خارقة هائلة كانت جديرة بأن تعصمهم بعد ذلك من الإنتكاس ³.

4- وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ⁴.

الشاهد لفظ إنسلخ " السَلَخُ :كُشِطَ الإهاب عن ذِيهِ .سلخ الإهاب يسلخه ويسلخه سلخاً: كَشَطَهُ .. وكل شيء يفلق عن قِشر ،فقد إنسلخ .. إنسلخ النهار من الليل : خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوئه لأن النهار مكور على الليل ، فإذا زال ضوؤه بقي الليل غاسقاً " ⁵ وفي الصحاح ورد المعنى " سلخت جلد الشاة أسلخها واسلخها سلخاً ،والمسلوخ : الشاة سلخ عنها جلدها ،و سلخت المرأة ذرعها :نزعته" ⁶ فالإنسلاخ إذاً : يكون للأمر شديد الإتصال بالأصل مثل الثوب أو الجلد، وللجلد أكد أي الأمر المتصل بجسم الانسان ليكون ستر له من كل عيب وسوء فإذا خرج منه لاقى

¹ أبو عبدة ، مجاز القرآن ، ج 01 ص 232.

² محي الدين الدرويش، إعراب القرآن ، ص 492.

³ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 1 ج 9 ص 1389 .

⁴ الأعراف، الآية 175.

⁵ ابن منظور ،لسان العرب ، مادة (سلخ) .

⁶ الجوهرى ،الصحاح، مج 01 ص 423.

متاعب جمّة ، فكذلك هي آيات الرحمن أمن وسلام في وستر ووقاية من الضلال ، فالأصل في الإنسان الإسلام إذ هو دين الفطرة السليم التي يجبل عليها المرء يوم يولد فإذا خرج منه يكون كمن خرج من جلده. "فالظل الذي تلقّيه كلمة "إنسِلخ" يرسم صورة عنيفة للتخلص من هذه الآيات لأن الانسلاخ حركة حسية قوية"¹ .

5- "فمثله كمثّل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث"².

" كل شيء يلهث فإنما من إعياء أو عطش أو علة ، خلا الكلب ، فإنه يلهث في حال الكلال ، وحال الراحة ، وحال الصحة والمرض ، وحال الري والعطش . فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال : إن وعظته فهو ضالّ وغن لم تعظه فهو ضالّ ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث ، أو تركته على حاله لهث "³ وهي صورة حقيرة ذليلة لمن جاءته آيات الحق فأعرض عنها تجده في حياته دائم التعب دائم القلق لا راحة يجدها في نفسه . ويريد أن يكشف عن حال أولئك الذين يهين لهم الله المعرفة فيفرون منها كأن لم تهيا لهم أبدا ثم يعيشون بعد ذلك هابطين تطاردهم أنفسهم وأهواءهم بما عملوا وبما جهلوا فلا هم استراحوا بالغفلة ولا هم استراحوا بالمعرفة "⁴. والصورة تشبيه تمثيلي إذ يُشبّه "الكافر الكافر التارك للآيات العادل عنها الذي لا يصلحه شيء كالكلب في الهيئة ، ولو دبّرت به بكل شيء لم يتركه ولم ينزع عنه ولذلك الشيء وضده ، والتقدير كمثّل الكلب لاهتا "⁵.

6- "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون"⁶.

¹ (سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ص 95).

² (الأعراف، الآية 176).

³ (ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ص 369).

⁴ (سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 44).

⁵ (عبد الله ابن الحسين بن نايقا البغدادي ، الجمان في تشبيهات القرآن، تح د محمود حسن أبو ناجي ، مركز

الصف الالكتروني ط 1 ، جدة السعودية 1987 ، ص 64.

⁶ (هود، الآية 182) .

وهي كناية عن صفة ، إذ تشير الصورة على معنى التلطف في الأمر (ببطء شديد) حتى لا يحسوا كيفية الوقوع في الشرك ، إذ التحويل السريع والمفاجئ واضح للعيان يحسبه الجميع ويرفضونه ، وإنما الأصعب هو التدرج الذي لا يشعر به صاحبه "والاستدراج أن تأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث تلطف له حتى تغتره"¹ والمراد التدرج شيئاً فشيئاً في مغبات الهلاك و"الدرج هو الطي وطيمهم لا يتأني على الحقيقة"².

سورة هود عليه السلام :

قصة هود عليه السلام في هذه السورة مجرد إشارات إلى هلاك فرعون والقوم الظالمين وفيها إيماءات إلى تفاصيل من القصة لم تذكر ، في هذا المقام وذكرت في مكان آخر مثلاً إرسال موسى -عليه السلام- بالآيات والسلطان المبين وهي ما ذكر مفصلاً في سورة الأعراف، وأما عن الصور البيانية فهي أيضاً قليلة مقارنة بالسورة الأولى ، ومع ذلك فإن بعض الصور البيانية هنا أضافت معناً دلاليًا جديداً.

1- "فأوردتهم النار وبئس الورد المورود"³.

جاء في الصحاح "وَرَدَ فلان وروداً: حضر .واوردَه غيره ، واستورده أي أحضره...والوَرْد أيضاً : الرّاد وهم الذين يردون الماء"⁴ وفي لسان العرب شرح مطوّل للجذر (و . ر . د) ومنه " وردت الماء أرده وروداً إذا حضرته لتشرب ، والورد : الماء الذي ترد عليه"⁵ تصور هذه الآية حال المشركين وهم وهم يساقون إلى النار جهنم كالغنم والبهائم ، واستعمل لفظ مورد وهو الماء واستعير به للنار كي يصور حالهم وهم يساقون كما تساق الغنم إلى مشرب الماء باندفاع "و يا بئساه من ورد لا يروي غلّة

¹(أبو عبيدة ،مجاز القرآن ،ص233.

²(الشريف الرضي ، تلخيص البيان ، ص 79 .

³(هود، الآية 98 .

⁴(الجوهري ،الصحاح مج 02 ص 549.

⁵(ابن منظور ،لسان العرب ، مادة (ورد)

ولا يشفى صدى إنما يشوي البطون"¹ وهي صورة تمثيلية بالغة الروعة إذ كيف يجمع بين لفظ "الورد" وهو من خصائص الماء ليدل به على النار وهي ضده وما الأمر إلا تهكماً وسخرية. وفي الآية صورة استعارية لطيفة تتمثل في استعارة زمن الفعل للدلالة على زمن مضاد فقد استعير الماضي للدلالة على المستقبل في "أوردتهم" حيث عبر بالماضي عن المستقبل الذي سيحدث فيه الورد، للمبالغة في تحقق وقوع الساعة أنها آتية لا ريب فيها²

2- واتبعوا في هذه لعنة وبئس الرد المرفود³

جاء في لسان العرب "رَفَدَ، الرَّفْدُ، بالكسر :العطاء والصلةوأرفده : أعانه ...وترافدوا : أعان بعضهم بعضاً ،والرافد : هو الذي يلي الملك ويقوم مقامه إذا غاب"⁴ وفي مقاييس اللغة لابن فارس " هو المعاونة والمظاهرة بالعطاء وغيره، فالرَّفْد مصدر رفده يرفده ،إذا أعطاه . والاسم الرَّفْد"⁵ . " مجازه مجاز العون المعان ،يقال :رَفَدته عند الأمير ، أي أعنته وهو من كل خير وعون"⁶ إذا الرَّفْد هو العطاء والمنّة وهذه النار كانت عطاء فرعون لمن تبعه "ألم يعد السحرة عطاءً جزيلاً ورفداً مرفوداً فما هو ذا رَفَده لمن إتبعه"⁷.

والصورة إستعارة تهكمية "حيث أطلق الرد على اللعنة استعارة تهكمية لأن حقيقته المعطى شيئاً ،ووصف الرد بالمرفود لأن كلتا اللعنتين مقصودة بالأخرى ،فشبهت كل واحد بمن أعطى عطاء فهي مرفوده"⁸.

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 03 ج 12 ص 1924..

² (دخيل الله محمد الحصري، سورة هود عليه السلام(دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية، ص254..

³ (هود ، الآية 99.

⁴(ابن منظور ،لسان العرب ،مادة (رَفْد)

⁵(ابن فارس مقاييس اللغة ،ج02 ،ص421.

⁶ (أبو عبيدة ،مجاز القرآن ،ص298.

⁷ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج 03 ج 12 ص 1925 .

⁸(دخيل الله محمد الحصري، سورة هود عليه السلام(دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية) ، ص206.

3- ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد¹

الشاهد في لفظتي "قائم وحصيد" فالقائم ما بقي واقفاً شامخاً كالبناء وأما الحصيد فهو تشبيه بالزرع الذي يحصد فيزول أثره فكذلك هو حال القرى الغابرة منها ما تركت آثاراً قائمة كعاد مجرد أطلال ومنها من اقتلعت فلا أثر لها ك لوط². وهي صورة من الصور الفنية المستخدمة في القرآن الكريم إذ شبه العاقل من المخلوقات بالجمادات التي لا عقل لها. فالإنسان على وجه البسيطة كالزرع منه الذي يبقى له الأثر ومنه الذي يزول تماماً كالحصيد ، فقوم لوط -عليه السلام- مثلاً منهم الناجون (لوط وأهله) ومن قوم نوح -عليه السلام- نجى نوح ومن آمن معه ، وغيرهم كانوا من البائدين المهلكين.

خلاصة

- تبين لنا بعد هذه الدراسات البيانية أن القرآن الكريم يستخدم ألواناً من الصور تعكس فيها حقيقة الأشياء المتعارف عليها في حدود الحواس :
- فنجد الجمادات تحول إلى ظواهر حيّة فيها إنفعال و تفاعل كالنداء بالأمر في قصة -نوح عليه السلام- للسماء والأرض ، وأيضاً ما ذكرناه في الإنسلاخ الأغلال .
- ومن المفاهيم المعنوية ما تكتسب دلالات الأشياء المادية فتحسّ وكأنك تراها كالرحمة والسفاهة والضلال في الآيات السابقة .
- وبالمقابل يصوّر العاقل بالجماد أو بالبهايم نتيجة أفعاله فما تكون الصورة إلا صورة ذلك الحيوان أو الجماد بتصوير وجه الشبه بينهما كالكلب و الورد .
- ضرب المثل بالأمم السابقة على سبيل التشبيه في الفعل فيجد القارئ تطابقاً كبيراً في الجريمة فيجتنبها مخافة الوقوع في نفس العقوبة وكذا أخذ العبرة إن القرآن الكريم " يعبر بالصورة المحسّنة

¹ هود، الآية 100 .

² سيّد قطب، في ظلال القرآن، مج 03 ج 12 ص 1927

المتخيّلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية كما يعبر بها عن الحادث المحسوس و المشهد المنظور ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا النموذج الإنساني شاخص حي..¹

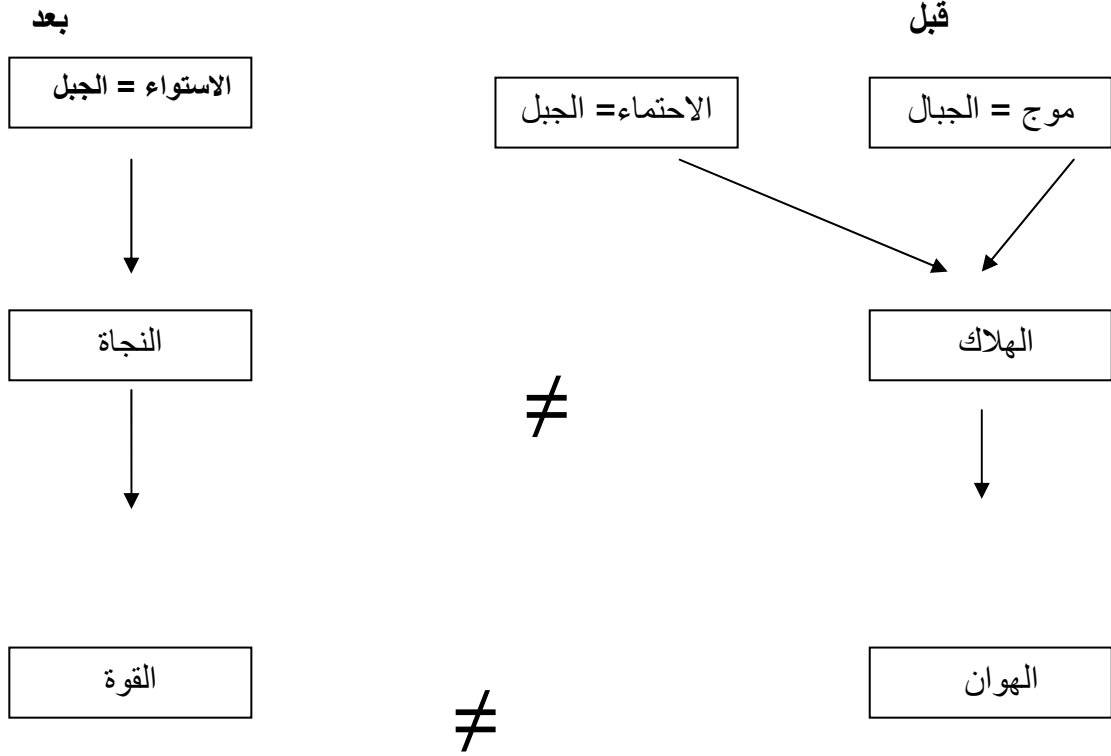
- وأما عن الصور البيانية بين السورتين كما سبق وأشرنا فهي متنوعة متجددة ترسم في كل مرة حالة جديدة دونما تضارب بل تحسّ وكأن هذا القصص فسيفساء مرسومة ولوحة متجزئة يكمل بعضها بعضا مثلا "الرجفة - الصيحة"

- من خلال الآيات السابقة والدراسة التصويرية لفت انتباهنا صورة جمالية متنوعة الحل لأحد مخلوقات الله ألا وهو **الجبل** والذي يعتبر آية من آيات الله الكونية فمن خلال دراسة الصورة البيانية التي ورد فيها الجبل وجدناه متنوع المفاهيم، فحيناً هو يمثل القوة والشدة وحيناً آخر يصور العجز والهوان أمام قدرة الله - عز وجل - طبعاً وهذا في أطول قصتين من كل سورة قصة نوح -عليه السلام - في سورة هود و قصة موسى -عليه السلام- في سورة الأعراف نلخصها في المخطط التالي :

صورة الجبل في القصص.

1 قصة نوح -عليه السلام - سورة هود :

¹ (سيد قطب، التصوير الفني في القرآن ، ص 36.



لاحظ صورة الجبل في هذه القصة كيف تكررت ثلاث مرات في الحادثة الواحدة (الطوفان) ،فأواجه من شدة الضخامة والارتفاع تبدو كالجبل الشاهق العظيم ،فالناظر إلى هذا المشهد ينتظر الهلاك حتما لذلك لم يجد ابن نوح - عليه السلام - من نجاة له سوى الإحتماء بالنظير والند وهو الجبل أيضا ،لكن هيهات له.... إذ كان من المغرقين أيضا ،ومن هنا نستنتج أن تشبيه علو الأمواج بالجبال يدل على الضخامة الفعلية إذ أغرقت الجبل الذي احتوى به الابن أيضا - والجبال تتفاوت بينها في العلو - .

ثم يأتي المشهد الأخير وبعد أن أقلعت السماء و ابتلعت الأرض ماءها، صورة جبل النجاة الذي استوت عليه السفينة .

|| قصة موسى - عليه السلام - سورة الأعراف .

أ - انظر إلى الجبل .

الخاتمة

الخاتمة :

قد يبدو الأمر مجحفاً إذا قلنا أننا استنفدنا جميع نقاط الموضوع وأننا عالجناه من جميع جوانبه حتى يحسن أن يقال بأنها خلاصة البحث وخاتمته، لأننا نرى أن هذا الموضوع ما تزال فيه عدة جوانب لم تدرس، لكن طبيعة كل بحث أن تكون له حدود معلومة؛ مقدمة وعرض وخاتمة.

لذلك فإننا وجدنا النص القرآني والدراسة الأسلوبية من المواضيع الشاسعة المتشعبة الأطراف كيف لا وهو كلام الله - عز وجل - الذي قال عنه:

" قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي".¹

وقد خالصنا في هذا البحث إلى بعض النقاط المهمة والمتنوعة حسب تنوع فصول الدراسة كما يلي.

- أ- 1- أن الأسلوبية كمنهج حديث سبقتها إرهاصات أولى في الدرس القديم سواء العربي أو الغربي أفضت إلى تحولات منهجية غيرت مسار البحث المعياري إلى بحث دلالي يكشف عن خصائص كل تعبير بما يميزه عن التعابير الأخرى وهذا ما أكدته أسلوبية ليوسبتزر الألماني.
- 2- أن الأسلوبية وطدت العلاقة بين اللغة والأدب ووضحت النقاط التي يخدم كل منها الآخر فيها وهذا بعد صدور محاضرة جاكوبسون " اللسانيات والشعريات" وأكمل بلورة تلك الأفكار ستيفن أولمان حينما رأى أن الأسلوبية موازية للسانيات.
- 3- امتداد الأسلوبية لتشمل علوماً قديمة كالبلاغة والنحو وهي مرتبطة بهما ارتباطاً وثيقاً حيث تنهل معظم أدواتها منهما كيف لا وهما أدوات اللعبة اللغوية أساساً.

¹(الكهف، الآية 109).

4- اهتمام العلماء العرب بدراسة النص القرآني كان واضحاً منذ القدم والدليل على ذلك تلك المؤلفات القيمة التي أفردت أبحاثاً بعينها لدراسة جوانبه البلاغية والنحوية والتي اعتبرناها مقدمات هامة في الدرس الأسلوبى الحديث.

ب- 1- تتميز سور القرآن الكريم بميزات معينة إذ تختص كل واحدة منها بخصائص تجعلها نص مستقل بعينه.

2- ظاهرة التكرار (التكرير) ميزة عرف بها النص القرآني من جهة أخرى، وهو ما جعلنا نجمع بين سورة الأعراف وهود في هذه المقاربة.

وقد وضحت أسباب النزول والمميزات إلى مدى وجود تقارب في المواضيع، خاصة في قصص الأنبياء المذكورة في كليهما.

ج- 1- أما عن الأصوات فهي متكررة في القصص الطويلة، موجزة غير مكررة في القصص القصيرة.

2 - احتواء القصص الطويلة على بعض المقاطع الطويلة والمركبة مثلاً في قصة نوح -

عليه السلام -من سورة هود، ليتماشى الصوت مع حركة الدعوة الطويلة والمتكررة ليلاً

نهاراً مثلاً المقطع: "أنلزمكموها"

3 - الهول والجلل الصوتي الذي صنعه الآية 44 من سورة هود - عليه السلام - يطغى على جميع قصة نوح عليه السلام - بما فيها من تجانس صوتي ولفظي وتركيبى.

4- قد بينت بعض الأصوات المتكررة في القصص تنوعاً دلاليّاً بصورة تقابلية مثلاً:

"ع . ب . د " " ب . ع . د " فالأولى دلّت على القرب والثانية دلّت على البعد.

5- أما الفواصل فقد جاءت متنوعة في القصص، فهي طويلة في موضع التفصيل وقصيرة

في موضع الإيجاز، كما أنها كانت تحمل شحنة دلالية للآية التي وردت فيها أو القصة

ككل، ثم أننا وجدنا بعض الفواصل المتكررة صوتاً ولفظاً ومقطعاً وهذا للتأكيد على المعنى
مثلاً " خاسرون" في قصة شعيب عليه السلام و (جاثمين مجرمين - كافرون ...) في كلتا
السورتين .

6- إذا كان التجويد كعلم قائم بذاته، أساساً للقراءة القرآنية فإن لذلك أسباب أيضاً فلا
تكون الظاهرة الصوتية في مكانها إلا لسبب ما فالمدّ دلّ على طول الدعوة مع الصبر عليها
، والإدغام على الالتحام والتمازج بين الشئيين. والإمالة هي أمر منقلب من حالة إلى
أخرى، أو تموج في الفعل كحال السفينة في مجراها و مسراها ، و القفلة أعطت بحروفها
قوة الفعل في المعاني الواردة "أغرقنا" ، "مجرمين" " أظهر"

د - 1 - تنوع الصيغ من سورة لأخرى يلغي مبدأ الترادف والتكرار في القصص فمثلاً لاحظنا أن
(نجى - أنجى) (نزل - أنزل) (يضرعون - يتضرعون) (ضلال - ضلالة) ... الخ وإن بدت
متشابهة لأول وهلة فهي متغايرة في المعنى ففي كل مرة تعطي معنى جديداً، فأى زيادة في
الصيغة العربية هو زيادة في المعنى حتماً.

2- تنوع الألفاظ من أهم دلالات انتقاء الترادف الذي يبدو في أول الأمر، فليس التنوع لسبب
الجرس الصوتي فقط وقد وضّح ذلك التحليل بين الثنائيات التالية (أليم - قريب) (الرجس -
الغضب)

(الكيل - المكيال) (المأل - القوم) (مجيب - مريب).

3- استخدمت السورتان في أسلوبهما أدوات للتعريف أحيانا ونكرت بعضها أحيانا أخرى وقد بينّ
التعريف ب "ال" وأسماء الإشارة وأسماء الأعلام معرفة الشيء وثبوته للعيان كما دلّ أحيانا على
المعاني المتناقضة مثلاً " هذه" دلّت على التشريف مع الناقة وعلى التحقير مع الدنيا.

4- أسماء الأعلام في كلتا السورتين وبتعدد المواضيع في القصص دلّت على معان مختلفة وأحيانا متناقضة القرب والتواضع العناد والتكذيب.

التكثير في النص القرآني يدل على معان متضادة أيضا فهو للقليل كما هو للكثير إذ يدلّ على الإطلاق في اللفظ في معنى الكثير غير المحصور مثلا " آلاء " . أما " رحمة " وإن بدت عليها القلة فهي كثيرة من الله - عز وجل -.

هـ- 1- في الدراسة التركيبية وجدنا أن التراث اللغوي العربي ترك لنا مفاهيم هامة تتصل بعمق الدراسة النصية في القرآن تصلح أن نقول عنها أنها جذور الأسلوبية وشذراتها مثل " النظم - البيان-علم المعاني وأن دراستها منفصلة لا يُجدِ نفعا ، وإنما ينظر إليها ككل متكامل.

2- استخدام حروف العطف انسجم مع نظام الإحالة المرجعية في كلتا السورتين في كل القصص فمثلا وجدنا قصة نوح في سورة الأعراف بدئت بالواو وانعدم ذلك الوصل في نفس القصة من سورة الأعراف ، وذلك راجع إلى ما ذكر قبل القصة فذكرت في سورة هود لما سبق ذكر دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تذكر في سورة الأعراف لأنها لم تسبق بذكر الرسل والنبوءات.

وإما بالتنويع بين الفاء والواو مثال في قصة شعيب في جملة القول ففي السورتين توحدت الصيغة " وقال " بينما اختلفت عن موضع آخر في سورة الأنعام في نفس القصة.

وإما بالاشتراك والاجتماع في الآية الواحدة كما ذكرنا في الدراسة اجتماع الفاء وثم وما أفضى إليه التحليل بين السورتين من معان ودلالات.

3- تنوع أسلوب النداء بين استخدام الأداة أو حذفها في كلتا السورتين وهذا بتعدد مستويات النداء بين الأطراف المعلومة في القصة - الله عز وجل - النبي - القوم الأقربين ، (الابن - الأخ) وقد ساهم النداء في ترتيب وقائع القصة ونمو الحدث فيها.

- 4- تحتل الهمزة كأداة استفهام مكانة واسعة في التعابير القرآنية فتخرج إلى أغراض بلاغية مختلفة حسب سياق الآية، وتنوع الأغراض البلاغية للهمزة في كلتا السورتين جعلها تلعب دوراً آخر يتعلق بالنسيج العام للنص أولاً وهو تحقيق التماسك النصي.
- 5- أسلوب الاستفهام بصفة عامة في السورتين لم يخرج عن معاني (النفى - الإنكار - التهكم) وهو ما يعكس صورة حقيقية عن الأحداث الواردة في القصص من عنت وجدال وتكذيب وعذاب.
- و - 1- وفي الدراسة البلاغية دلّ التقديم والتأخير كظاهرة لغوية على معاني الاختصاص والتأكيد في كلتا السورتين وهذا في باب تقديم المعمول على العامل.
- 2 - تنوعت صيغة الخبر المقدم ما بين المفرد وشبه الجملة في السورتين وفي مواضع مختلفة ما صنع اتساقاً نصياً داخلاً وخارجاً (داخل السورة الواحدة وخارج النص أي بين السورتين).
- 3- تعلّق مبدأ التقديم والتأخير بالمتلقي إذا كان يعرف الخبر أو خالي الذهن منه وهذا ما أثبتته الشواهد المتعلقة بتقديم خبر النواسخ على اسمها.
- 4 - أن التقديم والتأخير ما بين السورتين يتراوح ما بين الانتقال في الإشارة من الجزء إلى الكل وفي المقابل ينتقل من الكل إلى الجزء مثلاً معنى النجاة كان خاصاً في قصة موسى عليه السلام (سورة الأعراف) وعاماً في نفس القصة من السورة الثانية (سورة هود - عليه السلام).
- 5- ينوّع الأسلوب القرآني في طبيعة الصور البيانية المستخدمة فنجد الجمادات مثلاً تحوّل إلى ظواهر حية فيها انفعال وتفاعل كالنداء بالأمر في قصة نوح -عليه السلام- للسماء والأرض.

6- من المفاهيم المعنوية ما تكتسب دلالات الأشياء المادية فتحسّ وكأنك تراها كالرحمة والسفاهة والضلال.

7- الصور البيانية متجددة في كل مرة ترسم حالة جديدة دونما تضارب بل وتحسّ وكأن هذا القصص فسيفساء مرسومة ولوحة متجزئة يكمل بعضها بعضا مثلا " الرجفة - الصيحة".

8- استطاعت الصورة البيانية أن ترسم لوحات مختلفة ومتناقضة للشيء الواحد في نفس

القصة، فالجبل دلّ على الحماية والهلاك في قصة نوح -عليه السلام- وعلى القوة والهوان في قصة موسى - عليه السلام -.

وختاماً نحمد الله عز وجل الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة ، بيروت 1973
- البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تح محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط 01 ، بيروت 1422 هـ
- ابن خزيمة : صحيح ابن خزيمة تح محمد مصطفى الأعظمي و محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، الرياض 2003.
- أبو عبيدة : مجاز القرآن ، تح محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، ط ، القاهرة 1954
- أبو عمر الداني : التيسير في القراءات السبع ، دار الكتاب العربي ، ط 2 ، بيروت 1984 .
- أحمد سيد الهاشمي : جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) ، تح يوسف الصميلين المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 1999.
- الآلوسي (أبوالفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي (د ط) بيروت (د ت) .
- الاستربادي (رضي الدين) :- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ، تح مجموعة من الأساتذة ، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة 01 ، السعودية 1996

- شرح شافية ابن الحاجب ، تح مجموعة من الأساتذة ،دار الكتب العلمية
لبنان 1982،
- الباقلاني(أبو بكر محمد بن الطيب):إعجاز القرآن تح أحمد صقر، دار المعارف، ط 05
القاهرة 1997،
- ابن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، دار الكتب العلمية، د ط ،لبنان د ت
- ابن جني : - الخصائص، تح الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط 03، بيروت 1424 هـ
- سر صناعة الإعراب تح مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم
مصطفى وعبد الله أمين ،شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ط 1 ، مصر
1954.
- اللمع في العربية ، تح سميح أبو مغلي ،دار مجدلاوي للنشر ،عمان
الأردن 1988.
- ابن الجزري (محمد بن محمد) : النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة على محمد
الضباع دار الكتب العلمية بيروت د ت.
- ابن دريد : جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي وشركاه ،القاهرة ،د.ت
- ابن الزبير الغرناطي : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه متشابه
اللفظ من أي التنزيل- تح سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ط 1 بيروت 1983م.
- ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت 1982
- ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم، تح عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت
د ت

- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد بن سلامة ،دار طيبة للنشر والتوزيع
ط 02، الرياض 1999
- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، دار إحياء الكتب
العربية، مصر (دت).
- ابن منظور : لسان العرب ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة 1300هـ.
- ابن نايقا البغدادي(عبد الله ابن الحسين): الجمان في تشبيهات القرآن، تح د محمود حسن
أبو ناجي ، مركز الصف الالكتروني ط 1 ،جدة السعودية 1987
- ابن هشام (الأنصاري) : مغني اللبيب عن كتب الأعراب ،تح عبد اللطيف محمد
الخطيب التراث العربي ، الكويت 2002.
- ابن يعيش(موفق الدين) : شرح المفصل للزمخشري ، دار الطباعة المنيرية القاهرة ، د ت.
- الجاحظ (عمر بن بحر) : البيان والتبيين ،الناشر دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ.
- الجرجاني(عبد القاهر):- دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح محمد رشيد رضا، دار
المعرفة بيروت 1998 .
- دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط 05 ، القاهرة
2005
- الجوهري :-الصاح (تاج اللغة وصاح العربية) ، تح أحمد عبد الغفور عطار ، دار
العلم للملايين، ط 03، بيروت 1984 .
- الصاح (تاج اللغة وصاح العربية) ،تح أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم
للملايين ، ط 04، بيروت 1990.

- **حازم القرطاجني:** منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1986

- **الخطابي**(أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم): بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في

إعجاز القرآن تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط3، دار المعارف مصر 1991

- **الخطيب القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد):** الإيضاح في علوم البلاغة، تح لجنة

من أساتذة الجامع الأزهر مطابع السنة المحمدية القاهرة د.ت .

- **الراغب الأصفهاني :** مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم . دمشق ، والدار الشامية، بيروت،

ط1 1412 هـ / 1992م.

- **الرازي (فخر الدين):** مفاتيح الغيب، دار الفكر 1981

- **الرماني**(أبو الحسن علي بن عيسى) : النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في

إعجاز القرآن تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط3، دار المعارف مصر 1991

- **الزبيدي**(مرتضى) : تاج العروس في جواهر القاموس ،دار الهداية ،الكويت 1966.

- **الزجاجي** (أبو القاسم) : الإيضاح في علل النحو، تح مازن مبارك، مطبعة المدني، مصر

1959

- **الزمخشري :-** أساس البلاغة ،تح باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ط 1 ، بيروت

1998

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** و **عيون الأقاويل** في وجوه التأويل ، تح عبد الرزاق

المهدي، دار إحياء التراث العربي ط 01، بيروت 2005

- **الزملكاني** (كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم): البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح
أحمد مطلوب ،مطبعة العاني ، بغداد 1974
- **السكاكي** (سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد) :مفتاح العلوم ، تح عبد الحميد الهنداوي
،دار الكتب العلمية ،د ط ،لبنان د ت
- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر): - الإتقان في علوم القرآن ، دار مصر
للطباعة (د.ط)، الفجالة القاهرة(د ت)
- الاتقان في علوم القرآن ، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة العامة
للكتاب، القاهرة 1974
- معترك الأقران ، تح أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،
الطبعة 01 ، بيروت لبنان 1988.
- **سيبويه** (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري) : الكتاب تح عبد السلام هارون ، دار
الكتب العلمية ، ط2، بيروت 1982
- الكتاب ، تح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط 03، القاهرة 1988
- **سيد قطب**: في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة الشرعية 32، القاهرة 2003
في ظلال القرآن، دار الشروق الطبعة الشرعية 56، القاهرة 2003
- **الشريف الرضي** : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تح على محمود مقلد ، منشورات دار
مكتبة الحياة، بيروت 1984 .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب
العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر 1955م

- **العسكري (أبو هلال):** الفروق في اللغة ،تح الشيخ بيت الله بيات ،مؤسسة النشر الإسلامي،ط 1، 1412هـ
- **القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):** الجامع لأحكام القرآن، مطابع الشعب، 1969.
- **المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد):** المقتضب ،تح محمد عبد الخالق عضيمة ، مطابع الأهرام التجارية ،قليوب ، القاهرة 1994
- **محمد طاهر ابن عاشور:** تفسير التحرير والتنوير ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس 1997
- **يحي بن حمزة العلوي :** الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، مطبعة المقتطف، مصر ، 1914.

- المراجع

- إبراهيم أنيس : - دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 05، القاهرة 1984.
- من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 06، القاهرة 1978 .
- الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 6، القاهرة 1981 .
- إبراهيم حسن ابراهيم : أسرار النداء في لغة القرآن الكريم، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة، 1978.
- أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2005.
- أحمد الشايب : الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، مكتبة النهضة المصرية ، ط 08 ، القاهرة 1991.
- إيهاب سعيد النجمي : تعدد المعنى في النص القرآني، بلنسية للنشر والتوزيع ، ط 1، مصر 2008.
- بيارجيرو: الأسلوب والأسلوبية ،ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الاقتصادي ، د ط،، لبنان د ت.
- تمام حسان : اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة ، دون طبعة ،الدار البيضاء المغرب 1994.
- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974.
- جمال حضري : المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 01، لبنان 2010.

- **حسن ناظم** : البنى الأسلوبية (. في أنشودة المطر للسياب) المركز الثقافي العربي ، ط1،بيروت 2002 .
- **حسن عباس**: خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1998 .
- **حسين جمعة**: - في جمالية الكلمة(دراسة جمالية بلاغية نقدية) ،اتحاد الكتاب العرب (د.ط) دمشق 2002 .
- جمالية الخبر و الإنشاء، دراسة جمالية بلاغية نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005.
- **حسين نصار**: الفواصل، مكتبة الخانجة ، ط01، مصر 1999 .
- **خالد قاسم بن دومي**: دلالات الظاهرة الصوتية، في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، ط1 إريد الأردن 2006 .
- **رايح بوحوش**: الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة 2006 .
- **سعيد عطية علي مطاوع** : الإعجاز القصصي في القرآن، دار الأفاق العربية، القاهرة 2006
- **سعيد الأفغاني** : الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر(د.بلد)(د.تاريخ)
- **سمير شريف استيتية** : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، (منهج لساني معاصر)، (د.ط)، عالم الكتب الحديث ،إريد الأردن، 2005.
- **شكر محمود عبد الله** : الفصل و الوصل في القرآن الكريم ، دار دجلة ، ط 01،الأردن 2009

- **شكري عياد :** -اللغة والابداع (مبادئ علم الأسلوب العربي) أنترناشيونال برس ،
القاهرة 1988
- اتجاهات البحث الأسلوبي (دراسات أسلوبية اختيار وترجمة وإضافة) ،
دار العلوم (للطباعة والنشر) ط 01، الرياض 1985 .
- **صبري المتولي :** دراسات في علم الأصوات، الأصول النظرية والدراسات التطبيقية لعلم
التجويد القرآني ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2006
- **صلاح فضل:** علم الأسلوب(مبادئه وإجراءاته) ، ط 2 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة
1985 .
- **طالب محمد إسماعيل الزوبعي:** من أساليب التعبير القرآني(دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء
النص القرآني)،دار النهضة العربية ،ط 01، بيروت 1996
-
- **طه رضوان طه رضوان :** تلوين الخطاب في القرآن الكريم (دراسة في علم الأسلوب وتحليل
النص) دار الصحابة للتراث بطنطا.ط1، مصر 2007
- **عبد الجليل عبد الرحيم:** لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرسالة الحديثة، ط 1، عمان 1981
- **عبد الحميد أحمد يوسف هندأوي :-** الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر
ط1 القاهرة 2004
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم. دراسة نظرية تطبيقية
التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط 01. المكتبة العصرية بيروت 2001 .

- عبد الرحمن بودرع: منهاج السياق في فهم النص، كتاب الأمة (د ط)، قطر 2006
- عبد السلام المسدي : قراءات مع الشابي والمنتبي والجاحظ وابن خلدون، الشركة التونسية تونس 1984
- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى : خصائص التعبير القرآني ،مكتبة وهبة ،ط1 ،القاهرة 1992
- عبد الغفار حامد هلال: تجويد القرآن الكريم، من منظور علم الأصوات الحديث ، ط01، مكتبة الآداب القاهرة 2007
- عبد الفتاح السيد العجمي المرصفي ، هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري ، ط 01، دارالفجر الإسلامية، المدينة المنورة، 2001
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادي جدة 1999
- عبد الفتاح لاشين: المعانى في ضوء أساليب القرآن ،دار المعارف ،ط 03، القاهرة ، 1978، صفاء الكلمة ،دار المريخ للنشر ،الرياض 1983
- عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1980
- عطية قابل نصر: غاية المريد في علم التجويد ، مكتبة الحرمين ، ط 07 ، القاهرة دت
- علي محمد الضباع: هداية المريد إلى رواية أبي سعيد، - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر (د ت).
- عمار الساسي :- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب(دراسة وصفية وظيفية في نماذج من القرآن والشعر) ،عالم الكتب الحديث ،الأردن 2001

- "الإعجاز البياني في القرآن الكريم" دراسة نظرية في الآيات المحكمات

العبادات و المعاملات"، دار المعارف للإنتاج و التوزيع البليدة، ط1، الجزائر 2003

- عمر أوكان: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001

- فاضل صالح السامرائي:- على طريق التفسير البياني، النشر العلمي جامعة الشارقة، د ط

الإمارات العربية المتحدة 2002.

- أسرار البيان في التعبير القرآني ، من محاضرة ألقاها الدكتور السامرائي ضمن

فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002.

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1 ، بغداد 2000

-التعبير القرآني، ط3، دار عمار الأردن 2004.

- فتح الله سليمان : الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، مكتبة الآداب د ط، القاهرة د ت

- فضيلة مسعودي: التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية- قراءة نافع أنموذجا ، دار الحامدة ،

ط1 الأردن 2008.

- فؤاد على رضا: من علوم القرآن ، دار اقرأ ، ط2، بيروت ، لبنان، 1983 .

- .

- محمد أبو موسى : التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مكتبة وهبة ، ط 03 ،

القاهرة 1993.

- محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، ط 02 ، الأردن 2000.

- محمد الشاوش: أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص،

المؤسسة العربية للتوزيع، تونس 2001.

- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984.

- **محمد كريم الكواز:** الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ط 02 ، طرابلس ليبيا 2008
- **محمود السيد حسن المصطفى:** الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1981
- **محي الدين درويش:** إعراب القرآن وبيانه , دار اليمامة للطبع و النشر و التوزيع ، دون طبعة دمشق 1980
- **مصطفى حميدة :** أساليب العطف في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ط1، القاهرة 1999
- **مصطفى صادق الرافعي:** إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، ط 09، بيروت 1971
- **مكي درار:** الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد) - اتحاد الكتاب العرب دمشق 2007
- **منير سلطان :** الفصل و الوصل في القرآن (دراسة في الأسلوب) منشأة المعارف، ط 02 الإسكندرية، 1997م
- **نشأة محمد رضا ظبيان :** علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم، ط1 بيروت 1997
- **نصر حامد أبوزيد:** مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن) المركز الثقافي العربي ط 5 ، المغرب 2000
- **نعيم الحمصي:** فكرة إعجاز القرآن ، مؤسسة الرسالة ، ط 02 ، بيروت 1980

- الهادي الجطلاوي ، "قضايا اللغة في كتب التفسير والمنهج، (التأويل الإعجاز) ط1 دار محمد على الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس 1998

- الدوريات:

- مجلة الصوتيات : حسام محمد عزمي العفوري، جمالية الدلالة الإيحائية في معنى العطف "الفاء و"ثم" في آيات خلق الإنسان نموذجا، مخبر الصوتيات العربية الحديثة، جامعة سعد دحلب البليدة 2008، العدد 04.
- مجلة فصول : عبده الراجحي ، علم اللغة والنقد الأدبي. ، القاهرة يناير 1981

- رسائل جامعية

- دخيل الله بن محمد الصحفي : سورة هود عليه السلام (دراسة لخصائص نظمها وأسراره البلاغية) رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة 1993
- محمد عبد الله عبده دبور : أسس بناء القصة من القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب النقد ، جامعة الأزهر 1997.
- مفتاح بن عروس : الاتساق النصي (دراسة لظاهرة العائد في العربية) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة ، معهد اللغة العربية ، جامعة الجزائر 1996-1997.

– المراجع الأجنبية :

- ¹⁾ Charles Kay Ogden :The general basic english dictionary,Evans brothers ltd,14edition ,December 1960.
- ²⁾ - De. Saussure ,f : cours de linguistique générale, ENAG Algerie /édition 1990.
- ³⁾ – Dictionary of oxford. oxford university press ,new edition , printed in china 2000 .
- ⁴⁾ TraubeTskoy :principe de phonologie , edition-klink Paris 1986